المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمونَ**﴾[1]، ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلونَ به والأرحام إن الله كانَ عليكم رقيباً**﴾[2]، ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً**﴾[3] .

أما بعد [4] : فإن عالمنا المعاصر يعيش حالة صراع بين الحق والباطل، وهو صراع غير جديد في حياة البشرية؛ فقد عاشه أفضل الخلق محمد ﷺ والصحابة والتابعون الكرام.

وإظهار الحق من خلال الحجة الواضحة وسيلة مهمة للدعوة إلى الرشاد، وهي جلية في كتاب الله الكريم .

ولأ ا السبيل القويم لاعتلاء صوت الحق على الباطل؛ سلكها رسولنا الكريم ﷺ واقتفى الصحابة الكرام أثره، وأعقبهم التابعون لهم بإحسان .

---

(1) سورة آل عمران ، الآية ١٠٢ .

(2) سورة النساء ، الآية ١ .

(3) سورة الأحزاب ، الآية ٧٠، ٧١ .

(4) هذه خطبة الحاجة كما روى أبو الأحوص وأبو عبيدة عن عبدالله قال: "علمنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم - خطبة الحاجة: إن الحمد لله..."، أخرجه أبو داود في السنن، كتاب النكاح ، باب خطبة النكاح،رقم الحديث (٢١١٨) ، بيروت دار الكتب العلمية ط١ ، ١٤١٠هـ ، ج١ ، ص١٠٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٩هـ ، ج٢ ، ص٣٩٨ ، رقم الحديث (١٨٦٠).

وعلى الرغم من الدلائل الواضحة التي أيد الله ا دينه، فإن صـوت الباطـل لا يكاد يخفت في عصر من العصور؛ من أجل ذلك هب علماء الإسلام للذود عنه ودعوة أهل الزيغ إلى حياضه العذبة من خلال تبصيرهم بإزالة ماران على قلو م من صدأ وما أطبق على أبصارهم من غشاوة. وكانت المناظرة من أنجع الوسائل وأسـهل الـسبل المؤدية إلى ذلك .

وقد شهد تاريخنا الإسلامي جملة من الأئمة والعلماء الأفذاذ الذين أوتوا حظاً من العلم وقدرة على الإقناع من خلال البراهين والأدلة الدامغة التي دحضوا ا أهل الكفر والعناد .

وإبراز تلك الجهود من الواجبات التي ينبغي أن ينبري لها طلبة العلـم في هـذا الزمان؛ نشراً للعلم وقضاءً لحق أهله، وليستفيد منها الدعاة إلى دين الله؛ لذلك أقدمت على دراسة (المناظرة عند ابن قيم الجوزية)، محاولة - ما استطعت - إبراز الجهود الخيرة التي اضطلع ا هذا الإمام الجليل في سبيل نشر الحق ودحض الباطل .

وتنبع أهمية هذا الموضوع من أمور كثيرة، من أهمها ما يلي :

١- وورد المناظرة في الكتاب والسنة، ووقوعها من الأنبياء .

٢- في المناظرة تحقيق لمعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما من صـفات المؤمنين وواجبا م، بل من مقتضيات الإيمان بالله .

٣- أسلوب المناظرة، من أساليب الدعوة المعتبرة شرعاً، ولا يقل أهمية عن الأساليب الدعوية الأخرى .

٤- اهتمام علماء الأمة بالمناظرة. والدليل على ذلك قول شيخ الإسلام ابـن تيميـة - رحمه الله تعالى- : "فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبـدع منـاظرة تقطـع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور، وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين"(1) .

---

(1) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ج٢، ط٢، ١٤١٤هـ ـ، =

٥- تجرؤ خصوم الإسلام على الطعن في العقيدة والشريعة والأخلاق؛ مما يستلزم محاورتهم وإفحامهم بالرد على شبهاتهم من خلال المناظرة التي تعد لوناً من ألوان بيان الحق وتأييده وقمع الباطل وتزهيقه، وهما ما يهدف إليهما كل داعية إلى الله.

٦- أنه بمقدار ما يكون الداعية متمكناً من فن المناظرة، محيطاً بآدابها وأساليبها؛ يكون أقدر على النجاح في دعوته، وقد كان ابن قيم الجوزية –رحمه الله تعالى- نموذجاً رائداً في هذا المجال.

وهناك أسباب كثيرة دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع، من أهمها ما يلي :

١- الرغبه في الاستفادة من مناظرات الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى- من خلال دراسة علمية عميقة؛ ليفيد منها الدعاة إلى الله، إذ إن دراسة مناظرات إمام جليل كابن القيم تفيد الدعاة إلى الله في هذا العصر في صقل ملكة الحوار والمناظرة، حيث التعرف على طرق إبرام الأقوال الصحيحة وهدم الأقوال الباطلة؛ وذلك لتميز ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى- في هذا المجال وفي غيره من المجالات العلمية .

٢- حاجة الدعوة الإسلامية إلى المناظرة؛ لأن خصوم الدعوة يعاندون ويجادلون في قبول الحق، ولابد من مناظرتهم ومجادلتهم بأسلوب علمي صحيح يتوخى الأدلة والبراهين ولا يعتمد العاطفة والحماسة؛ فالمناظرة إذن إحدى السبل المثلى لإيقاف ما يعرض للإسلام في هذا العصر من حملات شرسة من أعدائه الذين شككوا في مسلماته، مثيرين الشبهات حوله، بل إن الحوار مع الحضارات الأخرى وبيان سماحة ديننا الإسلامي وعدله بالحجة الصحيحة من خلال المناظرة أعظم تأثيراً على الأعداء وأقل خطراً على الأمة من التصادم مع خصومها .

دار عالم الكتب، الرياض، ص١٦٤، ١٦٥ ؛ وانظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ٣٥١/١ .

٣- عدم قبول كثير من المعاندين والمكابرين للأدلة الصحيحة الصريحة؛ مما يـستلزم استخدام أسلوب الحوار في دعو م، وذلك من خلال المناظرة، كما في قولـه تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾، ثم بين –سبحانه وتعالى– أن هناك صنفاً قد يحتاج معه إلى غير ذلك، فقال – جلت قدرتـه-: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[1] .

٤- عدم وجود دراسة علمية في هذا الموضوع، على الرغم من توافر مادة تستحق ذلك.

ومن أهم الأهداف المتوخاة من هذا البحث :

١- إبراز أهمية المناظرة وحاجة الدعوة الإسلامية إليها .

٢- تفعيل الخطاب الإسلامي في الدعوة مع غير المـسلمين، باسـتخدام أسـلوب المناظرة والتركيز على الأصول العلمية للمناظرة في الكتاب والسنة.

٣- تبصير الدعاة إلى الله بأسلوب المناظرة عند عالم من علماء السلف (ابـن قـيم الجوزية –رحمه الله تعالى-)؛ للإفادة من مناظراته في الدعوة إلى الله .

٤- بيان كيفية مجا ة خصوم الإسلام؛ بالرد على شبها م وتفنيدها ومواجهتـهم بالأدلة العلمية الدامغة، من خلال فهم أسلوب المناظرة .

٥- إثراء المكتبة الإسلامية ذه الدراسة العلمية؛ ليفيد منها الدعاة والعـاملون في حقل الدعوة .

وقبل الشروع في هذه الدراسة، اجتهدت في البحث والتحـري في الجهـات العلمية ذات الاختصاص؛ للتأكد من أن هذا الموضوع لم يدرس، فاتضح أن الدارسين لم يتناولوا مناظرات ابن قيم الجوزية، على أن ثمة دراسات علميـة ذات صـلة ـذا الموضوع، مثل:

---

(1) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

١- الحسبة عند ابن قيم الجوزية، لمحمد قرين: وقد اطلعت على هـذه الدراسـة، فاتضح أن الباحث لم يتناول المناظرة، بل أشار إليها إشارة عابرة، جاءت ضمن حياته العلمية في أثناء تعداد أعماله في مجال العلم .

٢- منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله، للدكتور أحمد الخلف: وعلى الرغم مـن أن هذه الدراسة تتناول منهج ابن قيم الجوزية في الدعوة إلى الله؛ فإ ـا لم تفـرد المناظرة بحديث يكشف هذا الجانب المهم في دعوته - رحمه الله تعالى- .

٣- ابن قيم الجوزية - حياته وآثاره- للدكتور بكر أبو زيد: وقد كشف المؤلـف عن كثير من جوانب حياة ابن قيم الجوزيـة - يرحمـه الله- متنـاولاً بيئتـه وشخصيته وآثاره، دون الإشارة إلى المناظرة .

٤- أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسـلام (دراسـة تحليليـة تقويميـة للمناظرات التي جرت في أمريكا الشمالية في الفترة (١٤٠٠- ١٤١٠هـ ـ)، للدكتور إبراهيم الحميدان: وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسة وكو ا تبحث في المناظرة ومكانتها بين أساليب الدعوة؛ فإن موضوعها يقضي بعدم تنـاول المناظرة عند ابن قيم الجوزية.

٥- المناظرة في أصول التشريع الإسلامي (دراسة في التناظر بين ابن حزم والباجي)، لمصطفى الوضيفي: وهي دراسة مهمة، لكنها لم تتناول ابن قيم الجوزية.

٦- إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة (مـن كتاب بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية)، للدكتور أيمن الشوا: وقد عرض فيـه المؤلف مقتطفات من كتاب ابن قيم الجوزية دون دراسة تحليلية للمناظرات .

وقد قمت بالاستقراء التام لكتب ابـن قـيم الجوزيـة – رحمـه الله – لاستخلاص مناظراته، ثم شرعت بالدراسة، متخذة المنهج الوصفي التحليلي، محـددة المصادر الأساسية والثانوية، مثل كتب ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى- وتـأتي في المرتبة الأولى، ثم كتب العلماء المعاصرين لـه، ثم الكتب والبحوث المعاصرة .

وإذا كانت الدراسة قد قامت على عشر مناظرات، فإن الواقع أ ـا لم تكـن

محدودة في صفحات قليلة، بل يكفي أن نعلم أن واحدة منها قد وردت في مجلد تزيـد صفحاته على الثلاثمئة، ومنها ما جاء في أكثر من مئتي صفحة، كما أنـه في إحـداها عرض واحداً وثمانين وجهاً في رده، جاءت فيما يزيد على ستين صفحة .

ولم يكن استخلاص المناظرات أمراً سهلاً؛ ذلك أن منها ما جاء مـن خـلال التساؤل، مما استلزم شروطاً يجب توافرها لكي تعد مناظرة، مثـل: الاشـتمال علـى أسلوب خطابي حضوري، وتوافر السائل والمعلل.

ودراسة المناظرة عند إمام جليل كابن قيم الجوزية يقضي بمداومة النظر في كتب العقيدة والفقه، كما أن دراسة ضوابط المناظرة يستلزم الرجـوع إلى كتـب المنطـق وفهمها؛ لتطبيقها على مناظرات ابن قيم الجوزية، وهذا قد أخذ قـسطاً كـبيراً مـن الوقت.

وقد بدأت بتمهيد تناولت فيه حياته وآثاره، ومفهـوم المنـاظرة وضـوابطها وآدا ا.

ثم جاء الفصل الأول من هذه الدراسة عن المناظرة في فكر ابن قـيم الجوزيـة - رحمه الله تعالى- حيث الحديث عن أهمية المناظرة وأهدافها عند ابن قـيم الجوزيـة، وضوابط المناظرة وآدا ا عنده، وكذلك استدلاله في مناظراته .

وفي الفصل الثاني تعريف بمناظرات ابن قيم الجوزية -يرحمـه الله- ونتائجهـا، حيث يتضح فيه أطراف المناظرات، وموضوعا ا، وأبرز محاورها، ثم ما أسفرت عنه من نتائج، كما تتبين في هذا الفصل قضايا المناظرات التي خاضها ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى- وطرق الاستدلال عليها .

ويأتي الفصل الثالث لبيان الدروس الدعوية المستفادة من المناظرة عند ابن قـيم الجوزية، شاملة الدروس الدعوية المتعلقة بضوابط المناظرة، والدروس الدعوية المتعلقـة بآداب المناظرة، والدروس الدعوية المتعلقة بموضوعات المناظرة وطرق الاستدلال عليها.

وتتضمن الخاتمـة خلاصـة بـأهم النتـائج الـتي توصـلت إليهـا هـذه الدراسة .

وقد تضمنت هذه الدراسة تعريفاً مختصراً بالأعلام الـواردة وتخريجـاً للآيـات الكريمة والأحاديث الشريفة .

وأخيراً: أحمد الله الميسر لكل مأمول، المستحق للشكر جزاء ما أمدني من عـون وحاطني من رعاية حتى أتممت هذا البحث، ثم الشكر لمن تعاهد هذا العمل بالإشراف والتقويم، شيخي الفاضل الدكتور إبراهيم بن صالح الحميدان، حيث أتاح لي أن أ ـل من علمه وأستنير بآرائه السديدة وتوجيهاته القيمة التي أضاءت لي - بتوفيق الله- دروباً كانت معتمة .

وأحسب أن كلمة الشكر هذه لا تفي قدر أستاذي الذي أفـدت مـن علمـه وتأثرت بخلقه وحسن تعامله، وربما لا أجد أفضل من الدعاء أكافئه به (فجزاه الله عني خير الجزاء).

كما أشكر أساتذتي الفضلاء في قسم الدعوة والاحتساب الذين أفـدت مـن علمهم والعلماء الأجلاء الذين أفدت من آثارهم، وأخص بالذكر عضوي لجنة المناقشة اللذين سيبذلان جهداً في قراء ا وتقويمها.

أرجو أن يكون جهدي هذا لبنة تساهم في سد ثغرة من ثغرات ما زالت بحاجة إلى جهد الباحثين، وأسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، إنه - جلـت قدرته- الهادي إلى سواء السبيل .

فوزية بنت فهد المسند

الفصل التمهيدي

المبحث الأول: ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى- حياته وآثاره العلمية:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وعصره .

المطلب الثاني: طلبه للعلم وشيوخه .

المطلب الثالث: آثاره العلمية وتلاميذه .

المبحث الثاني: المناظرة مفهومها وضوابطها وآدابها :

المطلب الأول: مفهوم المناظرة .

المطلب الثاني: الضوابط الإجرائية للمناظرة .

المطلب الثالث: آداب المناظرة .

المبحث الأول
ابن قيم الجوزية - رحمه الله - حياته وآثاره العلمية

المطلب الأول: اسمه ونسبه وعصره .

المطلب الثاني: طلبه للعلم وشيوخه .

المطلب الثالث: آثاره العلمية وتلاميذه .

المطلب الأول: اسمه ونسبه وعصره :

اسمه ونسبه:

هو أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زين الدين [1] ، الزرعي، ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قيم الجوزية [2] .

ترجمة أهل بيته:

والده:

أبو بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي، ثم الدمشقي، سمع عن الرشيد العامري وغيره، وحدث، وكان متعبداً، قليل التكلف، مات في ذي الحجة سنة ٧٢٣هـ [3].

أخوه زين الدين :

عبدالرحمن بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زين الدين الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية، أخو الشيخ شمس الدين. ولد سنة ٦٩٣هـ ، وسمع

---

(1) انفراد ابن حجر من بين مترجميه بذكر مكي زين الدين (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ج٢، ط١، د.ت، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، ص٤٣٤) .

(2) شذرات الذهب ، ابن العماد، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ج٨، ط١، ١٤١٣هـ ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ص ٢٨٧؛ الوافي بالوفيات الصفدي، ج٢، تحقيق محمد بن إبراهيم، محمد بن الحسين ط٢، د.ت، فرانز شتايز، ص ٢٧٠؛ الدرر الكامنة ٢١/٤؛ الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية(شيخ الإسلام) كافر، ابن ناصر الدين، تحقيق زهير الشاويش، ط٣، ١٤١١هـ ، المكتب الإسلامي، بيروت، ص ١٢٤؛ المختار المصون من أعلام القرون، محمد حسن، ج١، ط١ ، ١٤١٥هـ ، دار الأندلس الخضراء، جدة ص ١٨٤؛ البداية والنهاية ابن كثير، تحقيق عبدالرحمن اللاذقي ومحمد بيضون، ج١٣، ط٤، ١٤١٩هـ ، دار المعرفة، بيروت ص ٦٥٩؛ البدر الطالع، الشوكاني، ج٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص ١٤٣؛ الدليل الشافعي، ابن تغري بردي، تحقيق فهيم شلتوت، ج٢، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ٥٨٣ .

(3) الدرر الكامنة ٢٠٢/١ .

عن أبي بكر بن أحمد بن عبدالدائم، وعيسى المطعم، والشهاب العابر وغيرهم، ومـات سنة ٧٦٩هـ بدمشق [١] .

ابنه عبدالله:

عبدالله بن محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي شرف الدين بن الـشيخ شمـس الدين بن قيم الجوزية. ولد سنة ٧٢٣هـ، وصلى بالقرآن سنة ٧٣١هـ، واشتغل على أبيه وغيره، وكان مفرط الذكاء، درس المحرر في الفقه، والمحرر في الحديث، والكافيـة الشافية، وسمع الكثير فأكثر على أصحاب ابن عبدالدائم وغيرهم، وصفه العماد بن كثير بالذهن الحاذق[٢]، وقال ابن رجب:كان أعجوبة زمانه، مات سنة ٧٥٦هـ[٣].

ابنه إبراهيم :

إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية. ولد سنة ٧١٦هـ، تفقه بأبيه، وشارك في العربية، وسمع، وقرأ، واشتغل بالعلم. ومن نوادره أنه وقع بينـه وبين عماد الدين بن كثير منازعة في تدريس، فقال لـه ابن كثير: أنت تكرهني؛ لأنني أشعري، فقال لـه: لو كان من رأسك إلى قدمك شعر ما صدقك النـاس في قولـك أنك أشعري وشيخك ابن تيمية، توفي سنة ٧٦٧هـ [٤] .

ابن أخيه زين الدين :

عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن أيوب، كان رجلاً حسناً ، اقتنى كتباً نفيسة ، وهي كتب عمه الـشيخ شمـس الـدين محمـد، تـوفي سنة٧٩٩هـ [٥].

---

(1) المصدر السابق ٤٣٤/٢ .
(2) البداية والنهاية ٢٠٢/١٤ .
(3) الدرر الكامنة ٣٩٦/٢ .
(4) الدرر الكامنة ٦٠/١ .
(5) الدارس في تاريخ المدارس، النعيمي، تحقيق جعفر الحسني، ج٢، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، مكتبـة =

شهرته :

اشتهر الإمام محمد بن أبي بكر بين أهل العلم المتقدمين والمتأخرين بـابن قـيم الجوزية، ومنهم من يتجوز فيقول: ابن القيم، وهو الأكثر لدى المتأخرين.

وتكاد تتفق كتب التراجم على أن المشتهر بهذا اللقب (قيم الجوزية) هو والـد هذا الإمام: الشيخ أبو بكر بن أيوب الزرعي؛ إذ كان قيماً علـى المدرسـة الجوزيـة بدمشق مدة من الزمن، فقيل لـه: (قيم الجوزية)، واشتهرت به ذريته وأحفادهم مـن بعد ذلك، فصار الواحد منهم يدعى بابن قيم الجوزية [1] .

الزرعي:

نسبة لزرع (قرية من حوران)[2] ، وجاء في معجم البلدان زرا، قال الحافظ أبو القاسم الدمشقي: علي بن الحسين أبو الحسن الجهني الزري الإمام، من أهل زرا الـتي تدعى اليوم زرع من حوران [3] ، وقال في موضع آخر: بسر: بالضم: اسم قرية مـن أعمال حوران من أراضي دمشق بموضع يقال لـه اللجا، وهو صـعب المـسلك، إلى جانب زرة التي تسميها العامة زرع [4] .

ويتضح من ذلك أن اسم القرية التي نسب إليها الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في القديم (زرا) أو (زرة)، ثم سماه العامة زرع .

عصره :

الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٩١؛ شذارت الذهب ٦٥٤/٨ .

(1) انظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده، بكر أبو زيد، ط٢، سنة ١٤٢٣هـ، درا العاصمة، الرياض، ص٢٣، ٢٦ .
(2) الضوء اللامع، السخاوي، ج١١، ط١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص ٢٠٤ .
(3) معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق فريد الجندي، ج٣، ط١، سنة ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، باب الزاي والراء، وما يليهما ص ١٥١ .
(4) المصدر نفسه ٤٩٨/١، باب الباء والسين وما يليهما .

يتناول هذا المبحث أبرز ملامح الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية في عـصر الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - .

الحالة السياسية :

عاش ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري، وهي فترة مني فيها العالم الإسلامي بحادثين كان لهما أكبر الأثـر في إذكـاء العواطف الدينية في قلوب المسلمين، وبعث روح الاعتداد بالنفس والتطلع إلى الحريـة الفكرية والسياسية من جديد، وهذان الحادثان هما:

١-الحروب الصليبية التي استمرت نحو قرنين.

٢-هجمات التتار على البلاد الإسلامية .

أولاً: الحروب الصليبية:

اتفق معظم الباحثين على تعريف الحروب الصليبية بأ ا: حركة كبرى نبعت من الغرب الأوروبي المسيحي في العصور الوسطى، واتخذت شكل هجوم حربي استعماري على بلاد المسلمين، وبخاصة في الشرق الأدنى بقصد امتلاكها، وقد انبعثت هذه الحركة عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي سادت غرب أوروبا في القرن الحادي عشر الميلادي، واتخذت من استغاثة المسيحيين في الشرق ضد المسلمين شعاراً دينياً للتعبير عن نفسها تعبيراً واسع النطاق[١] .

وقد اتجه الصليبيون لغزو العالم الإسلامي، تقودهم دوافع دينية واقتصادية وسياسية وغيرها .

فقد ادعوا أن المسيحيين المقيمين في العالم الإسلامي يلقون من سوء المعاملة من الحكام المسلمين ما يستوجب على المسيحيين الأوربيين نجد م، وزعموا أن الحجاج

(1) الحركة الصليبية، سعيد عاشور، ج١، ط٣، ١٩٧٥م، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ص٢٦.

المسيحيين يتعرضون للعدوان في طريقهم إلى الحج وإلى مزيد من الاضطهاد وهم يؤدون حجهم، كما ادعوا أن كنائس المسيحيين في الشرق الإسلامي قد تعرضت للتخريب، وأن بعض هذه الكنائس قد تحولت مساجد [١] .

وكان الدافع الاقتصادي والسياسي إلى هذه الحرب سوء الأحوال الاقتصادية في أوروبا في ذلك الوقت، سوءاً بلغ الغاية من الاضطراب والاختلال، إلى أن الناس في تلك الآونة أكلوا الأعشاب والحشائش [٢] .

وطمع الأمراء الصليبيون في أن يؤسس كل منهم لنفسه إمارة في الشرق الإسلامي[٣].

وكان العالم الإسلامي –آنذاك- يعيش ظروفاً سياسية سيئة، وتسيطر على حكامه الخلافات السياسية وتنازع الأمراء، كما تسيطر عليه الخلافات المذهبية بين أهل السنة يقودهم العباسيون ومن تابعهم، والشيعة تحت قيادة الفاطميين في مصر والشام[٤].

ولذلك نجحت الحملة الصليبية الأولى، وكونت أربع إمارات: القدس، أنطاكية، الرها، طرابلس. ويرجع نجاح هذه الحملة إلى تفكك المسلمين، وحالة الفوضى التي كانت سائدة آنذاك [٥] ، ولكن لم يهنؤوا كثيراً بهذا الانتصار؛ حيث هيأ الله للمسلمين حكام المماليك الذين تمكنوا من استرداد كل المدن التي استولى عليها الصليبيون .

وخرج الغزاة إلى غير رجعة، وأصبحت بلاد الشام من أقصى شماليها عند قلقيلية

---

(1) انظر: الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، علي عبدالحليم محمود، ط٢، ١٤٠٢هـ، شركة مكتبات عكاظ، المملكة العربية السعودية، ص٣٢، ٣٣ .

(2) المرجع نفسه، ص ١٤٧ .

(3) المرجع نفسه، ص ٨٥ .

(4) المرجع نفسه، ص٤٠ .

(5) انظر: ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف، عبدالعظيم شرف الدين، ط٣، ١٤٠٥هـ، دار القلم، الكويت ، ص٣٢ .

إلى أقصى جنوبيها عند غزة لا يعيش فيها دخيل غاصب[1].

ثانياً: هجمات التتار على العالم الإسلامي :

لقد جاء التتار [2] ، من شمال الصين مغيرين على العالم الإسلامي، فأخذوا يستولون على البلاد الإسلامية ويقتلون ويخربون حتى وصلوا إلى بغداد سنة ٦٥٦هـ، وبذلوا السيف فيها، وقتلوا الخليفة المعتصم بالله، واستباحوا دماء العلماء، واستمروا في القتل والنهب والسلب بضعة وثلاثين يوماً، وآخر جمعة خطب خطيب بغداد كانت: الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الإعمار، وحكم بالفناء على أهل هذه الدار، إلى أن قال : اللهم أجرنا في مصيبتنا التي لم يصب الإسلام وأهله بمثلها ، وإنا لله وإنا إليه راجعون[3].

ولم تقف أطماعهم إلى هذا الحد؛ إذ امتدت إلى الشام وما وراءه، ولم يقفوا إلا بعد أن خذلهم الله بهزيمتهم في موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ، وتعتبر هذه المعركة من المعارك الفاصلة في التاريخ [4] .

غير أن حالة الضعف التي تعانيها البلاد الإسلامية نتيجة النزاع على السلطة شجعتهم على المعاودة، فعادوا إلى حرب المسلمين، وكانت آخر موقعة معهم حين التقت جيوش غازان بقيادة قطلوشاه مع جيوش المسلمين بقيادة السلطان الناصر في موقعة مرج الأصفر سنة ٧٠٢هـ، وكانت موقعه مروعة بين الطرفين، أزالت التتار من

---

(1) الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ص٢١١ .

(2) التتار أمم وثنية جاهلة من الجنس المغولي الأصفر، مساكنهم الأطراف الشمالية لبلاد الصين، تملكهم رجل قوي الشكيمة، شديد البأس، وأخذ يقودهم من نصر إلى نصر حتى خضع لحكمهم كثير من الأمم، ذلك الرجل هو: جنكيز خان. (انظر: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ج٣، محمود رزق سليم، ط٢، ١٣٨١هـ، مكتبة الآداب، القاهرة، ص٨) .

(3) النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ج٧، ط١، د.ت.، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص٥٠، ٥١ .

(4) انظر: بدائع الزهور، محمد بن إياس، تحقيق محمد مصطفى ج١، ق١، ط٢، ١٤٠٢هـ، مركز تحقيق التراث، مصر، ص٣٠٦ .

مواضعهم وحصدت رؤوسهم حصداً [1] .

وكان لهذا الانتصار الحاسم رنة فرح في نفوس المسلمين، شاكرين الله –سبحانه وتعالى- على نعمة النصر وعلى هزيمة أهل الكفر، وتغنى الشعراء ـذا الانتصار، ومنهم الشاعر علاء الدين بن عبدالظاهر، إذ يقول:

لقد تمت النعمى وأوضحت البشرى   وقد أعبق الفتح المبين لنا نشرا
جبانا إله الخلق بالنصر والهدى   على الشرك والإيمان قد غلب الكفرا [2]

الحالة الاجتماعية :

كان الناس في ذلك العصر طبقات ثلاث: الحكام، والعلماء، والشعب. فالحكام من المماليك الذين أرضوا نزعتهم إلى التسلط باستيلائهم على ملك مصر والشام، واستغلوا نفوذهم؛ فتمتعوا بموارد البلاد [3]. وطبقة العلماء هم الذين اعتمدوا في حيا م على الله - سبحانه - ثم على الوظائف المسندة إليهم، ولكنهم على الرغم من حالة الفقر والحاجة التي كانوا عليها، لم تدفعهم الحاجة إلى الخضوع والاستكانة، بل إن كثيراً منهم صمدوا أمام طغيان السلاطين؛ فكانت لهم هيبة في نفوسهم[4]. أما طبقة الشعب فتشمل العامة، كالتجار، والصناع، والزراع، وهؤلاء عليهم الكد والجهد، ولا يصل أحدهم إلى ثمرة عمله؛ لما كان يحل م من مظالم ترهق كواهلهم[5].

---

(1) تاريخ المماليك البحرية، علي إبراهيم، ط٣، ١٩٦٧م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص١٥٨.

(2) موسوعة عصر سلاطين المماليك ٦٦/٨ .

(3) اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن قيم ا لجوزية، تحقيق عواد المفتق، ط٣، ١٤١٩هـ، مكتبة الرشد، الرياض، ص٢٠؛ وانظر: موسوعة عصر سلاطين المماليك ٢١٣/٧ .

(4) ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف، ص٦٤ .

(5) منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري، محمد الزين، ط١، ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، ص٢٤ .

الخلافات المذهبية والفكرية :

كان العالم الإسلامي حينذاك يموج موجاً بما فيه من طوائف تختلف عقائدها اختلافاً أدى ا إلى التحاقد والتنابذ؛ فمن شيعة ذات شعب وفرق، وجهمية، ومعطلة، ومن أشاعرة، وصفاتية، ومبتدعة، وأمام هؤلاء عدوان لدودان يكيدان للدين ويتربصان بالمسلمين، هما: التتار الوثنيون بالمشرق، والفرنجه المسيحيون المتعصبون بالمغرب، وكان لهذه الخلافات المذهبية الأثر الكبير في توجيه الأفكار في الشعوب وتلوين اتجاها ا، ومن ثم تعصب كل فريق لعقيدته (1) .

وأمام هذا السيل الجارف من الانحراف العقدي قام العلماء والدعاة والمصلحون بدور بارز في محاربة الباطل؛ فأنكروا ذلك باليد واللسان والقلب امتثالاً لأمر نبيهم ﷺ ومن هؤلاء الشيخ ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية - رحمهما الله - .

الحياة العلمية :

أبدى السلاطين والأمراء غيرة دينية بارزة، ولعل أهم ما دفعهم إلى هذه النزعة أ م مسلمون، وأ م شعروا بعد زوال الأيوبيين ودولة الخلافة أ م أصبحوا وحدهم في الميدان حماة لهذا الدين. وقد تجلت هذه الغيرة منهم في كفاحهم، ومحاربتهم للتتار، والفرنجة، حتى ردوا هؤلاء عن مصر والشام والبلاد المقدسة، وتجلت فيما أفاضوا من معونة وما بذلوا من رعاية للبيت الحرام وسكان الحجاز، هذه النزعة من دأ ا أن توقظ أمثالها في نفوس العلماء، وتحفز أهل الدين إلى حياطته ورعايته وتدفعهم إلى تجديد شبابه، وبعث روحه. ونشر رايته، وأدا م إلى ذلك التعليم والتأليف ومواصلة البحث والاطلاع (2) .

---

(1) موسوعة عصر سلاطين المماليك ٢٢٣/٣، ٢٢٤ .

(2) موسوعة عصر سلاطين المماليك ٢٠/٣، ٢١؛ وانظر: الحياة العلميـة في الحجـاز خـلال العـصر المملوكي (٦٤٨هـ ـ ٩٢٣هـ) ، خالد الجابري، ج١، (رسالة ماجستير لم تنشر بعد)، ١٤١٣هـ ـ ، ص١١١ .

=

ولقد عاشت الشام حياة فكرية نشطة بعد زوال الاحتلال الصليبي والتتري؛ حيث تعددت روافد تلك الحياة الفكرية، وتمثلت في إنشاء الكثير من المراكز العلمية، من مدارس، ومساجد، ومكتبات، وبيمارستانات[١]، وزوايا[٢] ، وغيرها، وفي تلك المراكز العلمية، درست العلوم المختلفة: العلوم الشرعية، وعلوم اللغة العربية، وعلم التاريخ والعلوم العقلية والعلمية، وظهر الكثير من المفكرين والأدباء، ووضعت مصنفات كثيرة في مختلف مجالات العلوم، ونال التراث اهتماماً كبيراً [٣] .

ومن المدارس التي عرفتها دمشق على عهد ابن قيم الجوزية - رحمه الله - :

أ- المدرسة الظاهرية: بناها الظاهر بيبرس عام ٦٧٠هـ [٤].

ب- المدرسة الجوزية: بناها محيي الدين بن الشيخ جمال الدين الفرج عبدالرحمن بن الجوزي [٥] ، وكان والد ابن القيم - رحمه الله - قيماً عليها، يتولى إمامة الصلاة ا .

ج- المدرسة الصدرية: أنشأها صدر الدين بن منجا [٦].

---

(1) بيمارستان: كلمة فارسية، وتتكون من (بيمار) بمعنى: مريض، و(ستان) بمعنى: المنزل أو المكان، أي المستشفى (معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مصطفى الخطيب، ط١، ١٤١٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٩٦) .

(2) الزاوية: مكان يتخذ للاعتكاف والعبادة والمطالعة، وهو على شكل خلوة أو رواق في المسجد (معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ص٢١٧) .

(3) انظر: موسوعة عصر سلاطين المماليك ٣٧/٣- ٦٢؛ ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف ، ص٤٢- ٥٠ .

(4) انظر: الدارس في تاريخ المدارس ٥٤٣/١ .

(5) انظر: المصدر نفسه ٢٩/٢ .

(6) انظر: المصدر نفسه ٨٦/٢ .

المطلب الثاني: طلبه للعلم وشيوخه :

طلبه للعلم:

اشتغل ابن قيم الجوزية - رحمه الله- بتحصيل العلم وهو في سن السابعة من عمره، ودليل ذلك المقارنة بين تاريخ ولادته سنة ٦٩١هـ، وتاريخ وفاة أحد شيوخه الذين أخذ عنهم، وهو الشهاب العابر (١) ، المتوفى سنة ٦٩٧هـ .

ومن العوامل المؤثرة على تحصيله العلمي:

١- أسرته :

لقد نشأ ابن قيم الجوزية - رحمه الله- في أسرة تضم علماء أفذاذاً –كما تبين فيما سبق- فهي بحق ذات علم ودين، هيأته للنبوغ .

٢- موطنه دمشق :

نشأ ابن قيم الجوزية - رحمه الله- في دمشق، التي كان لها الأثر الكبير في احتضان عالمنا - رحمه الله- ونبوغه، فقد توافرت فيها مراكز الإشعاع الفكري، متمثلة في المساجد، والزوايا، والمدارس، وغيرها، وكذلك كانت تعج بفحول العلماء، الذين يحملون مكتبا م في صدورهم، فالعالم أمام الطالب كالروضة الغناء يقطف منها ما تشتهي نفسه من كل ثمره، ويشم كل رائحة عطره(٢).

٣- قدراته الشخصية:

لقد شهدت كتب التراجم (٣) ، لــه بالفضل والتقدم وخدمة العلم والورع والرغبة الصادقة في الطلب، والجد، والجلد العظيم في البحث والنظر، والحرية في التلقي عن شيوخ الحنابلة وغيرهم، والتفاني في سبيل العلم، كما أن ذكاءه وموهبته العقلية

(1) سيأتي التعريف به عند ذكر شيوخه - إن شاء الله- .

(2) انظر: ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف، ص٤٢- ٦٣ .

(3) انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٢١/٤؛ شذرات الذهب ٢٨٧/٨؛ الوافي بالوفيات ٢٧٠/٢؛ البداية والنهاية ٦٥٩/١٣ .

وحضور مجالس العلماء منذ صغره كان لـه الأثر في نبوغه وغزارة علمه، وليس أدل على ذلك إلا عمره القصير الذي استطاع فيه أن يجعل من نفسه عالماً ينتفع الناس بعلمه.

٤- علاقته بشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- :

قال ابن حجر عن الإمام بن القيم: "وكان جريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف، وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر لـه في جميع ذلك. وهو الذي هذب كتبه، ونشر علمه"[(١)] ، فلقد كان لابن تيمية - رحمه الله- يداً في تحديد مسار ابن قيم الجوزية - رحمه الله- في طلبه للعلم وتوجيهه إلى المذهب الحنبلي [(٢)] ، ومما يدل على ذلك إقراره هو بنفسه أنه قد وقع في بعض المهالك، كتأويل الصفات، حتى أتاح الله لـه من أزال عنه تلك الأوهام، وأخذ بيده إلى الطريق السوي، فقد ذكر بنونيته بعض ما يقوله الأشاعرة وغيرهم في الصفات من التأويلات، ثم عقب ذلك بإعلانه أنه وقع في ذلك لولا أن هيأ الله لـه شيخ الإسلام، فأخذ بيده إلى طريق السلامة [(٣)] ، حيث قال:

يا قوم والله العظيم نصيحة   من مشفق وأخ لكم معوان
جربت هذا كله ووقعت في   تلك الشباك وكنت ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضله   من ليس تجزيه يدي ولساني
حبر أتى من أرض حران فيا   أهلاً بمن قد جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله   من جنة المأوى مع الرضوان

---

(1) الدرر الكامنة ٢١/٤ .

(2) ابن قيم الجوزية –رحمه الله - يعد من كبار فقهاء الحنابلة الذي غرس بذرته الإمام أحمد بـن حنبـل –رحمه الله - إلا أن حظه منه الاتباع لما أيده الدليل، ونبذ التعصب الذميم .

(3) اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ٢٤ .

أخذت يداه يدي وسار فلم يرم حتى أراني مطلع الإيمان [1]

٥- رحلاته :

على الرغم من وجود مقومات التعليم في دمشق؛ حيث زخرت بأنواع العلوم والمعارف، وكانت موئلاً للعلماء ومحط رحالهم، وإليها يصبو الطلاب ويأتي الناهلون؛ فإن من ينعم النظر في مصنفات ابن قيم الجوزية - رحمه الله- يلحظ بعض الإشارات التي تفيد أنه ارتحل إلى بعض مراكز العلم في العالم الإسلامي؛ مما كان لـه الأثر في تكوينه العلمي وإثراء تجربته.

ومن ذلك قول ابن قيم الجوزية - رحمه الله-: "وقد جرت لي مناظرة، بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة..."[2] .

وذكر في إغاثة اللهفان، في معرض كلامه على طب البدن والقلب ما نصه: وذاكرت مرة بعض رؤساء الطب بمصر ذا، فقال: والله لو سافرت إلى المغرب في معرفة هذه الفائدة لكان سفراً قليلاً، أو كما قال [3] .

ويذكر لنا أخص تلاميذ الإمام ابن قيم الجوزية (ابن رجب) أنه حج مرات كثيرة، وجاور بمكة [4] .

وذكر لنا ابن القيم في بدائع الفوائد في معرض حديثه عن أمر القبلة قوله: وأما السامرة فإ م يصلون إلى طور لهم بأرض الشام، يعظمونه ويحجون إليه، ورأيته أنا وهو

---

(1) شرح قصيدة الإمام ابن القيم (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية)، أحمد بن عيسى، ج٢، ط٣، =١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، ص٧٢، ٧٣ .

(2) هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد الرفاعي، ط١، ١٤٢١هـ، دار قتيبة، بيروت ، ص٢٦٥ .

(3) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مجدي السيد، ط٧، ١٤١٩هـ، دار الحديث، القاهرة، ص١٩ .

(4) شذرات الذهب ٢٨٨/٨ .

في نابلس، وناظرت فضلاءهم في استقباله، وقلت هو قبلة باطلة مبتدعة... [١] .

شيوخــه:

لقد تتلمذ ابن قيم الجوزية - رحمه الله- على عدد لا بأس به من كبار الأساتذة والمربين الذين عرفوا بغزارة العلم،وسعة الاطلاع، وعرفوا بالتقوى، والورع، والإخلاص .

ومن شيوخه الذين تتلمذ عليهم، وكان لهم أثر في تكوينه العلمي:

١- والده قيم الجوزية:

أبو بكر بن أيوب؛ حيث أخذ عنه شيخنا –رحمه الله- علم الفرائض وكان لــه فيه اليد الطولى، توفي سنة ٧٢٣هـ [٢] .

٢- الشهاب العابر:

أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن النابلسي الحنبلي، فقيه وإمام وعالم. لــه مصنف كبير في علم التعبير سماه (البدر المنير)، توفي –رحمه الله- سنة ٦٩٧هـ[٣]. أخذ عنه ابن القيم - رحمه الله- بعض أحكام المرائي، وأشار إليه في زاد المعاد قائلاً: وهذه كانت حال شيخنا هذا، ورسوخه في علم التعبير، وسمعت عليه عدة أجزاء ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه؛ لصغر السن، واخترام المنية لــه [٤] .

٣- أبو الفتح البعلبكي :

---

(1) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي العمران، إشراف: بكر أبو زيد، ج٤، ط١، ١٤٢٥هـــ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة ، ص١٦٠٦ .

(2) بدأت بوالده؛ لما للأبوة من مكانة خاصة في الإسلام، ولتأثيره الكبير في نشأته العلمية، يليــه شــيوخه مرتبين حسب سني وفا م .

(3) الدرر الكامنة ٤٧٢/١؛ المصدر نفسه ٢١/٤؛ الوافي بالوفيات ٧٢١/٢ .

(4) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبدالقادر الأرنؤوط، ج٣، ط٣، ١٤١٩هـــ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٥٣٨ .

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، الفقيه الحنبلي، المحدث النحوي، اللغوي. قرأ العربية واللغة على ابن مالك، وصنف تصانيف، منها: شرح ألفية ابن مالك ، وكتاب الـمطْلع على أبواب الـمقْنع. توفي سنة ٧٠٩هـ (١) . أخذ ابن القيم - رحمه الله- عنه العربية والفقه (٢) .

٤- بنت جوهر:

فاطمة أم محمد بنت الشيخ إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي البعلي، والدة الشيخ إبراهيم بن القرشية وإخوانه، روت الصحيح عن ابن الزبيدي مرات، وسمعت صحيح مسلم من ابن الحصيري (شيخ الحنفية)، وسمعت من ابن رواحة، وكانت دينة، متعبدة، صالحة(٣). وذكر ابن رجب أن ابن القيم سمع منها.توفيت - رحمها الله-سنة ٧١١هـ (٤).

٥- الصفي الهندي :

هو محمد بن عبدالرحيم بن محمد صفي الدين الهندي، الفقيه، الشافعي، الأصولي. صنف في أصول الدين (الفائق)، وفي أصول الفقه (النهاية). توفي سنة ٧١٥هـ (٥) . أخذ عنه ابن القيم - رحمه الله- الأصليين التوحيد، وأصول الفقه، وقرأ عليه أكثر الأربعين، والمحصل (٦) .

٦-**سليمان بن** حمزة **بن أحمد بن عمر** أبي **عمر** محمد **بن أحمد بن قدامة المقدسي،**

---

(1) شذرات الذهب ٣٨/٨، ٣٩ .

(2) الوافي بالوفيات ٢٧١/٢ .

(3) شذرات الذهب ٥٢/٨ .

(4) ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، ج٤، ط١، ١٣٧٢هـ ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر، ص٤٤٧ .

(5) البدر الطالع ١٨٧/٢ .

(6) الوافي بالوفيات ٢٧١/٢ .

قاضي القضاة [1] أبو الفضل، وكان مشهوراً بالعدل، بارعاً في الفقه، جيد التدريس، حدث بالكثير؛ ولم يزل على حاله إلى أن مات سنة ٧١٥هـ [2]. قرأ ابن القيم - رحمه الله- عليه الـمقْنِع [3] .

٧- صدر الإسلام أبو الفداء :

إسماعيل بن يوسف بن مكتوم بن أحمد القيسي الدمشقي، كان فقيهاً بالمدارس، ومقرئاً بالزويزانية، توفي سنة ٧١٦هـ [4] ، ذكره في شيوخ ابن القيم - رحمه الله- كل من الصفدي وابن حجر [5] .

٨- ابن عبدالدائم :

أبو بكر زين الدين أحمد بن عبدالدائم بن نعمة المقدسي، كان ذا همة، وجلادة، وذكر، وعبادة، توفي سنة ٧١٨هـ [6] ، وذكره في مشيخته الذين سمع منهم ، الصفدي [7] ، وابن حجر [8] .

٩- المطعم :

شرف الدين عيسى بن عبدالرحمن بن معالي بن أحمد الصالحي المطعم في الأشجار ثم السمسار في العقار [9] ، توفي سنة ٧١٩هـ [1] ، وقد أشار ابن حجر

---

(1) يرى بعض العلماء كراهية الوصف بقاضي القضاة. انظر: معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيـد، ط٢، ١٤١٠هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ص٢٦٠ .

(2) الدرر الكامنة ٢٤١/٢، ٢٤٢ .

(3) الوافي بالوفيات ٢٧١/٢ .

(4) شذرات الذهب ٧٠/٨ .

(5) الوافي بالوفيات ٢٧١/٢؛ الدرر الكامنة ٢١/٤ .

(6) شذرات الذهب ٨٧/٨، ٨٨ .

(7) الوافي بالوفيات ٢٧١/٢ .

(8) الدرر الكامنة ٢١/٤ .

(9) لقب بالمطعم في الأشجار ثم السمسار في العقار؛ لأنه كان يطعم الأشجار، ويسمسر في الدور (الدرر =

والصفدي بأنه ممن سمع منهم ابن القيم - رحمه الله- [٢].

١٠- شرف الدين بن تيمية :

عبدالله بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، الحنبلي، الفقيه، الإمام، المتقن، أبو محمد، أخو الشيخ تقي الدين بن تيمية[٣]، برع في علوم كثيرة، منها: الفرائض، والحساب، وعلم الهيئة، وأصول الدين، وفي علوم العربية، وقد تصدى للتدريس، والإفادة؛ فانتفع به طلابه وسامعوه[٤]. أخذ عنه ابن القيم - رحمه الله- الفقه وأشار إليه في كثير من كتبه، ككتابه إعلام الموقعين في المخرج الثاني عشر من مخارج اليمين في الطلاق، وهو أ ا يمين ولا كفارة فيها، إذ قال: هذا اختيار أبي محمد بن تيمية أخي شيخ الإسلام [٥] ، توفي سنة ٧٢٧هـ [٦] .

١١- شيخ الإسلام بن تيمية :

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، الحافظ، الحجة، تقي الدين أبو العباس بن تيمية الحراني، الدمشقي، الحنبلي[٧]، أشهر شيوخ ابن القيم - رحمه الله - وكانت ملازمته لـه منذ أن قدم ابن تيمية دمشق سنة ٧١٢هـ ، حتى مات سنة ٧٢٨هـ ،

الكامنة ٢٨٢/٣) .

(1) شذرات الذهب ٩٤/٨ .

(2) الدرر الكامنة ٢١/٤؛ الوافي بالوفيات ٢٧١/٢ .

(3) شذرات الذهب ١٣٦/٨ .

(4) عصر سلاطين المماليك ٨٢/٤ .

(5) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، عـصام الـصبابطي، ج٤، ط١، ١٤١٤هـ ، دار الحديث، القاهرة، ص٩٢ .

(6) شذرات الذهب ١٣٦/٨ .

(7) الدليل الشافي على المنهل الصافي ٥٦/١ .

- رحمه الله- [1] ، وقد أوضح الصفدي - رحمه الله- عن جملة وافرة من الكتب التي قرأها ابن القيم على ابن تيمية - رحمهم الله تعالى- فقال [2] : قرأ عليه قطعة من (المحرر)[3] ، لجده ا د، وقرأ عليه من (المحصول)[4] ، ومن كتاب (الأحكام)[5]، للسيف الآمدي، وقرأ عليه قطعة من (الأربعين)[6]، والمحصل، وقرأ عليه كثيراً من تصانيفه .

١٢-ا د الحراني :

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن الفراء الحراني، ثم الدمشقي، الفقيه الحنبلي، توفي سنة ٧٢٩هـ [7]، أخذ عنه ابن قيم الجوزية - رحمه الله- الفقه؛ حيث قرأ عليه مختصر أبي القاسم الخرقي، والمقنع لابن قدامة، وأخذ عنه الفرائض بعد أن أخذها عن والده، وأخذ عنه الأصول، وقرأ عليه أكثر الروضة لابن قدامة [8] .

١٣-الكحال:

زين الدين أيوب بن نعمة النابلسي، ثم الدمشقي الكحال. توفي سنة٧٣٠هـ [9]،

---

(1) البداية والنهاية ٦٦٠/١٣ .

(2) الوافي بالوفيات ٢٧١/٢ .

(3) المحرر: كتاب في الفقه الحنبلي طبع سنة ١٣٦٩هـ، بمطبعة ا المحمدية، بمصر، ويقع في مجلدين.

(4) المحصول في أصول الفقه الحنبلي، تأليف فخر الدين الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦هـ، وشرحه شمس الدين الأصبهاني. انظر: كشف الظنون، حاجي خليفة، ج٤، ط٣، ١٣٧٨هـ، المكتبة الإسلامية، طهـران، ص١٦١٥ .

(5) هو: كتاب الأحكام في أصول الأحكام، طبع في أربعة مجلدات، طبع مؤسسة النور، الرياض .

(6) كتب الأربعينات كثيرة في الحديث: يخرج الشيخ كتابا فيه أربعون حديثاً في معنى واحد أو معان مختلفة، منها كتاب (الأربعين في أصول الدين)، للرازي .

(7) شذرات الذهب ١٥٥/٨ .

(8) الوافي بالوفيات ٢٧١/٢ .

(9) شذرات الذهب ١٦٣/٨ .

ذكره الصفدي [1] ، في جماعة سمع منهم ابن قيم الجوزية - رحمه الله- .

١٤- البدر بن جماعة :

شيخ الإسلام بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، توفي سنة ٧٣٣هـ [2]، ذكره الصفدي،في جماعة سمع منهم ابن قيم الجوزية - رحمه الله- [3].

١٥- المِزي :

جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن، الإمام، العلامة، الحافظ، الدمشقي، المِزي. قال بعضهم: مشيخته نحو الألف. برع في فنون الحديث، وحدث بالكثير نحو خمسين سنة، فسمع منه الكبار والحفاظ. توفي سنة ٧٤٢هـ [4] ، وابن قيم الجوزية - رحمه الله- يعتمده وينقل عنه في كثير من كتبه، خاصة في الحديث ورجاله، مشيراً إليه بلفظ (شيخنا)[5].

١٦- ابن مفلح :

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، المقدسي، الحنبلي، المتوفى ٧٦٣هـ ، قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله- : "ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح" وكان ابن قيم الجوزية - رحمه الله- يراجعه في كثير من مسائله واختياراته [6] .

---

(1) الوافي بالوفيات ٢٧١/٢.

(2) شذرات الذهب ١٨٤/٨؛ الدرر الكامنة ٣٦٧/٣ .

(3) الوافي بالوفيات ٢٧١/٢ .

(4) شذرات الذهب ٢٣٦/٨، ٢٣٧ .

(5) ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده ، ص١٧٧ .

(6) شذارت الذهب ٣٤٠/٨ .

المطلب الثالث: آثاره العلمية وتلاميذه :

آثاره العلمية:

صنف ابن قيم الجوزية - رحمه الله- تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلوم، وكان شديد المحبة للعلم، قال ابن كثير - رحمه الله- "... وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً، واقتنى من الكتب مالا يتهيأ لغيره..."[(١)] ، وقد تتبع الشيخ بكر أبو زيد [(٢)] ، أسماء مؤلفات ابن قيم الجوزية -رحمه الله- من ثنايا كتبه ومن غيرها، فبلغت (٩٨ كتاباً)، ووضع لها ثبتاً ذكر فيه أسماءها وعرف ا. وسأكتفي بذكر ما وصلنا من مؤلفاته المطبوعة - رحمه الله- وهي كما يلي :

- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية .
- أحكام أهل الذمة .
- أسماء مؤلفات ابن تيمية .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين .
- إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان .
- بدائع الفوائد .
- بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً .
- التبيان في أقسام القرآن، ومنهم من ذكره باسم أقسام القرآن.
- تحفة المودود بأحكام المولود .
- ذيب مختصر سنن أبي داود .
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام .
- جواب في صيغ الحمد .

(1) البداية والنهاية ٦٦٠/١٣.

(2) انظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده ، ص١٩٩- ٣٠٩ .

- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي .
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح .
- حكم تارك الصلاة .
- الرسالة التبوكية، وطبعت بعنوان تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾، كما طبعت بعنوان: زاد المهاجر إلى ربه .
- رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه.
- الروح .
- زاد المعاد في هدي خير العباد .
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل .
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة .
- طريق الهجرتين وباب السعادتين .
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين .
- الفوائد .
- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية .
- الكلام في مسألة السماع .
- الكلم الطيب والعمل الصالح، طبع باسم (الوابل الطيب من الكلم الطيب).
- مدارج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) .
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة .
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف .
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى .

تلاميذه :

تتلمذ على ابن قيم الجوزية - رحمه الله- جماعة من طلاب العلم، أصبحوا علماء في عصره [1] ، منهم:

١- البرهان بن قيم الجوزية :

ابنه برهان الدين إبراهيم، تقدمت ترجمته في أثناء الحديث عن أهل بيته.

٢- ابن كثير :

الحافظ الكبير عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ [2] ، تتلمذ على ابن تيمية وأحبه، وأفتى برأيه في الطلاق، وعلى الحافظ يوسف المزي، وتزوج ابنته،[3] كما تتلمذ على ابن قيم الجوزية -رحمه الله-[4]، وقد ترجمه ابن كثير ترجمة حافلة، ومن قوله : "وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه"[5] .

٣- ابن رجب :

عبدالرحمن زين الدين أبو الفرج بن أحمد بن عبدالرحمن الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن رجب، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، له مصنفات مفيدة، ومؤلفات عديدة، منها: (شرح أربعين النووي) و(فتح الباري في شرح صحيح البخاري)، و(الذيل على

---

(1) انظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده ، ص١٧٩- ١٨٣ .

(2) شذارت الذهب ٣٩٦/٨؛ كشف الظنون ١٠/١ .

(3) انظر: موسوعة عصر سلاطين المماليك ١٤٤/٤ .

(4) ذكر ذلك الشيخ بكر أبو زيد في كتابه (ابن قيم الجوزية، حياته آثاره موارده، ص١٧٩). ولقد رجعت إلى كثير من المصادر التي ترجمت لابن كثير - رحمه الله - فلم أعثر على نص يثبت تتلمذه على ابن قيم الجوزية، ومن المصادر التي نظرت فيها: البداية والنهاية ٦٦٠/١٣، الدرر الكامنة ٣٩٩/١، شذرات الذهب ٣٩٧/٨، البدر الطالع ١٥٣/١، موسوعة سلاطين المماليك ١٤٤/٢، ولعل الشيخ بكر أبو زيد اعتمد قول ابن كثير : "وكنت من أصحب الناس..." .

(5) البداية والنهاية ٦٦٠/١٣ .

طبقات الحنابلة)[1] ، وفيه ترجم لشيخه ابن قيم الجوزية، قائلاً: "ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة وأشياء من تصانيفه وغيرها"[2].

٤- شرف الدين بن قيم الجوزية:

ابنه عبدالله بن محمد، تقدمت ترجمته في أثناء الحديث عن أهل بيته.

٥- القونوي:

علاء الدين علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي، فريد عصره. سمع من ابن قيم الجوزية، توفي سنة ٧٢٩هـ [3] .

٦- السبكِي :

علي بن عبدالكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكِي تقي الدين أبو الحسن الشافع، المتوفى سنة ٧٥٦هـ. طلب الحديث بنفسه ورحل فيه إلى الشام والإسكندرية والحجاز، فأخذ عن ابن الموازيني، وابن مشرف، وعن يحيى بن الصواف وابن قيم الجوزية وآخرين يجمعهم معجمه [4] .

٧- ابن عبدالهادي:

الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن قدامة المقدسي الفقية الحنبلي، المقرئ، المحدث، الحافظ، الناقد، النحوي، توفي سنة ٧٤٤هـ[5]، قال ابن رجب في ترجمته ابن قيم الجوزية : "كان الفضلاء يعظمونه ويتتلمذون لــه، كابن

---

(1) شذرات الذهب ٥٧٨/٨، ٥٧٩ .

(2) ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب ٤٤٧/٢- ٤٥٠ .

(3) الدرر الكامنة ٩٣/٣ .

(4) المصدر نفسه ١٣٤/٣ .

(5) البدر الطالع ١٠٨/٢ .

عبدالهادي وغيره"[١] .

٨- النابلسي:

محمد بن عبدالقادر بن عثمان بن عبدالرحمن النابلسي الحنبلي، صحب ابن قيم الجوزية وتفقه به وقرأ عليه أكثر تصانيفه، وهو صاحب (مختصر طبقات الحنابلة)، توفي سنة ٧٩٧هـ [٢] .

٩- المقري:

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي التلمساني، المتوفى سنة ٧٥٩هـ، ولقد أشار حفيده في (نفح الطيب) أن جده سمع من ابن قيم الجوزية الحديث بدمشق، وأعجب به وأثنى عليه [٣] .

١٠- الغزي:

شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن الخضر الزبيري الغزي الشافعي، توفي سنة ٨٠٨هـ[٤]، قال الشوكاني[٥]: "دخل دمشق فأخذ ا عن ابن كثير، والتقي السبكي، وابن قيم الجوزية، وغيرهم" .

---

(1) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥٠/٢ .

(2) الدرر الكامنة ١٣٨/٤، ١٣٩ .

(3) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق : إحسان عبدالقدوس، ج٥، ط١، ١٣٨٨هـ، دار صادر ، بيروت ، ص٢٥٤ .

(4) شذرات الذهب ١١٧/٩ .

(5) البدر الطالع ٢٥٤/٢ .

المبحث الثاني
المناظرة مفهومها وضوابطها وآدابها

المطلب الأول: مفهوم المناظرة .

المطلب الثاني: الضوابط الإجرائية للمناظرة .

المطلب الثالث: آداب المناظرة .

المطلب الأول: مفهوم المناظرة :

تعريف المناظرة في اللغة:

تعود لفظة المناظرة إلى أصل ثلاثي هو النون، والظاء، والراء (نظر) . وهو أصل صحيح ترجع فروعه إلى معنى واحد، يفيد تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويتسع فيه ليشمل المعاينة والتجاور والانتظار وغيرها [١] .

والنظر: تأمل الشيء بالعين .

والنظر: التجاور، ويقال حي حلالٌ ونظر، أي: متجاورون يرى بعضهم بعضاً، وداري تنظر إلى دار فلان، ودورنا تناظر، أي: تقابل [٢] .

والنظر: الانتظار، يقال: نظرت فلاناً وانتظرته بمعنى واحد، أي: وقفت وتمهلت، وتقول العرب: أنظرني أي انتظرني قليلاً .

والتناظر: التراوض في الأمر، ونظيرك الذي يرواضك، وتراوضه وتناظرة [٣].

والمناظرة: من المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته [٤] .

والمناظرة: أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه [٥] .

والنظير: الشبيه [٦] .

وقيل النظير: المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي مثلك؛ لأنه إذا نظر إليهمـا

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، مادة: نظر ، ج٥، دار الكتب العلمية قم، إيران، ص ٤٤٤ .

(2) الصحاح، الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، مادة: نظر ، ج٢، ط٢، ١٣٩٩هـ ـ دار العلـم للملايين بيروت ، ص٨٣٠.

(3) لسان العرب، ابن منظور، مادة: نظر، ج٥، دار صادر بيروت ، ص ٢١٦، ٢١٩ .

(4) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص٤٩٨ .

(5) لسان العرب، مادة: نظر .

(6) المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، ج٢، ط١، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية بيروت، ص٨٢٨.

الناظر رآهما سواء [١] .

ومن هذه المعاني يمكن القول: إن التعريف اللغوي للمناظرة، يتضمن المعاينة، والمشابهة، والمباحثة، والتجاور، والانتظار، والتقابل وإبصار كل منهما الآخر، أو رؤيتهما متقابلين .

تعريف المناظرة اصطلاحاً:

هناك تعريفات اصطلاحية عديدة للمناظرة تتشابه فيما بينها، من أهمها:

١-النظر بالبصيرة من الجانبين، في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب [٢].

٢-حوار ومناقشة، أو محاضرة يشترك فيها اثنان أو أكثر، بحيث يتبنى كل واحد رأياً مخالفاً، يحاول أن يعرضه مع براهينه؛ تأييداً لرأيه، ودحضاً لرأي خصمه، والفائز من المناظرين صاحب البراهين الدامغة، والأسلوب الرشيق، والبراعة في الحديث[٣].

٣-المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق، فكأنها بالمعنى الاصطلاحي مشاركتهما في النظر الذي هو الفكر المؤدي إلى علم أو غلبة ظن ليظهر الصواب [٤] .

٤-تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق [٥] .

---

(1) لسان العرب، مادة: نظر .

(2) التعريفات، الجرجاني ، ط١، ١٤٠٣هـ دار الكتب العلمية، بيروت ، ص ٢٣٢ .

(3) المعجم المفصل في الأدب ٨٢٨/٢ .

(4) آداب البحث والمناظرة، محمد الأمين الشنقيطي، ج٢، ط١ (د.ت.)، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ص٣ .

(5) رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٧، ١٣٧٨هـ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ، ص٦ .

٥-محاورة بين مختلفين، مبنية على النظر بقصد إظهار الحق [١] .

٦-هي المحاورة بين فريقين حول موضوع، لكل منهما وجهة نظر، تخالف وجهـة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره، وإبطال وجهة نظر خصمه، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره [٢] .

ويمكن تعريف المناظرة بأ ا: حوار بين فكرين مختلفين، أو نظيرين، يحاول كل منهما إثبات وجهة نظرة، وإبطال وجهة نظر الآخر .

---

(1) أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام، إبراهيم الحميدان (رسالة دكتـوراه لم تنـشر بعـد) ،١٤١٤هـ، ص ٧ .

(2) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة،عبدالرحمن الميداني، ط٣، ١٤٠٨هـ دار القلم، دمـشق ، ص٣٧١ .

المطلب الثاني: الضوابط الإجرائية للمناظرة :

لم يكن العلماء الأوائل محتاجين إلى وضع قواعد تبصرهم في الطريقة المثلى للحوار مع مخالفيهم؛ لما وهبهم الله من سلامة الفطرة وصفاء الذهن. ولما طال العهد وقصرت القرائح؛ احتاج الناس إلى تعريفهم بضوابط المناظرة وإلى استنباط قواعد يلتزمها من يجريها، فأصبحت كتب هذا العلم تتحدث عن الأمور التي تجري فيها المناظرة، مثل: التعريفات، والتقسيمات، والتصديقات، والنقل، والمركب الناقص، والعبارة.

أولاً: المناظرة في التعريفات :

أقسام التعريف:

ينقسم التعريف عند علماء البحث والمناظرة إلى أربعة أقسام :

١-التعريف اللفظي، هو: ما يقصد به تفسير مدلول لفظ بلفظ أوضح منه دلالة على المعنى، كقولهم: الشادن ولد الظبية .

٢- التعريف التنبيهي، هو: ما يقصد به إحضار صورة مخزونة في خيال المخاطب قد غابت عنه بعد سبق علمه ا [(١)] .

الفرق بين التعريف اللفظي والتعريف التنبيهي :

الفرق بين اللفظي والتنبيهي اعتباري؛ لأن الاعتبار فيه بحال المخاطب، فإن لم يسبق به علم بمعنى الحقيقة المعرفة؛ فالتعريف لفظي، وإن كان قد سبق لـه ا علم ولكنها غابت عن ذهنه وأراد المعرف إحضار معناها الغائب عنه في ذهنه؛ فالتعريف تنبيهي [(٢)] .

٣-التعريف الحقيقي، هو: التعريف بالحد أو بالرسم لماهِية لها أفراد موجودة في

(1) رسالة الآداب، ص٥٢، ٥٣ .

(2) انظر: آداب البحث والمناظرة ٢٥/٢ .

الخارج، كتعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق، أو حيوان ضاحك [١].

٤-التعريف الأسمى، هو: تعريف لماهية متخيلة ولكن لا يعلم وجودها في الخارج سواء أكان لها وجود في الواقع أم لا، كتعريف العنقاء بأنه طائر طويل العنق يصطاد الصبيان وصغار البقر [٢].

أقسام التعريفين الأسمى والحقيقي :

ينقسم كل من التعريفين الأسمى والحقيقي إلى أربعة أقسام؛ لأن كلا منهما إما حد، وإما رسم، وكل من الحد والرسم إما تام، وإما ناقص، فتكون أقسام كل منهما: الحد التام، والحد الناقص، والرسم التام، والرسم الناقص [٣].

الحد التام، هو: ما كان تعريفاً للشيء بذكر تمام ذاتياته، أي بذكر جنسه وفصله القريبين، أو بما هو مماثل لهما، مثل تعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق، فجنسه القريب هو الحيوان، وفصله القريب هو ناطق، ويشترط فيه تقديم الجنس على الفصل في الذكر[٤].

الحد الناقص، هو: ما كان تعريفاً للشيء بذكر البعض الذي يفصله عن غيره من ذاتياته، ويكون ذلك بذكر فصله القريب فقط، كتعريف الإنسان بأنه ناطق، أو بذكر فصله القريب مع جنسه البعيد، أو بما هو مماثل لذلك، كتعريف الإنسان بأنه جسم ناطق، فجنسه البعيد هو الجسم، وفصله القريب هو ناطق [٥].

الرسم التام، هو: تعريف الماهية بالخاصة مع الجنس القريب، كتعريف الإنسان

---

(1) ضوابط المعرفة ، ص ٣٨٤ .
(2) ضوابط المعرفة، ص ٣٨٥ .
(3) رسالة الآداب، ص ٥٧ .
(4) ضوابط المعرفة، ص ٦٣ .
(5) المرجع نفسه ، ص ٦٤ .

بأنه الحيوان الضاحك أو الحيوان الكاتب [1] .

الرسم الناقص، هو: ما تألف من الجنس البعيد والخاصة أو من العرضيات البحته، كقولنا: الإنسان جسم ضاحك [2] .

شروط التعريف:

لكل من التعريفين الأسمى والحقيقي شروط صحة إذا اختل واحد منها فسد التعريف، وشروط حسن لا يترتب على الإخلال ا فساد التعريف، ولكن يترتب على الإخلال ا الإخلال بحسن التعريف .

شروط صحة التعريفين :

الأول: أن يكون جامعاً لكل فرد من أفراد المعرف؛ لئلا يتوهم أن بعض أفراد المعرف ليست منه.

الثاني: أن يكون مانعاً من دخول فرد من غير المعرف فيه؛ لئلا يتوهم أن شيئاً ليس من المعرف داخل فيه .

الثالث: ألا يستلزم المحال، كالدور، والتسلسل، واجتماع النقيضين .

الرابع: أن يكون التعريف أجلى من المعرف؛ ليكون أوضح وأيسر عند العقل، وليكون ذلك موصلاً إلى الغرض المقصود من التعريف، وهو إيضاح المعرف للسامع[3].

شروط حسن التعريفين :

الأول: السلامة من الأغلاط اللفظية .

الثاني: أن لا يكون في ألفاظ التعريف لفظ مجازي إلا مع قرينة تعين المراد.

الثالث: أن لا يكون فيه لفظ مشترك بين معنيين فأكثر إلا مع قرينة تعين المراد .

الرابع: ألا يكون في التعريف لفظ غريب غير ظاهر الدلالة على معناه المراد به أو

---

(1) آداب البحث والمناظرة ٤٠/١ .

(2) رسالة الآداب ، ص ٥٨ .

(3) رسالة الآداب، ص ٥٩، ٦٠ .

موهم لمعنى غير المعنى المراد لصاحب التعريف [1] .

أما التعريف اللفظي، فيشترط فيه أن يكون أوضح من المعرف؛ ليؤدي المقصود منه، سواء كان بلفظ مفرد مرادف للمعرف، أو أخص منه، أو أعم، كما يجوز أن يكون بمركب يقصد به تعيين المعنى، لا تفصيله [2] .

ضوابط المناظرة في التعريفات :

أ- الذي يوجه الاعتراض على التعريف؛ يطلق عليه اسم مستدل، وبعضهم يطلق عليه اسم سائل. وصاحب التعريف الذي يدافع عن صحة تعريفه، فيبين سقوط الاعتراض؛ يطلق عليه اسم مانع، وبعضهم يطلق عليه اسم مدافع [3] .

ب-يوجه الاعتراض على التعريف بفقدانه شرطاً أو أكثر من شروط الصحة أو الحسن التي سبق ذكرها. ويكون الاعتراض على التعريف بأخذ وجه الاعتراض مقدمة صغرى من دليل المعترض مبيناً معه الفرد أو الأفراد أو الكلمة التي كانت منشأه، ثم يضاف إليها قضية كبرى ، صور ا في الاعتراض على الإخلال بشروط الصحة أن يقال: وكل تعريف هذا شأنه فهو فاسد وفي الاعتراض على الإخلال بشروط الحسن أن يقال: وكل تعريف هذا شأنه فهو غير حسن، ومثال على ذلك قول صاحب التعريف الزاوية شكل هندسي حاصل من تلاقي مستقيمين في نقطة واحدة يساوي طول القوس الموصل بينهما (90°)، فيقول المعترض: هذا التعريف غير جامع؛ لأنه لا يشمل الزاوية الحادة ولا المنفرجة مع أن لفظ الزاوية يصدق على كل واحدة منهما، وكل تعريف هذا شأنه فهو فاسد [4] .

---

(1) آداب البحث والمناظرة ٢٨/٢، ٢٩ .

(2) رسالة الآداب ، ص ٦١، ٦٢ .

(3) ضوابط المعرفة، ص ٣٨٥، ٣٨٦ .

(4) انظر: رسالة الآداب ، ص ٦٨ .

ج- الأجوبة التي يدفع ـا المانع صاحب التعريف عن أوجه الاعتراضات الأربعة التي يوجهها المستدل على التعريف ترجع إلى ما يلي :

أولاً: إذا كان الاعتراض على التعريف كونه غير جامع أو غير مانع؛ فالجواب عنه بتحرير المراد، وهو أربعة أنواع :

١- تحرير المراد من المعرف:

وهو عبارة عن تفسيره بمعنى مقصود لـه أعم أو أخص من المعـنى المتبادر منه، ليصير المعرف مساوياً للتعريف .

٢- تحرير المراد من بعض أجزاء التعريف :

وهو أن يعمد صاحب التعريف إلى جزء من أجزائه، فيفسره بمعنى مقصود لـه أعم أو أخص من المعنى المتبادر منه؛ ليصير التعريف مساوياً للمعرف .

٣- تحرير المراد من المذهب العلمي الذي بني عليه التعريف :

قد يختلف التعريف باختلاف المذهب العلمي الذي بني عليه، فيقدم صاحب التعريف تعريفه وفق المذهب الذي يذهب إليه، ويعترض عليـه المستدل وفق مذهب آخر يذهب هو إليه، عندئذ يكون جـواب المـانع صاحب التعريف ببيان المذهب الذي بنى عليه تعريفه، وينـدفع بـذلك الاعتراض على التعريف.

٤- تحرير المراد من نوع التعريف :

ويكون في اعتراض المعترض على التعريف متوهماً كونه حقيقيـاً أو اسمياً في حال كونه لفظياً، أو متوهماً كونه حداً تاماً وهو ناقص، أو كونه حقيقياً، وهو اسمي. وضابط هذا النوع أن يبين صاحب التعريف النوع

الذي أراده من تعريفه [1] .

ثانياً: إذا كان الاعتراض الموجه على التعريف يتضمن كون التعريف غير أظهر من المعرف؛ أمكن الجواب بمنع ذلك، باعتبار أن الظهور والخفاء نسبيان، يراعى فيهما دائماً حال المخاطب [2] .

ثالثاً: إذا اعترض المعلل بأن هذا التعريف مستلزم للمحال، فجواب صاحب التعريف عليه يكون بمنع استلزام التعريف لما ذكر من المحال، كالدور مثلاً، وذلك ببيان أن الدور مثلاً من قبيل الدور المعي [3] ، وهو جائز لا يلزم المحال، وليس من قبيل الدور السبقي[4]، وببيان أن الجهة منفكة، فالدور غير مطابق؛ لانفكاك الجهة[5] .

رابعاً: إذا كان الاعتراض الموجه على التعريف يتضمن كون التعريف غير مستوف لشروط حسنه، فمن ذلك مثلاً:

أ- أن تكون فيه لفظة غير صحيحة، فلصاحب التعريف عن ذلك جوابان:

١- منع كون ذلك اللفظ غلطاً؛ لجريانه على بعض المذاهب النحوية.

٢- القول بموجبه بأن يقول: سلمنا أن ذلك اللفظ غلط ولكنه لا تتوقف عليه صحة التعريف، فالتعريف صحيح، ولا يلزمني في التعريف غير ذلك.

ب- أن تكون فيه لفظة مستعملة على سبيل المجاز لا الحقيقة، ومن دون قرينة. ولصاحب التعريف عن ذلك جوابان :

---

(1) انظر: ضوابط المعرفة ، ص ٣٨٦- ٣٨٨ ؛ وآداب البحث والمناظرة ٣١/٢- ٣٣ ؛ ورسالة الآداب ، ص٦٩- ٧٠ .

(2) انظر: آداب البحث والمناظرة، ٣٤/٢؛ ورسالة الآداب، ص٧٢؛ وضوابط المعرفة ، ص٣٨٩ .

(3) الدور المعي هو: مالا محال فيه وفيه توقف معرفة المحدود على معرفة الحد إلا أنه لا يشترط سبق أحدهما للآخر. (آداب البحث والمناظرة ٤٥/١) .

(4) الدور السبقي هو: أن تكون معرفة الحد يشترط لها سبقية معرفة بعض ألفاظ المحدود. (آداب البحث والمناظرة ٤٥/١) .

(5) انظر: ضوابط المعرفة، ص ٣٨٩؛ وآداب البحث والمناظرة ٣٤/٢ ؛ ورسالة الآداب، ص٧٢ .

١- أن يدعي أن ذلك اللفظ المجازي صار حقيقة عرفية في المعني المقصود، إذا كان واقع الأمر كذلك .

٢- أن يدعي أن ثم قرينة تبين المراد ولكن المعترض غفل عنها [١] .

ج- أن تكون فيه لفظة مجملة تحتمل معنيين فأكثر بالتساوي، دون بيان المعنى المراد، فلصاحب التعريف عن ذلك ثلاثة أجوبة :

١-أن يجيب بأن اللفظ المدعى أنه مشترك قد صار حقيقة عرفية في المعنى الذي يقصده دون غيره من المعاني .

٢-القول بموجبه، وذلك بأن يقول: سلمنا كونه مشتركاً، ولكن عدم حسن استعمال المشترك في التعريف محله فيما لم تصح فيه إرادة كل معنى من معانيه، وهنا تصح إرادة كل معنى من معانيه .

٣-إثبات قرينة تعيين المراد من المشترك، وقد غفل المعترض عنها فوجه اعتراضه[٢].

ترتيب المناظرة في التعريف :

خطوات المناظرة التي تتبع في التعريف هي :

أولاً: ينظر هل نقل صاحب التعريف تعريفه الذي ذكره أو جاء به من عنده ؟ فإن كان ناقلاً له؛ لم يلتزم صحته، فليس للمعترض إلا أن يطالب بإثبات صحة النقل، ومتى أثبت مورد التعريف ما يفيد أن نقله صحيح وفق طرائق إثبات النقول والمرويات؛ فقد أدى ما عليه وينتهي الأمر بذلك، وإن كان ملتزماً صحة ما نقل أو غير ناقل بل هو آتٍ بالتعريف من تلقاء نفسه؛ فإن مناقشته والاعتراض عليه يكون وفق ما يلي :

١-هل في تعريفه لفظ غير واضح المعنى ؟ فيسأل ويستفسر عنه، وعلى مورد التعريف أن يبين مراده .

(1) انظر: ضوابط المعرفة ، ص ٣٩٠، ٣٩١؛ وآداب البحث والمناظرة ٣٥/٢ .

(2) انظر: ضوابط المعرفة، ص ٣٩١؛ آداب البحث والمناظرة ٣٥/٢، ٣٦؛ ورسالة الآداب، ص ٧٤ .

٢-ينظر في التعريف؛ هل هو مستوف شروط الصحة، وشروط الحسن، فإن كان كذلك فهو تعريف صحيح يجب قبوله والتسليم به.

٣-ينظر في التعريف؛ هل تضمن دعاوى ضمنية، بأنه - مثلاً- حقيقي أو حد تام أو رسم تام، فإن تضمن شيئاً من ذلك، كان للمعترض أن يوجه اعتراضه بادعاء أن التعريف ليس بحقيقي أو ليس بحد تام، وعليه أن يقيم الدليل على ذلك بما ينتج دعواه [١] .

ثانياً: المناظرة في التقسيم:

معنى التقسيم:

التقسيم في **اللغة:** التفريق، يقال قسمهم الدهر يقسمهم فتقسموا، أي: فرقهم فتفرقوا، وقسمهم فرقهم قسماً هنا وقسماً هنا [٢] .

أنواع التقسيم:

التقسيم في **اصطلاح العلماء على نوعين:**

الأول: تقسيم الكل إلى أجزائه: هو تحصيل الحقيقة المركبة بذكر جميع أجزائها التي تتركب منها، كقول الكيميائي مثلاً: الماء أوكسجين وهيدروجين متحدان، وكقول النجار: الكرسي خشب ومسامير [٣] .

شروط صحة تقسيم الكل إلى أجزائه :

١- أن يكون التقسيم حاصراً، أي: أن يكون جامعاً لجميع أجزاء المقْسِم، مانعاً من دخول أي جزء ليس هو من أجزائه .

٢- أن يكون كل قسم مبايناً لما عداه من الأقسام، ومبايناً للمقْسِم، باعتبار أن

---

(1) انظر: رسالة الآداب، ص ٧٥- ٧٧؛ وآداب البحث والمناظرة ٢/٣٠، ٣١؛ وضوابط المعرفة، ص٣٩٢، ٣٩٣ .

(2) لسان العرب، مادة: قسم .

(3) ضوابط المعرفة، ص ٣٩٤ .

الكل مباين لأي جزء من أجزائه، فلا يقال على الأكسجين وحده ماء أو على الهيدروجين وحده ماء؛ للتباين بين الكل وأجزائه .

فإذا استوفى تقسيم الكل لأجزائه هذين الشرطين؛ كان تقسيماً صحيحاً، لا يوجه له الاعتراض بالفساد (١) .

الثاني: تقسيم الكلّي إلى جزئياته: هو ضم قيود متباينة أو متخالفة إلى المقسم، لتحصيل أقسام متباينة أو متخالفة بعد تلك القيود، كقول النحوي في تقسيم الكلمة: الكلمة إن لم تدل على معنى في نفسها؛ فهي الحرف، وإن دلت على معنى في نفسها، فإن كان الزمن جزءاً من معناها؛ فهي الفعل، وإن لم يكن الزمن جزءاً من معناها؛ فهي الاسم، فالكلمة: حرف وفعل واسم (٢) .

شروط صحة تقسيم الكلّي إلى جزئياته :

١- أن يكون حاصراً، أي: أن يكون جامعاً لكل الأقسام التي ينقسم إليها الكلّي، وأن يكون مانعاً من دخول ما ليس من أقسامه .

٢- أن يكون كل قسم أخص مطلقاً من المقسم، أي: لا مساوياً له، ولا أعم مطلقاً منه، ولا مبايناً له، ولا أعم من وجه وأخص من وجه.

٣- أن يكون كل قسم مبايناً لما عداه من الأقسام، أي: ليس بينه وبين بعض الأقسام الأخرى مساواة، ولا عموم أو خصوص مطلق، ولا عموم وخصوص من وجه .

فإذا استوفى تقسيم الكلي لجزئياته هذه الشروط؛ كان تقسيماً صحيحاً لا يتوجه له الاعتراض بالفساد (٣).

أنواع تقسيم الكلي إلى جزئياته:

---

(1) المرجع نفسه، ص٣٩٥ .
(2) رسالة الآداب، ص١٧ .
(3) ضوابط المعرفة، ص ٣٩٦ .

لتقسيم الكلي إلى جزئياته أنواع متعددة باعتبارات مختلفة؛ فهو بالنظر إلى تباين الأقسام وتخالفها ينقسم إلى حقيقي واعتباري، وبالنظر إلى انحصار المقسم فيما يـذكر من الأقسام ينقسم إلى عقلي واستقرائي [١] .

التقسيم الحقيقي :

هو ما كانت الأقسام فيه متباينة في العقل، ومتباينة في الخارج، وذلك بأن يجـد العقل لكل قسم منها حقيقة تباين حقيقة ما عداه من الأقسام، و ا يتميز عـن كـل واحد منها، ثم لا يكون في الواقع خارج الذهن قسم واحد منها يمكن أن تتحقق فيـه حقيقة من حقائق الأقسام الأخرى المباينة لـه ولو باعتبارات مختلفات. ومثاله تقـسيم الزاوية إلى حادة وقائمة ومنفرجة، فالعقل يقضي ذه القسمة، ويضع لكل قسم مـن الأقسام الثلاثة حقيقة تميزه عن القسمين الآخرين و ذه الحقيقة تظهر مباينتـه لكـل منهما. وليس من الممكن أن توجد في الواقع زاوية هي حادة وقائمة معاً مهما اختلفت الاعتبارات [٢].

التقسيم الاعتباري:

هو ما كانت الأقسام فيه مختلفة في العقل وحده، ولكن من الممكن أن يوجد في الخارج شيء واحد تتحقق فيه حقائق الأقسام باعتبارات مختلفة [٣] ، فمثلاً الجهـات تنقسم إلى ستة أقسام: فوق وتحت وأمام وخلف وذات اليمين وذات الشمال، فالعقل يجد لكل قسم من هذه الأقسام حقيقة تخالف حقيقة كل قسم من الأقسام الأخـرى، ولكن يلاحظ في الواقع أن بعض ما ينطبق عليه أنه فوق باعتبار، هو تحت باعتبار آخر، وأمام باعتبار ثالث، وخلف باعتبار رابع؛ فالكعبة - مثلاً- فوق الأرض وتحت السماء،

---

(1) انظر: رسالة الآداب، ص ٢١؛ وضوابط المعرفة، ص ٣٩٦؛ وآداب البحث والمناظرة ٩/٢ .

(2) ضوابط المعرفة ، ص٣٩٧؛ وانظر: رسالة الآداب، ص٢١؛ وآداب البحث والمناظرة ٩/٢ .

(3) رسالة الآداب، ص٢٢ .

وأمام المتجه إليها، وخلف المستدير لها، وعن يمين الواقف إلى جهة الميزاب متجهـاً إلى الشرق، وعن يسار الواقف بين الركنيين اليمانيين متجهاً إلى الشرق أيضاً، فاجتمعـت هذه الأقسام الستة كلها في شيء واحد باعتبارات مختلفات [١] .

التقسيم العقلي :

هو ما يجزم العقل فيه بانحصار المقسم في أقسامه بمجرد النظر في القـسمة [٢] ، وضابط التقسيم العقلي هو تقسيم المقسم إلى الشيء ونقيضه، كالقول: العدد إما زوج وإما ليس بزوج، والمعلوم إما موجود، أو ليس بموجود، أو تقسيم المقسم إلى الـشيء ومساوي نقيضه،كالقول: العدد إما زوج وإما فرد؛ لأن لفظة فرد مساوية لليس بزوج؛ لأن العقل يحكم بمجرد النظر في الشيء ونقيضه، إذ لا واسطة بين النقيـضين ألبتـة، وكذلك: الشيء ومساوي نقيضه، فالعقل يحكم بمجرد النظر فيهما بحـصر الأقـسام فيهما[٣].

التقسيم الاستقرائي :

هو ما كان حصر المقسم في أقسامه فيه بطريق الاستقراء. فهو ما لا يحكم العقل فيه بحصر ولكن صاحب التقسيم استقرى الأقسام، أي: تتبعها حـتى علـم بـالتتبع والاستقراء أنه لم يبق قسم في الخارج غير ما ذكر كما يقال: العنصر إما مـاء وإمـا تراب، وإما هواء، وإما نار، والكلمة إما اسم، وإما فعل، وإما حرف. ودلالـة هـذا التقسيم قد تكون قطعية وقد تكون ظنية [٤] .

ضوابط المناظرة في التقسيم :

---

(1) ضوابط المعرفة، ص ٣٩٩.

(2) رسالة الآداب، ص٢٤ .

(3) آداب البحث والمناظرة ١١/٢ .

(4) انظر: آداب البحث والمناظرة ١٢/٢؛ ورسالة الآداب، ص٢٥؛ وضوابط المعرفة ، ص٤٠٠ .

أ- الذي يوجه الاعتراض على التقسيم يطلق عليه اسم مستدل، وصاحب التقسيم أو الذي ينصب نفسه للدفاع عنه ولبيان سقوط الاعتراض يطلق عليه اسم مانع.

ب- يوجه الاعتراض على التقسيم بما يخالف شروطه التي سبق بيا ا [1] .

ج- يجاب عن كل الاعتراضات التي ترد على التقسيمات بتحرير المـراد. وهـو أن يوضح صاحب التقسيم مراده الذي قصده في تقسيمه بما يدفع عنه الاعتراض، وهو أربعة أنواع:

النوع الأول: تحرير المراد من المقسم: وهو أن يوضح صاحب التقسيم أنه قصد به معنى لا يوجه إليه الاعتراض وأنه غير المعنى الذي ظنه الـسائل، كقـول صـاحب التقسيم: الكلمة إما اسم، أو فعل، فيعترض المستدل على هذا التقسيم، فيقـول: هـو تقسيم استقرائي غير حاصر للأقسام الموجودة في الخارج؛ لأنه لا يشمل الحرف وهـو قسم من أقسام الكلمة، فيجيب صاحب التقسيم، فيقول: أمنع كونه غير حاصر بتحرير مراده، ويوضح، أن مراده بالمقسم الكلمة معنى خاص، وهو ما دل على معنى في نفسه، والحرف لا يدل على معنى في نفسه؛ فيندفع الاعتراض بتحرير المراد من المقسم[2] .

النوع الثاني: تحرير المراد من الأقسام أو بعضها: بأن تفسر القِسم تفسيراً غـير المتبادر منه بحيث يدفع الاعتراض [3] ، ومثاله: أورد صاحب التقسيم تقسيما للأحكام الشرعية، فقال: هي إما واجب، وإما جائز، وإما حرام، فاعترض المستدل بـأن هـذا التقسيم غير حاصر لخروج المندوب والمكروه منه، وهما من الأحكام الشرعية؛ فأجاب المانع بتحرير مراده من بعض الأقسام، فقال: لم أرد بالجائز ما هو مـستوي الطـرفين فقط، وإنما أردت به ما يشمل مستوي الطرفين، وجائز الفعل مع الكراهه، وجائز الترك

---

(1) ضوابط المعرفة، ص ٤٠٠، ٤٠١ .

(2) آداب البحث والمناظرة ١٨/٢ .

(3) رسالة الآداب، ص ٣٥ .

مع مخالفة ما هو الأفضل[1].

النوع الثالث: تحرير المراد من التقسيم: فقد يذكر المانع تقسيماً استقرائياً على طريقة التردد بين النفي والإثبات، فيوجه المستدل اعتراضه على التقسيم بسبب اختلاف فهمه لنوع التقسيم، فيظن أن التقسيم –مثلاً- هو من نوع التقسيم العقلى، أو من نوع التقسيم الحقيقي، عندئذ يكون جواب المانع بتحرير مراده من نوع التقسيم، ومثال ذلك: أن يورد صاحب التقسيم تقسيماً لأصناف الإنسان من جهة الذكورة والأنوثة، فيقول: الإنسان إما ذكر وإما لا، والثاني إما أنثى وإما لا، والثالث الخنثى، فالأصناف ثلاثة. ونظراً إلى أنه أورد التقسيم بصيغة التقسيم العقلي، أوهم أنه يقسم تقسيماً عقلياً، فاعترض المستدل بأن هذا التقسيم غير حاصر؛ لأن العقل لا يمنع من وجود قسم رابع، فأجاب المانع بتحرير مراده من التقسيم، فقال للمستدل: أمنع اعتراضك؛ لأن هذا التقسيم هو من قبيل التقسيم الاستقرائي، لا من قبيل التقسيم العقلي، فهو بذلك تقسيم حاصر؛ لأنه لا يوجد في الواقع غير هذه الأصناف الثلاثة للإنسان [2] .

النوع الرابع: تحرير المراد من المذهب العلمي الذي بني عليه التقسيم: وذلك أن صاحب التقسيم قد يبني تقسيمه على مذهب علمي لبعض العلماء، فيعترض عليه المستدل بمذهب آخر، عندئذ يكون جواب المانع صاحب التقسيم ببيان المذهب العلمي الذي بنى عليه تقسيمه، ويندفع بذلك اعتراض المستدل، ومثال ذلك: أن يورد صاحب التقسيم الفقيه تقسيماً لناقض الوضوء فيقول: ناقض الوضوء إما خروج شيء من أحد السبيلين، وإما نوم مستغرق فيه احتمال خروج ريح، فيعترض المستدل بأن هذا التقسيم غير حاصر؛ لأن لمس المرأة بشهوة ناقض أيضاً، ولأن أكل لحم الجزور ناقض أيضاً، فيجيب المانع صاحب التقسيم بتحرير مراده من المذهب العلمي الذي بنى عليه التقسيم

(1) ضوابط المعرفة ، ص ٤٠٣ .

(2) انظر: رسالة الآداب، ص ٣٥؛ وضوابط المعرفة ، ص ٤٠٤ .

فيقول للمستدل، أمنع اعتراضك؛ لأني بنيت تقسيمي على مذهب من لا يعتبر لمس النساء ناقضاً للوضوء، ولا يعتبر أكل لحم الجزور ناقضاً [1] .

ترتيب المناظرة في التقسيم :

المناظرة في التقسيم خطوات ينبغي اتباعها، تتمثل فيما يلي :

أولاً: ينظر في التقسيم؛ فإذا كان مورده ناقلاً له، غير ملتزم لصحته؛ فليس للمعترض إلا أن يطالب بإثبات صحة النقل، أما إذا جاء بالتقسيم من عنده، أو ذكره دون أن ينقله عن غيره، أو كان ناقلاً له وأعلن التزامه بصحته؛ فللمعترض مناقشته .

ثانياً: ينظر إلى الكلمات المستعملة في التقسيم؛ فإن كان فيها غموض أو إيهام أو ألفاظ مشتركة المعاني؛ فيستفسر عنها من صاحب التقسيم وعليه البيان والإيضاح .

ثالثاً: ينظر في جوهر التقسيم، وذلك بالتعرف على نوعه، والنسبة بين المقْسِم والأقسام كلها، والنسبة بين كل قسم وآخر، فإن كان التقسيم مستوفياً شروطه؛ وجب التسليم بصحته، وإن ظهر فيه خلل؛ كان للمعترض أن يوجه اعتراضه متضمناً بيان الخلل الذي رآه في التقسيم، وعلى صاحب التقسيم التسليم والعدول إلى تقسيم آخر أو منع الاعتراض بتحرير مراده من المقسم، أو الأقسام، أو التقسيم، أو المذهب العلمي الذي بنى عليه التقسيم [2] .

ثالثاً: المناظرة في التصديقات :

معنى التصديق : هو المركب التام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته [3] وهذا المركب التام ، يسمى بأسماء كثيرة باختلاف الاعتبارات .

فهو عند أهل اللغة جملة خبرية ، وعند المناطقة التصديق . وبالنظر إلى اشتماله على حكم يقصد إثباته بالدليل ، أو إظهاره بالتنبيه ؛ يسمى دعوى أو مدعى . وباعتبار أنه محل

---

(1) انظر: ضوابط المعرفة، ص ٤٠٥ .

(2) انظر: ضوابط المعرفة، ص ٤٠٧، ٤٠٨؛ ورسالة الآداب، ص ٣٧، ٣٨ .

(3) رسالة الآداب ، ص٩٦ .

للبحث ؛ يسمى بحثاً ، وعندما ينتجه الدليل ؛ يسمى نتيجة [١] .

أقسام التصديق: ينقسم التصديق عند علماء المناظرة إلى قسمين: التصديق النظري، والتصديق البديهي.

التصديق النظري: هو كل قضية لا يجزم العقل فيها بثبوت المحمول للموضوع أو نفيه عنه إلا بعد النظر فيها والاستدلال عليه، كأن يقال: القرآن معجزة النبي ﷺ الباقية على الدهر، أو يقال: موجد هذا العالم هو الله تعالى القديم الباقي [٢] .

التصديق البديهي: هو كل قضية لا يحتاج التسليم بمضمونها إلى نظر واستدلال، وربما احتاج إلى التنبيه فقط بالنسبة إلى الغافل عن كونه بدهياً، أو الغافل عنه أصلاً. وينقسم إلى قسمين رئيسين: البديهي الجلي والبديهي الخفي [٣] .

القسم الأول: البديهي الجلي :

وينقسم البديهي الجلي إلى أربعة أقسام :

الأول: البديهي الجلي الأولي، وهو: كل قضية يكون حكم العقل فيها بثبوت المحمول للموضوع أو نفيه عنه بمجرد تصور طرفيها - وهما المحكوم به والمحكوم عليه - من غير احتياج إلى واسطة أصلاً، كقولنا: الواحد نصف الاثنين، فمجرد تصورنا الواحد وتصورنا نصف الاثنين؛ نحكم بأن الواحد نصف الاثنين حكماً أولياً جلياً، دون واسطة تصور شيئاً آخر [٤] .

الثاني: البديهي الجلي الفطري، هو: كل قضية يحكم العقل فيها بثبوت المحمول

---

(1) ضوابط المعرفة، ص ٤٠٩ .

(2) رسالة الآداب، ص١٠٣؛ وانظر: ضوابط المعرفة، ص ٤١٠ .

(3) انظر: ضوابط المعرفة، ص ٤١٠. والتنبيه هو: مركب يقصد به إزالة الخفاء، لا الاستدلال. (آداب البحث والمناظرة ٤٢/٢) .

(4) ضوابط المعرفة ، ص٤١٠، ٤١١ .

للموضوع، بعد تصورهما بواسطة قياس منطقي فطري موجود في نفس الإنسان لا يحتاج إلى استدعاء وتأمل، ومثاله: الأربعة زوج .

فحين نتصور الأربعة ونتصور أن الزوجية هي كل عدد ينقسم إلى متساويين، ونتصور أن الأربعة هو عدد ينقسم إلى متساويين، ونتصور أن الأربعة هو عدد ينقسم إلى متساويين، فيجرى الذهن بقياس فطري جلي ينتج أن الأربعة زوج، ويكون ذلك بسرعة لا ندركها، فنحكم بأن الأربعة زوج [(١)] .

الثالث: البديهي الجلي التجريبي، هو: كل قضية يكون حكم العقل فيها بثبوت المحمول للموضوع بواسطة مشاهدات متكررة مفيدة لليقين، دون وجود ارتباط عقلي يفيد هذا الحكم، إلا أن التجربة المتكررة، والمشاهدة المتكررة، قد جعلت الفكر يحكم بالارتباط المفيد للحكم دون الحاجة إلى فهم العلاقة السببية المنطقية القاضية بما دلت عليه التجربة والمشاهدة، ومن أمثلته: الماء يروي، الخبز يشبع الجائع، بطر النعمة سبب لزوالها، فالأحكام التي تضمنتها هذه القضايا أحكام استند الفكر فيها إلى تجارب ومشاهدات متكررة، فأصدر فيها أحكاماً بديهة جلية تجريبية [(٢)] .

الرابع: البديهي الجلي المشترك بين العامة، وهو على نوعين :

أ- البديهي المشترك الحسي، وهو: كل قضية يكون حكم العقل فيها بثبوت المحمول للموضوع راجعاً إلى إدراك الحواس الظاهرة؛ مثل: الشمس مضيئة، والنار محرقة، والسكين قاطعة .

ب- البديهي المشترك الوجداني، هو: كل قضية يحكم العقل فيها بثبوت المحمول للموضوع، استناداً إلى إدراك الحواس الباطنة، مثل: الغضب انفعال نفسي مزعج، وبذكر الله تطمئن القلوب وتنشرح الصدور، الهم اشتغال النفس

---

(1) المرجع السابق ، ص٤١١ .

(2) المرجع السابق ، ص ٤١١، ٤١٢ .

بتحقيق مرغوب غير مضمون مع تألمها من ذلك، فالأحكام التي تضمنتها هذه القضايا أحكام استند الفكر فيها إلى إدراكات وجدانية بالحواس الباطنة [١] .

القسم الثاني: البديهي الخفي، وأشهر أنواعه اثنان:

الأول: البديهي الخفي الحدسي هو: كل قضية يحكم فيها العقل بثبوت المحمول للموضوع، استناداً إلى حدس قوي من النفس يزول معه الشك ويحصل به اليقين، كقول: ارتفاع الماء في الأ ار سبب ارتفاع ماء الآبار .

الثاني: البديهي الخفي المتواتر، وهو: كل قضية يحكم العقل فيها بثبوت المحمـول للموضوع، استناداً إلى إخبار جماعة من الناس يؤمن اتفاقهم على الكذب. ومثال ذلك القول: مكة المكرمة موجودة، وأبو بكر الصديق ﷺ أول خلفـاء الإسـلام، بويـع بالخلافة في سقيفة بني ساعدة أولاً وفي مسجد رسول الله ﷺ ثانياً [٢] .

ضوابط المناظرة في التصديقات :

أ- الذي يوجه الاعتراض على التصديق يطلق عليه اسم سائل، وصاحب التصديق أو الذي ينصب نفسه للدفاع عنه ولبيان سقوط الاعتراض يطلق عليـه اسـم معلل[٣] .

ب- ما تجرى فيه المناظرة في التصديقات :

لقد علمنا مما سبق أن التصديق ينقسم إلى قسمين: تصديق نظـري، وتـصديق بديهي. والبديهي ينقسم إلى قسمين: بديهي جلي، وبديهي خفي. وكمـا تـبين أن النظري يحتاج إلى النظر والاستدلال؛ لكي يجزم العقل فيه بثبوت المحكوم به للمحكوم عليه، أما البديهي الجلي لا يحتاج إلى استدلال أو تنبيه؛ فليس محلاً للمناظرة ولا يجوز لأحد اعتراضه بحال، والمناقشة فيه تسمى مكابرة، أما البديهي الخفـي فتجـري فيـه

---

(1) انظر: رسالة الآداب، ص١٠٠، ١٠١ ؛ ضوابط المعرفة، ص ٤١٢؛ آداب البحث والمناظرة ٤٠/٢.

(2) انظر: آداب البحث والمناظرة ص ٤٠، ٤١؛ ورسالة الآداب، ص ١٠١، ١٠٢ .

(3) ضوابط المعرفة، ص٤١٤ .

المناظرة؛ لكونه شبيها بالتصديق النظري، لحاجة الغافل عن بداهته إلى ما ينبهه على حقيقته، وما يقدم لإثباته يسمى تنبيهاً ولا يسمى دليلاً [1] .

فتكون المناظرة في قسمين من التصديقات، هما: التصديق النظري، والتصديق البديهي الخفي .

ج - طريقة المناظرة في التصديقات: إذا قدم صاحب التصديق تصديقاً نظرياً، أو تصديقاً بديهياً خفياً، فلكل واحد منهما حالتان: تصديق نظري مجرد عن الدليل، وتصديق نظري مقرون بالدليل، وكذلك تصديق بديهي خفي مجرد عن التنبيه، وتصديق بديهي خفي مقرون بالتنبيه .

وليس للمعترض في حالة التصديق النظري المجرد من الدليل والتصديق البديهي الخفي المجرد من التنبيه إلا شيء واحد، وهو المنع [2] ، المجرد من السند [3] ، وذلك بأن يقول لمقدم التصديق إحدى العبارات التالية : أمنع هذه الدعوى، لا أسلم لك هذه الدعوى، هذه الدعوى ممنوعة، أو عبارة نحو ذلك مثل: ممنوع، غير مسلم [4] .

وللمعترض في حالة التصديق النظري المقرون بالدليل والتصديق البديهي الخفي المقرون بالتنبيه ثلاث طرق للمناظرة والاعتراض عليه: المنع، والمعارضة، والنقض. وسأفصل القول في كل طريق من هذه الطرق وأجوبة المعلل التي يرد بها عليها فيما يأتي – إن شاء الله - .

١ - المنع :

(1) انظر: المرجع نفسه ، ص٤١٤، ٤١٥ .

(2) آداب البحث والمناظرة ٤٣/٢ .

(3) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه آداب البحث والمناظرة ٤٣/٢: "ويكون المنع مجرداً من السند وهذا الأظهر عندي، وقد قال غير واحد من أهل هذا الفن من أن لا مانع من أن نذكر مع المنع السند الذي استند إليه في المنع، والذي يظهر أن إثباته بالسند في منع دعوى لم يقم صاحبها عليها دليلاً أنه من أنواع الغصب" .

(4) ضوابط المعرفة ، ص٤١٦ .

حقيقة المنع: طلب الدليل على ما يحتاج إلى الاستدلال، وطلب التنبيه على ما يحتاج إليه، ويكون المنع لمقدمة معينة من مقدمتي الدليل أو التنبيه. ويطلق عليه اسم الممانعة، والمنع الحقيقي، والمناقضة، والنقض التفصيلي (1) .

أقسام المنع: المنع قسمان: القسم الأول: منع مجرد من السند، وذلك بأن يقول المانع: أمنع صحة هذه الدعوى، أو يقول: لا أسلم صحة هذه الدعوى .

القسم الثاني: المنع المقترن بالسند (2) .

تعريف السند: هو ما يذكره المانع معتقداً أنه يستلزم نقيض الدعوى التي يوجه إليها المنع، ويسمى المستند .

أقسام السند: وينقسم السند باعتبار الصورة التي يورد عليها إلى ثلاثة أقسام:

١- السند اللمي، ويسمى الجوازي .
٢- السند القطعي .
٣- السند الحلي .

السند اللمي أو الجوازي:

هو ما يذكره السائل مع المنع، مبيناً فيه أن منعه يستند إلى الاحتمال العقلي الذي يجوز خلاف ما ذكر المعلل، فيقول مثلاً: لم لا يكون كذا ؟ بعد قوله: أمنع هذه الدعوى. وسمي لميا أخذاً من لفظ (لم ؟)(3) ، ومثاله: أن يقول المعلل صاحب التصديق: هذا الإنسان وارث لهذا الإنسان قطعاً، ثم يقيم الدليل على ذلك، فيقول: لأنه ابنه وكل ابن وارث لأبيه، فيقول السائل: أمنع كبرى دليلك هذا وهي قولك: وكل ابن وارث لأبيه وهذا هو المنع، ويقرن هذا المنع بالسند اللمي المقتضي جواز كون ذلك الابن لا يرث ذلك الأب، فيقول مثلاً: لم لا يجوز أن يكون الابن كافراً ؟ أو لم لا يجوز

(1) انظر: ضوابط المعرفة، ص٤٢٧ ؛ وآداب البحث والمناظرة ٤٤/٢؛ ورسالة الآداب ، ص ١١٠ .
(2) رسالة الآداب، ص ١١٠ .
(3) ضوابط المعرفة، ص ٤١٧، ٤١٨ .

أن يكون عبداً ؟ أو لم يجوز أن يكون الأب كافراً، وهكذا [١] .

السند القطعي :

وهو أن يكون السند المقرون بالمنع فيه التصريح القاطع من صاحب المنع المقترن بالسند بما ينافي دعوى المعلل التي أقام عليها الدليل من غير تعرض منه إلى بيان منشأ الغلط في الدعوى الممنوعة [٢] ومثاله : قال صاحب التصديق : الإنسان حيوان متطور من حيوان دونه في السلم الحيواني، فاعترض السائل عليه بالمنع مقروناً بالسند القطعي، فقال له: أمنع هذه الدعوى، كيف وهو ذرية آدم الذي خلقه الله من الطين مباشرة ؟ أي: كيف أسلم لك هذه الدعوى، وإني أجزم وأقطع بأن الإنسان ليس متطوراً من حيوان دونه في السلم الحيواني ؟ فما دليل صحة دعواك ؟ [٣] .

السند الحلي، وهو :

أن يكون مراد السائل المانع تبيين منشأ غلط المعلل صاحب التصديق وتعيين موضع غلطه. ويورد السند الحلي على مقدمة مبنية على الغلط بسبب اشتباه شيء بآخر[٤] ، ومثاله: أن يقول المعلل: هذه الزاوية منفرجة، فيقول السائل: لا أسلم أنها منفرجة؛ لأن محل كونها كذلك أن لو كانت تساوي أكثر من ٩٠ [٥] .

تقسيم آخر للسند:

وينقسم السند باعتبار نسبته إلى نقيض الدعوى الممنوعة في الأمر، لا بالنظر إلى اعتقاد المانع إلى ستة أقسام، ثلاثة منها هي محل المناظرة [٦] .

---

(1) آداب البحث والمناظرة ٤٩/٢ .

(2) آداب البحث والمناظرة ٥٠/٢ .

(3) ضوابط المعرفة، ص٤١٩.

(4) آداب البحث والمناظرة ٥٠/٢ .

(5) رسالة الآداب ، ص ١١٣ .

(6) المقصود من كونها محل المناظرة، أن السائل ينفعه الإتيان بها في إبطال دعوى المعلل، والمعلل ينفعه =

الأول: ما يكون نفس نقيض الدعوى الممنوعة، وهذا ينفع السائل الإتيان بـه، وينفع المعلل الاشتغال بالرد عليه، كأن يقول المعلل: هذا إنسان؛ لأنه ناطق، وكل ناطق إنسان، فيقول: السائل: لا أسلم صغري الدليل، لم لا يجوز أن يكون غـير نـاطق ؟ فالصغرى الممنوعة هو ناطق، والسند جواز كونه غير ناطق، وغير الناطق هـو عـين نقيض الناطق[1].

الثاني: ما يكون مساوياً لنقيض الدعوى الممنوعة، وهذا ينفع السائل الإتيان به، وينفع المعلل الاشتغال بالرد عليه، مثاله: أن يقول المعلل: هذه الدنانير زوج، ثم يقـيم الدليل على ذلك فيقول: لأ ا منقسمة إلى قسمين متـساويين، وكـل منقـسم إلى متساويين فهو زوج، فيقول السائل أمنع صغرى دليلك هذا، وهو قولك أ ا منقـسمة إلى متساويين، ثم يجعل هذا المنع مقروناً بالسند القطعي، فيقول: كيف تكون منقسمة إلى متساويين والحال أ ا فرد، فالسند مساوٍ لنقيض كو ا منقسمة إلى متساويين [2] .

الثالث: ما يكون السند فيه أخص مطلقاً من نقيض الدعوى الممنوعة، وهذا ينفع السائل الإتيان به، وينفع المعلل الاشتغال بالرد عليه ، ومثاله: أن يقول المعلـل: ذلـك الشبح ضاحك، ثم يقيم الدليل على ذلك، فيقول: لأنه إنسان وكل إنسان ضـاحك، فيقول السائل: أمنع صغرى دليلك هذا، وهي قولك: إن ذلك الشبح إنسان ، ثم يقرن هذا المنع بالسند اللمي، فيقول: لم لا يجوز أن يكون فرساً ؟ فالمقدمة الممنوعة كـون ذلك الشبح إنسان، ونقيضها ليس هو بإنسان، والسند هنا جواز كونه فرساً أخص من نقيض كونه إنساناً؛ لأن نقيضه غير إنسان، وغير الإنسان صادق بـالفرس وغـيره، فنقيض الدعوى الممنوعة أعم مطلقاً، والسند أخص منه مطلقاً [3] .

الاشتغال بالرد عليها. (آداب البحث والمناظرة ٥٤/٢) .

(1) انظر: آداب البحث والمناظرة ٥٣/٢، ٥٤ .

(2) انظر: آداب البحث والمناظرة ٥٤/٢؛ ضوابط المعرفة، ص٤٢٠؛ رسالة الآداب، ص١١٤ .

(3) آداب البحث والمناظرة ٥٥/٢ .

الرابع: ما يكون السند فيه أعم من الدعوى الممنوعة، وهذا لا يجوز للسائل الإتيان به، ولكنه لو خالف وجاء به أفاد المعللّ إبطاله؛ لأن نفي الأعم يستلزم نفي الأخص، ومثاله: أن يقول المعلل: هذا الشبح حجر؛ لأنه غير ناطق، وكل غير ناطق فهو حجر، فيقول السائل: أمنع صغرى دليلك وهي قولك؛ لأنه غير ناطق، فالمقدمة الممنوعة هي غير ناطق، ونقيضها هو ناطق، والسند هو الحيوان، والحيوان الذي هو السند أعم مطلقاً من الناطق الذي هو نقيض الدعوى الممنوعة [١] .

الخامس: هو ما يكون فيه السند أعم من نقيض الدعوى من وجه وأخص منه من وجه، وهذا لا يجوز للسائل الإتيان به والاستناد إليه، ولا ينفع المعلل الاشتغال بإبطاله، فلا فائدة من الإتيان به في المناظرة أصلاً، ومثاله: أن يقول المعلل هذا الشبح متنفس، ثم يقيم الدليل على ذلك، فيقول: لأنه إنسان وكل إنسان يتنفس، فيقول السائل: أمنع صغرى دليلك هذا وهي قولك: لأنه إنسان، ثم يجعل هذا المنع مقروناً بالسند اللمي، فيقول: لم يجوز أن يكون أبيض ؟ فالمقدمة الممنوعة هي كونه إنساناً، ونقيضها ليس بإنسان والسند جواز كونه أبيض، والأبيض وغير الإنسان بينهما عموم وخصوص من وجه، يجتمعان في الثلج والعاج، فكلاهما أبيض وكلاهما غير إنسان، وينفرد غير الإنسان عن الأبيض في الغراب والفحم، فكلاهما غير إنسان وليس واحد منهما بأبيض، وينفرد الأبيض عن غير الإنسان في الإنسان الأبيض؛ فهو إنسان أبيض وليس غير إنسان [٢] .

السادس: ما يكون السند مبايناً لنقيض الدعوى الممنوعة، وهذا لا يجوز للسائل الإتيان به والاستناد عليه، ولا ينفع المعلل الاشتغال بإبطاله، ومثاله: أن يقول المعلل: هذا الشبح غير مفكر، ثم يقيم الدليل على ذلك فيقول؛ لأنه غير إنسان، وكل غير

(1) انظر: آداب البحث والمناظرة ٥٦/٢؛ وضوابط المعرفة ، ص ٤٢١؛ ورسالة الآداب ص١١٤ .

(2) آداب البحث والمناظرة ٥٦/٢؛ وانظر: رسالة الآداب، ص١١٥؛ ضوابط المعرفة، ص ٤٢٢ .

إنسان فهو غير مفكر، فيقول السائل: أمنع صغرى دليلك هذا، وهي قولك: لأنه غـير إنسان، ثم يجعل هذا المنع مقروناً بالسند، فيقول: محل كونه غير إنسان إذا كان حجراً؛ فالمقدمة الممنوعة هي: غير إنسان، ونقيضها هو: إنسان، والسند هو: إذا كان حجراً، وكونه إنساناً وكونه حجراً متبايناً، لأن النسبة بين الإنسان والحجر التباين .

وهذه الأقسام الستة يجوز أن يؤتى بكل قسم منها على الأوجه الثلاثة، اللمـي، والقطعي، والحلي [١] .

أجوبة المعلل على المنع :

حين يمنع السائل دعوى أو تصديقاً لما قدمه المعلل، فللمعلل في جوابه ودفع منعه أحد جوابين:

الأول: أن يأتي بدليل :

أ- ينتج نفس الدعوى التي منعها السائل، وبذلك يندفع المنع .

ب- ينتج دعوى أخرى تساوي الدعوى التي منعها السائل، وبذلك يندفع المنع؛ لأن إثبات مساوي الشيء إثبات لـه .

ج- ينتج دعوى أخرى أخص مطلقاً من الدعوى التي منعها السائل، وبذلك ينـدفع المنع؛ لأن إثبات الأخص يستلزم إثبات الأعم .

والجواب المنتج لواحد من هذه الاحتمالات الثلاثة، يصلح للرد على المنع المجرد من السند، والمنع المصحوب بالسند كليهما [٢] .

الثاني: أن يبطل السند الذي جاء به السائل مع منعه، وهذا الجواب خاص بالمنع المقترن بالسند، ومتى أبطل السند فقد أبطل نفس المنع [٣] .

---

(1) آداب البحث والمناظرة ٥٦/٢؛ وانظر: رسالة الآداب، ص١١٥؛ ضوابط المعرفة ص٤٢٢ .

(2) انظر: ضوابط المعرفة ، ص ٤٢٣، ٤٢٤؛ ورسالة الآداب، ص١١٧، ١١٨؛ وآداب البحث والمنـاظرة ٥٧/٢.

(3) رسالة الآداب، ص ١١٨ .

٢- النقض :

معنى النقض :

النقض في اللغة: هو إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء [١] ، أو نقض البناء والحبل والعهد [٢] .

وفي اصطلاح علماء المنطق: ادعاء السائل بطلان دليل المعلل مع استدلاله على دعوى البطلان، إما بتخلف الدليل عن المدلول؛ بسبب جريانه على مدعى آخر غير هذا المدعي، أو بسبب استلزامه المحال، أو نحو ذلك [٣] .

ولا يقبل النقض إلا مقترناً بشاهد، يعد دليلاً على صحة النقض، فإن لم يذكر السائل مع النقض شاهداً لم يقبل منه، إلا أن يكون نقضه بديهياً، فإن بداهته تقوم مقام الشاهد .

تعريف الشاهد عند علماء المنطق، هو: ما يدل على فساد الدليل، إما لتخلفه عن المدلول وجريانه على مدعى آخر، وإما لاستلزامه المحال [٤] .

أقسام النقض: ينقسم النقض إلى نوعين: حقيقي وشبهي.

النوع الأول: النقض الحقيقي، وهو: رد الدليل من غير تفصيل لمقدمتيه، وهذا النوع يسمى: النقض الإجمالي، ومورده دليل المعلل، وينقسم هذا النوع إلى قسمين:

أ- النقض المشهور .

ب- النقض المكسور .

النقض المشهور، هو: النقض الذي يورد فيه السائل كل عناصر دليل المعلل، فلا يترك منها شيئاً، ويورده على هيئته، فلا يغير فيه شيئاً، ولا يحذف منه شيئاً، ويثبت مع

---

(1) لسان العرب، مادة : نقض .

(2) الصحاح، مادة: نقض .

(3) رسالة الآداب ، ص١٣٢ .

(4) انظر: آداب البحث والمناظرة ٦٥/٢؛ ورسالة الآداب ص١٣٢، ١٣٣ .

ذلك فساده، بتخلف المدلول عن الدليل، أو باستلزام الدليل المحال .

النقض المكسور هو: النقض الذي يورد فيه السائل دليل المعلل مع حذف بعض العناصر التي اشتمل عليها، فإذا كان ما حذف من الأوصاف يؤثر في تغير النتيجة؛ فهو نقض مردود، ولا يجوز ارتكابه في المناظرة، وإذا ارتكبه السائل؛ أجاب عنه المعلل ببيان ما تركه من الدليل، مع بيان أنه لو لم يتركه لما استقام له توجيه نقضه، وإذا كان ما حذف من الأوصاف لا يؤثر في تغيير النتيجة؛ فهو نقض مقبول، ويصح معه توجيه النقض، ومثاله قول المعلل: هذا الشكل مربع؛ لأنه سطح يحيط به أربعة خطوط متساوية، وكل سطح يحيط به أربعة خطوط متساوية فهو مربع، فيقول السائل المعترض بالنقض: هذا الدليل باطل؛ لأنه يجرى على مدع آخر، وهو المستطيل، ومتوازي الأضلاع، والمعين، فيقال في كل منها: إنه سطح يحيط به أربعة خطوط، فحذف السائل من دليل المعلل كلمة متساوية، ولهذه الكلمة مدخل أساس في صحة دليل المعلل، و ا يتميز المربع عن الأشكال الهندسية التي أوردها السائل، فهذا نقض مكسور ترك فيه ما له دخل أساس في الدليل، وهي كلمة متساوية؛ لذلك فهو نقض مردود[1] .

وهذا أيضاً فيه نظر؛ لأنه لو أضيفت كلمة (متساوية) يبقى ثمة شبه بين المربع والمعين، ويبدو لي أن إضافة (وزواياه الأربع قوائم) تحل الإشكال في ذلك، بحيث يكون (هذا الشكل مربعاً؛ لأنه سطح يحيط به أربعة خطوط متساوية، وزواياه الأربع قوائم، وكل سطح يحيط به أربعة خطوط متساوية وزواياه الأربع قوائم؛ فهو مربع).

النوع الثاني: النقض الشبهي، وهو: إبطال الدعوى بشهادة فساد مخصوص، ككو ا منافية لمذهب المعلل، أو مخالفة لإجماع العلماء، ومورده الدعوى[2] .

---

(1) ضوابط المعرفة، ص٤٣٩، ٤٤٠؛ وانظر: رسالة الآداب، ص ١٣٥، ١٣٦؛ وآداب البحث والمناظرة ٦٧/٢، ٦٨ .

(2) رسالة الآداب، ص ١٣٤ .

أجوبة المعلل على النقض: للمعلل أن يجيب عن النقض الموجه علـى دليلـه أو دعواه من السائل بأحد جوابين :

الجواب الأول: المنع وفق قواعد المنع وضوابطه السابقة، وللمعلل أن يمنع نقض السائل بوجوه .

١- فإما أن يمنع وجود تمام دليل الدعوة في صورة النقض .

٢- وإما أن يمنع تخلف المدلول عن الدليل في النقض .

٣- وإما أن يمنع كون الدليل يستلزم المحال، فيبين أن هذا الاستلزام غـير وارد في الدليل.

٤- وإما أن يمنع وجود الاستحالة فيما رآه السائل محالاً [١] .

الجواب الثاني: للمعلل أن يثبت مدعاه – بعد ورود النقض عليه -، بدليل آخر غير الدليل الذي نقضه السائل؛ وهذا الجواب إفحام من وجه،وإظهار للصواب من وجه آخر[٢].

٣- المعارضة :

معنى المعارضة: المعارضة في اللغة: المقابلة، يقال: عارض الشيء معارضة، قابلـه وفلان يعارضني، أي: يباريني [٣]، وعارض الكتاب : قابله، وعارض فلاناً بمثل صنيعه: أتى إليه مثل ما أتى [٤] .

وفي الاصطلاح هي: إبطال السائل ما ادعاه المعلل واستدل عليه، بإثباته نقـيض هذا المدعى، أو يساوي نقيضه، أو الأخص من نقيضه [٥] .

---

(1) انظر: ضوابط المناظرة ، ص٤٤٣، ٤٤٤ .

(2) رسالة الآداب، ص١٤٥ .

(3) لسان العرب، مادة : عرض .

(4) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، ط١، د.ت، دار الجيل، بيروت، مادة: عرض .

(5) رسالة الآداب، ص١٢١ .

أقسام المعارضة: للمعارضة تقسيمان باعتبارين، فهي تنقسم باعتبار ما توجه إليه، إلى قسمين :

القسم الأول: المعارضة في الدليل .

القسم الثاني: المعارضة في العلة .

وتنقسم باعتبار مقارنة دليل السائل بدليل المعلّل إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: المعارضة على سبيل القلب.

القسم الثاني: المعارضة بالمثل .

القسم الثالث: المعارضة بالغير [١] .

وكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة يكون معارضة في الدليل، ويكون معارضة في العلة، فالأقسام ستة؛ من ضرب اثنين في ثلاثة.

وفيما يلي شرح هذه الأقسام :

المعارضة في الدليل هي: إقامة السائل دليلاً يبطل الدعوى الأصلية، ويثبت بدليله نقيضها أو مساوي نقيضها أو أخص من نقيضها، وهذه المعارضة في الدليل تسمى معارضة في المدعي، ومعارضة في الحكم [٢] .

المعارضة في العلة هي: إقامة السائل دليلاً يبطل إحدى مقدمات دليل الدعوى الأصلية، ويشترط أن يكون المعلل قد استدل عليها؛ لأنه إذا لم يستدل عليها لا يتوجه إليها إلا بالمنع، وتعد معارضتها حينئذ غصباً [٣] .

ومن الأمثلة على ذلك : قال المعلل: (العالم حادث) فهذا تصديق وهو الدعوى الأصلية، ثم أقام الدليل على هذه الدعوى فقال: (لأنه متغير وكل متغير حادث) ينتج العالم حادث. فهذا دليل على هذه الدعوى، ومشتمل على مقدمتين، وكل واحدة

---

(1) انظر: ضوابط المعرفة، ص ٤٣٠؛ ورسالة الآداب، ص١٢٣؛ وآداب البحث والمناظرة ٧٣/٢ .

(2) انظر: آداب البحث والمناظرة ٧٤/٢؛ ورسالة الآداب ، ص١٢٤؛ وضوابط المعرفة ، ص٤٣٠ .

(3) انظر: رسالة الآداب، ص١٢٥؛ وآداب البحث والمناظرة ٧٤/٢ .

منهما في ذا ا دعوى، فإذا أقام المعلل دليلاً على صغرى دليله هذا (العـالم حـادث) فقال: (لأنه لا يخلو من الأكوان [1]، وكل ما يخلو عن الأكوان فهو متغير) ينتج (العالم متغير)، فنحصل من ذلك: إذا أقام السائل الدليل على إبطال الدعوى الأصلية (العـالم حادث)، فأثبت بدليله نقيضها أو مساوي نقيضها أو أخص من نقيضها، سمي ذلـك معارضة في الدليل؛ لأنه عارض دليل إثبا ا بدليل إبطالها .

وإذا أقام السائل الدليل على إبطال المقدمة الصغرى (العالم متغير) وكان ذلـك بعد إقامة المعلل الدليل على صحتها بقوله: (لأنه يخلو عن الأكوان) فأثبـت الـسائل بدليله نقيض تلك الصغرى أو ما يساويه أو ما هو أخص منه بعد الاستدلال عليها، فإن ذلك يسمى معارضة في العلة [2] .

المعارضة على سبيل القلب: وهي معارضة دليل المعلل بعين دليله، كأن يقـول لـه: دليلك هذا ينتج نقيض دعواك، فهو حجة عليك لا لـك، وسميـت معارضـة بالقلب؛ لأنه قلب عليه دليله بعينه حجة عليه لا لـه،و معلوم أن ذلك يلزمـه اتحـاد الدليلين، دليل المعلل، ودليل المعارض، شكلاً وضرباً مع اتحادهما في الحد الأوسـط إن كانا اقترانيين، واتحادهما وضعاً ورفعاً مع اتحادهما في الجزء المكرر إن كانا اسـتثنائيين، ومثال ذلك: أن يقول المعلل: رؤية الله –سبحانه وتعالى- غير جائزة عقـلاً، ثم يقـيم الدليل على ذلك فيقول: لأ ا منفية بقوله تعالى: ﴿**لا تدركُه الأبصار**﴾، وكل ما كان كذلك فليس بجائز عقلاً، ينتج (ليست بجائزة عقلاً)، فيقول السائل المعارض: رؤية الله –سبحانه وتعالى- جائزة عقلاً؛ لأ ا منفية بقوله تعالى: ﴿**لا تدركُه الأبصار**﴾، وكل ما كان كذلك فهو جائز عقلاً، ينتج (فهي جائزة عقلاً) فلكل من الـسائل والمعلـل ملاحظة في الدليل غير ملاحظة الآخر، فباختلاف ملاحظة السائل لملاحظة المعلل أمكنه

(1) الأكوان: هي الحركة والسكون، والافتراق والاجتماع. (آداب البحث والمناظرة ٧٣/٢) .
(2) انظر: آداب البحث والمناظرة ٧٤/٢ .

أن يقلب عليه دليله؛ فلقد لاحظ المعلل أن قوله تعالى:﴿**لا تدركه الأبصار**﴾،مقـتض لنفي رؤية الأبصار لـه مطلقاً، أما السائل فقد لاحظ في الآية الكريمة ملاحظة أخرى، وهي أن الآية إنما نفت الإدراك المشعر بالإحاطة، فهي تدل على أن مطلق الرؤية بدون الإحاطة جائز عقلاً [١] .

المعارضة بالمثل: وهي أن يتحد دليل المعارض مع دليل المعلل في الـصورة، مـع الاختلاف في المادة، وذلك بأن يكون الدليلان من شكل واحد ككونهما معـاً مـن الشكل مع اختلافهما في الحد الأوسط وغيره، كالمقدمتين الـصغرى والكـبرى [٢] ، ومثال ذلك أن يقول المعلل: العالم قديم؛ لأنه أثر القديم، وكل ما هو أثر القديم فهـو قديم، فيقول المعارض: العالم حادث؛ لأنه متغير، وكل ما هو متغير فهو حادث. وهنـا نجد أن دليل المعلل اشترك مع المعارض في الصورة؛ لأنهما جميعاً مـن الـشكل الأول الحملي، واختلفا في المادة، فلما تماثلت صورة الدليلين؛ سميت معارضة بالمثل [٣] .

المعارضة بالغير: وهي أن تختلف صورة دليل المعارض وصورة دليل المعلل؛ بـأن يكون الدليلان من شكلين مختلفين، أو نوعين مختلفين سواء اتحدت مادتهما أم لم تتحد. مثال ذلك أن يقول المعلل: النية فرض في الطهارة؛ لأنها مطلوبة في كل عمل على لسان الشارع، لقوله ﷺ : "إنما الأعمال بالنيات" [٤] ، وكل ما هو بهذه المثابة فهو فرض في جميع الأعمال، ومنها الطهارة، فيقول المعترض: لو كانت النية فرضاً في الطهارة لما جاز تركها في غسل الثوب من النجاسة، لكنه يجوز تركها في غسل الثـوب في النجاسـة بإجماع من يعتد بهم من العلماء؛ فليست بفرض في الطهارة. فدليل المعلل من الـشكل

(1) انظر: آداب البحث والمناظرة ٧٥/٢؛ ورسالة الآداب، ص ١٢٦ .
(2) آداب البحث والمناظرة ٧٦/٢ .
(3) انظر: رسالة الآداب ص١٢٧، ١٢٨ .
(4) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ ، رقم الحـديث (١)، ج١، الباب الأول ط١، المكتبة الإسلامية، إستانبول ، ص٢ .

الأول الحملي، ودليل المعارض قياس استثنائي، فلما كان الدليلان متغايرين؛ سمي معارضة بالغير [١].

أجوبة المعلل عليها :

إذا عارض السائل بدليل المعلل بنوع من أنواع المعارضة السابقة، فللمعلل أن يجيب عن تلك المعارضة بواحد من ثلاثة أجوبة .

الأول: المنع، وذلك أن يمنع بعض مقدمات دليل المعارض التي لم يقم عليها دليلاً، وذلك بأن يطلب منه تدعيم هذه المقدمة بالدليل الدال على صحتها .

الثاني: النقض، وذلك بأن يبطل دليل المعارض بالنقض بأن يقول: إن مدلوله متخلف عنه أو أنه مستلزم للمحال، ويسمى بالنقض الإجمالي؛ لأنه لم يتعرض لمقدمة معينة من مقدمات الدليل بالإبطال كما في المنع، بل رد على الدليل جملة واحدة .

الثالث: أن يثبت دعواه بدليل آخر غير الدليل الذي أورد السائل المعارضة عليه. وقد اختلف العلماء في هذا الوجه، فذهب قوم إلى أنه لا يفيد المعلل أن يعمد إليه، والأظهر عند الشيخ محمد الأمين الشنقيطي أن ذلك يفيده؛ لجواز أن يكون الدليل الذي يقيمه المعلل بعد المعارضة أقوى من دليل المعارض؛ ولأن في ضم هذا الدليل الجديد إلى الدليل الأول جمعاً بين قوتين، وفي ذلك ما يرجحهما على دليل المعارض[٢].

ترتيب المناظرة في التصديق :

تتبع الخطوات التالية لدى المناظرة في التصديق:

أولاً: ينظر في التصديق الذي أورده المعلل، فإذا كان في ألفاظه إجمال أو غرابة فللسائل أن يستفسر [٣] .

ثانياً: ينظر في كلام المعلّل صاحب التصديق، هل هو ناقل لذلك التصديق عن

---

(1) انظر: رسالة الآداب، ص ١٢٨، ١٢٩؛ وآداب البحث والمناظرة ٧٧/٢ .

(2) انظر: آداب البحث والمناظرة ٧٨/٢، ٧٩ .

(3) ضوابط المعرفة، ص ٤٤٧ .

غيره من كتاب أو راوٍ، أو هو آت به من تلقاء نفسه، وفي حال كونه ناقلاً عن غيره، هل هو ملتزم صحته، أو ليس ملتزماً لها ؟ فإن كان ناقلاً لم يلتزم صحة ما نقل؛ فليس لـه أن يوجه إليه شيئاً إلا المطالبة بتصحيح النقل، وأما إن كان جاء بالتصديق من عند نفسه أو نقله والتزم صحته؛ فعلى السائل أن ينتقل إلى الخطوة الثالثة [١] .

ثالثاً: ينظر السائل في كلام المعلل الذي التزم صحة مضمون كلامه ويعتبر نفسه صاحب دعوى، فإذا وجد التصديق بدهيا جلياً، سلّم به وأذعن لـه، ولم يكن لـه أن يمنعه أو يعترض عليه؛ لأن منع البدهيات الجلية مكابرة ليست من شأن طلاب الحـق، وإذا كان التصديق تصديقاً نظرياً أو بدهياً خفياً؛ اتبع السائل الخطوات التالية :

أ- إن لم يقم المعلل الدليل عليه أو التنبيه علـى الـدليل؛ كـان للـسائل أن يمنعه، والمنع هنا يقتضي المطالبة بالدليل عليه أو التنبيه، وليس للسائل في هذه الحالة أن يقيم الدليل على إبطال مدعى المعلل؛ لأن ذلك هـو مـن قبيـل الغصب [٢] .

ب- إن أقام المعلل الدليل على التصديق النظري أو التنبيه على الـدليل البـديهي الخفي الذي قدمه؛ فللسائل أن يعترض ببعض الوظائف التالية :

الوظيفة الأولى: المنع، ومعناه: طلب الدليل على مقدمة معينه من مقـدمات دليل المعلل، بشرط أن لا يكون قد أقام عليها دليلاً .

الوظيفة الثانية: المعارضة، ومعناها: إبطال مدعى المعلل بادعاء السائل نقيضه، أو ما هو مساو لنقيضه، أو ما هو أخص من نقيضه مع إقامته الدليل علـى ذلك، وتكون المعارضة في الدليل، أو العلة، أو المعارضة بالقلب، أو بالمثـل،

---

(1) انظر: آداب البحث والمناظرة ٨٣/٢ ؛ ورسالة الآداب، ص ١٤٨ .

(2) الغصب وظيفة غير مقبولة، وهو: منع مقرون بالسند في دعوى لم يقم صاحبها عليها دلـيلا (انظـر: آداب البحث والمناظرة ٤٣/٢) .

أو بالغير .
الوظيفة الثالثة: النقض، ومعناه إبطال دليل المعلل، بتخلف مدلوله عنـه، أو باستلزامه المحال، ويكون النقض إما عن طريق النقض الحقيقي المـشهور، أو الحقيقي المكسور، أو عن طريق النقض الشبيهي وعلـى المعلـل صـاحب الدعوى أن يشتغل بالجواب عن اعتراضات السائل وفق الضوابط التي سـبق بيانها [1].

رابعاً: المناظرة في النقل والمركب الناقص والعبارة :

المناظرة في النقل:

معنى النقل، هو: إتيان الإنسان بكلام لغيره، مع إظهار إسناده إلى قائله، تعريفـاً كان أو تقسيماً أو تصديقاً أو غير ذلك [٢] .

وإذا التزم الناقل صحة ما نقل، فهو مدع ويناظر على أساس أنه مـدع ضـمن ضوابط المناظرة في التصديق، أما إذا لم يلتزم صحة ما نقل، فإن كان بديهياً أو مسلّماً عند الخصم أو معتبراً من ضروريات مذهبه؛ لم يتوجه إليه شيء من الاعتراضات، ولزم خصمه القبول والتسليم، فإن كان غير واحد من هذه الثلاثة؛ يوجـه إليـه المطالبـة بتصحيح النقل، وقد يسمى طلب تصحيح النقل منع الدعوى [٣] .

المناظرة في المركب الناقص :

ينقسم القول إلى مفرد ومركب، فالقول المفرد لا تجري فيه المناظرة أصلاً، إلا أن

---

(1) انظر:ضوابط المعرفة، ص ٤٤٨، ٤٤٩؛ ورسالة الآداب، ص ١٤٩، ١٥٠؛ وآداب البحث والمنـاظرة ٨٣/٢.

(2) رسالة الآداب ، ص١٦٩ .

(3) انظر: آداب البحث والمناظرة ٨٤/٢؛ وضوابط المعرفة، ص ٣٨٢؛ ورسالة الآداب، ص ١٦٩ .

يستفسر عن المراد منه إن كان غريباً، وأما المركب فينقسم إلى: المركب الخبري، وهو محل البحث والمناظرة، والمركب الإنشائي، لا تجري فيه المناظرة.

المركب الناقص: تجرى فيه المناظرة بشرط أن يكون قيداً للقضية [١] ، وتجـري المناظرة فيه باعتبار الدعوى الضمنية التي اشتمل عليها، فإذا قال المعلل مثلاً: أبو بكـر الصديق رجل من المبشرين بالجنة، فعبارة (رجل من المبشرين بالجنة)، مركب نـاقص، جاء ضمن قضية، وجاء في هذه المركب الناقص قيد (من المبشرين بالجنة) بعد استكمال القضية ركني إسناده (أبو بكر الصديق رجل) ولكن (من المبشرين بالجنة) قيد للمحكوم به تضمن ادعاء بأن أبا بكر من المبشرين بالجنة، فتجري المناظرة في هذه الادعاء وفـق المناظرة في التصديق .

وكل قيد في قضية، سواء أكان قيداً للمحكوم عليه وهو الموضوع، أو للمحكوم به وهو المحمول، أو للنسبة الحكمية، فهو قيد يتضمن دعوى ضمنية، والمناظرة تجري فيه على أساس هذه الدعوى الضمنية وفق المناظرة في التصديق [٢] .

المناظرة في العبارة :

معنى العبارة، هي: مطلق اللفظ الصادر من المتكلم سواء كـان تعريفـاً، أو تقسيماً، أو دليلاً أو غير ذلك [٣] . وتجرى المناظرة في العبارة على الوجه التالي :

يوجه المستدل على عبارة المانع الإبطال؛ بسبب أ ا تخالف قاعدة مـن قواعـد اللغة، أو تخالف الضبط اللغوي المتبع، أو أن الكلمة لا أصل لها على المعنى الذي قصده صاحب العبارة المانع، فيجيب المانع ببيان الوجه الذي استند إليه في عبارته، إذا كـان لـه وجه في ذلك، أو يسلم الاعتراض ويصحح عبارته. وتوجيه المانع عبارته ينبغي أن

---

(1) انظر: رسالة الآداب، ص ٩؛ وآداب البحث والمناظرة ٤/٢ .

(2) انظر: ضوابط المعرفة ، ص ٤٥٠ .

(3) آداب البحث والمناظرة ٨٥/٢ .

يستند فيه إلى رأي مقبول ولو عند بعض أئمة العربية [1] .

انتهاء المناظرة :

لابد في المناظرة من أن تنتهي بعجز أحدهما عن دفع حجة الآخر؛ فإن كان العاجز هو السائل سمي ملْزماً، وسمي عجزه إلزاماً، وإن كان العاجز هو المعلل سمي مفْحماً، وسمي عجزه إفحاماً [2] .

(1) ضوابط المعرفة، ص٣٨٠؛ وانظر: آداب البحث والمناظرة ٨٥/٢، ٨٧؛ ورسالة الآداب ، ص ١٧٢ .

(2) انظر: آداب البحث والمناظرة ٩٠/٢؛ ورسالة الآداب ، ص١٧٦؛ وضوابط المعرفة، ص ٤٥٥ .

المطلب الثالث: آداب المناظرة :

آداب المناظرة :

لقد وضع العلماء لفن البحث والمناظرة جملة من الآداب ألزموا ا المتناظرين ا، محافظة على سلامة المناظرة، وتحقيقا للغرض منها، ونذكر فيما يلي أهمها :

١-ينبغي للمناظر أن يقدم على مناظرته تقوى الله - عز وجل- ليزكو نظره ويحمد الله- عز وجل - ويصلي على رسوله ﷺ كثيراً، لتكثر بركاته، وتعظم فوائده، ثم يسأله المعونة والتوفيق لنفسه على طلب الحق وتوفيقه لإدراكه، ويقصد بنظره طلب الحق والوكالة عليه ليدرك مقصوده، ويحوز أجره، ولا يقصد به المباهـاة والمفاخرة، فيذهب مقصوده، ويكتسب إثمه ووزره، ويدخل في النظر على جد واجتهاد، ويفرغ لـه قلبه ويبذل لـه وسعه؛ لأن ذلك كله يعينه على إدراك ما يقصده [(١)] .

٢-أن يعرف كل مناظر الطرف المقابل لـه معرفة دقيقة، وأن يعلم شـيئاً عـن ظروفه وبيئته، وقدره ومنزلتـه، وعلمه وأحواله، إذ إن هذا يفيـد كـثيراً في تحديد الأسلوب المناسب والاستعداد اللازم [(٢)] .

٣-أن يجلس جلسة المكترث، مقابلاً للمناظر، مقبلاً عليه، متجنباً أوقـات عـدم الاعتدال: الجوع، الامتلاء، الغضب، المدافعة، ومتجنباً الـضحك، والـصوت العالي، وما يزيل الهيبة [(٣)].

٤-أن يتجنب المناظر مناظرة من هو من أهل المهابة العظيمة والاحتـرام العظـيم؛

---

(1) المنهاج في ترتيب الحجاج، أبو الوليد الباجي، تحقيق: عبدا يد تركـي، ط٢، ١٩٨٧م، دار الغـرب الإسلامي، بيروت، ص٩ .

(2) انظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى زمزمي، ط١، ١٤١٤هـ ـ، دار التربيـة والتراث، مكة المكرمة ، ص١١٨ .

(3) آداب الحوار والمناظرة، على جريشة، ط١، ١٤١٠هـ، دار الوفاء، المنصورة ، ص ٧٠ .

كيلا تدهشه وتذهله جلالة خصمه عن القيام بحجته كما ينبغي [1] .

٥-ألا يناظر من لا ينصف من نفسه، ولا من عادته التسفه في الكلام والتفظيـع؛ لأنه لا يستفيد من كلامه، فإن ظهر لـه من خصمه شيء من ذلك؛ اه عنـه بلطف ورفق، فإن لم ينته عن ذلك، أعرض عن كلامه، ولم يقابله في أفعاله[2].

٦-ألا يحتسب خصمه حقيراً قليل الشأن؛ لأن ذلك يؤديه إلى عدم الجد والاجتهاد في القيام بحجته، فيكون ذلك سبباً لغلبة الخصم الضعيف لـه [3] .

٧-ألا يختصر، وألا يطيل، وألا يخرج عن المطلوب؛ فالاختصار يخـل بـالفهم ولا يوصل إلى المطلوب، والإطالة تمل السامع فينقطع عن الوصول إلى المطلـوب، والخروج عن موضوع المناظرة يؤدي إلى الانتشار المفوت للمطلوب .

٨-أن يتجنب في ألفاظه الغريب، والمحتمل من غير قرينة، وكـلام الـسفهاء؛ لأن الغريب يكون غير واضح وغير موصل، والمحتمل من غير قرينة كذلك، وكلام السفهاء من الجهال يسترون ا جهلهم [4] .

٩-أن يرجع إلى الحق، وينقاد لـه، ويلتزم به متى تبين لـه؛ لأن هذا من لـوازم مجانبة الهوى [5] .

١٠-أن يأتي بالكلام الملائم بالموضوع، وأن لا يتعرض لكلام خصمه قبل أن يفهـم مراده، وأن لا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه [6] .

---

(1) آداب البحث والمناظرة ٩١/٢ .

(2) المنهاج في ترتيب الحجاج ، ص ١٠ .

(3) آداب البحث والمناظرة ٩١/٢ .

(4) آداب الحوار والمناظرة ، ص٧٠ .

(5) منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، عثمان علي حـسن، ج٢، ط١، ١٤٢٠هـ ـ، دار إشبيليا، الرياض، ص٧٥ .

(6) انظر: ضوابط المعرفة ، ص ٣٧٣ .

١١-أن لا يتكلم على ما لم يقع به العلم به من جهته، ولا يستدل إلا بـدليل قـد وقف عليه خبره، وعرف صحته وسلامته؛ لأنه ربما يستدل بما لم يمعن في تأمله ولا تصحيحه، فيظفر به خصمه ويبين انقطاعه [١] .

(1) انظر: المنهاج في ترتيب الحجاج ، ص ١٠ .

الفصل الأول
المناظرة في فكر ابن قيم الجوزية - رحمه الله -

المبحث الأول: أهمية المناظرة وأهدافها عند ابن قيم الجوزية - رحمه الله -

المطلب الأول: أهمية المناظرة .

المطلب الثاني: أهداف المناظرة .

المبحث الثاني: ضوابط المناظرة وآدابها عند ابن قيم الجوزية - رحمه الله-

المطلب الأول: الضوابط الشرعية والإجرائية .

المطلب الثاني: آداب المناظرة .

المبحث الثالث: الاستدلال في المناظرة عند ابن قيم الجوزية - رحمه الله-

المطلب الأول: الاستدلال النقلي .

المطلب الثاني: الاستدلال العقلي .

المبحث الأول
أهمية المناظرة وأهدافها عند ابن قيم الجوزية - رحمه الله-

المطلب الأول: أهمية المناظرة .

المطلب الثاني: أهداف المناظرة .

المطلب الأول: أهمية المناظرة :

يتضح من خلال متابعة النتاج الفكري لعالمنا الجليل ابن قيم الجوزية - رحمه الله - أن للمناظرة أهمية لكل طالب حق، فضلاً عن أن يكون طالب علم؛ حيث تعين على إقامة الحجج الصحيحة ودفع الشبهات، وتدعو إلى التناظر لمعرفة الحق والصواب من خلال نصوص القرآن الكريم، وإقامة الحجة على ا ادل واصطحاب الدليل. وفيما يلي توضيح ذلك :

١- التمرين والتدريب .

٢- نصرة الحق .

٣- كسر الباطل .

ولقد أوضح ابن قيم الجوزية - رحمه الله- ذلك في قولـه: فالمناظرة في العلـم نوعان: أحدهما : للتمرين والتدريب على إقامة الحجج ودفع الشبهات، والثاني: لنصر الحق وكسر الباطل [1] .

وقد أورد ابن قيم الجوزية - رحمه الله- على ذلك أمثلة من كتـاب لله - عـز وجل- منها :

قولـه تعالى فيما حاج به عباده من إقامة التوحيد، وبطلان الـشرك، وقطـع أسبابه، وحسم موارده كلها: ﴿**قُل ادعوا الذِين زعمتم مِن دون اللـهِ لا يملِكُـونَ مِثْقَالَ ذَرةٍ فِي السماواتِ ولا فِي الأَرض وما لَهم فِيهِما مِن شِركٍ وما لَه مِنهم مِـن ظَهِيرٍ * ولا تنفَع الشفَاعةُ عِنده إِلا لِمن أَذِنَ لَه**﴾[2] .

فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك، وسد ا عليهم أحكم سد وأبلغه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود، لما يرجو مـن

---

(1) الفروسية، ابن قيم الجوزية، تحقيق مشهور بن سلمان، ط٢، ١٤١٧هـ ، دار الأندلس، المملكة العربية السعودية، حائل ، ص ١٨٥ .

(2) سورة سبأ ، الآية ٢٢، ٢٣ .

نفعه، وإلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه به، وحينئذ فلابد أن يكون المعبود مالكاً للأسباب التي ينفع ا عابده، أو شريكاً لمالكها، أو ظهيراً، أو وزيراً، أو معاوناً لـه، أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كـل وجـه وبطلت، انتفت أسباب الشرك وانقطعت موارده فنفى - سبحانه- عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السماوات والأرض، فقد يقول المشرك: هي شريكة لمالك الحق، فنفـى شركتها لـه، فيقول المشرك: قد تكون ظهيراً ووزيراً ومعاوناً، فقال: (وماله منهم من ظهير) فلم يبق إلا الشفاعة، فنفاها عن آلهتهم وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فهو الذي يأذن للشافع، فإن لم يأذن لـه؛ لم يتقدم بالشفاعة بين يديه كما يكـون في حق المخلوقين، فإن المشفوع عنده يحتاج إلى الشافع ومعاونته لـه، فيقبل شفاعته، وإن لم يأذن لـه فيها. وأما من كل ما سواه فقير إليه بذاته وهو الغني بذاته عن كـل مـا سواه فكيف يشفع عنده أحد بدون إذنه [1] .

ومثال ثان: قال تعالى: ﴿**قُلْ من رب السماواتِ والأرض قُل الله قُلْ أفَاتخذْتم مِن دونِهِ أولياءَ لا يملِكُونَ لأنفُسِهم نفْعاً ولا ضراً قُلْ هلْ يستوي الأعمى والبصِير أم هلْ تستوي الظلُمات والنور أم جعلُوا لِلهِ شركاءَ خلقُوا كخلْقِهِ فتشابه الخلْـق عليهم قُل الله خالِق كُل شيءٍ وهو الواحِد القَهار**﴾[2]، فاحتج على تفرده بالإلهيـة بتفرده بالخلق، وعلى بطلان إلهية ما سواه بعجزهم عن الخلق، وعلى أنه واحـد بأنـه قهار، والقهر التام يستلزم الوحدة، فإن الشركة تنافي تمام القهر [3] .

وقال - رحمه الله- : وقال تعالى: ﴿**وإذْ قَالَ ربك لِلْملائكَةِ إني جاعِـلٌ فِـي الأرض خلِيفَةً قَالُوا أتجعلُ فِيها من يفْسِد فِيها ويسفِك الدماءَ ونحن نسبح بِحمدِك**

(1) الصواعق المرسلة ٢/٤٦١، ٤٦٢ .
(2) سورة الرعد ، الآية ١٦ .
(3) الصواعق المرسلة ٢/٤٦٦ .

ونقدس لك قالَ إني أعلم ما لا تعلمونَ * وعلم آدم الأسماءَ كُلها ثُم عرضهم على الْملائِكةِ فَقَالَ أنبِئُوني بِأسماءِ هؤلاءِ إنْ كُنتم صادِقِين * قَالُوا سبحانك لا عِلْم لنَا إلا ما علمتنا إنك أنت الْعلِيم الْحكِيم * قَالَ يا آدم أَنبِئْهم بِأسمائِهم فَلَما أنبأهم بِأسمائِهم قَالَ أَلَم أَقُلْ لَكُم إني أعلم غَيب السماواتِ والأرض وأعلم ما تبدونَ وما كُنتم تكْتمونَ﴾[1].

فهذه كالمناظرة من الملائكة والجواب عن سؤالهم؛ كأنهم قالوا: إن استخلفت في الأرض خليفة كان منه الفساد وسفك الدماء، وحكمتك تقتضي أن لا تفعل ذلك، فأجابهم تعالى عن هذا السؤال بأن له من الحكمة في جعل هذا الخليفة في الأرض مالا تعلمه الملائكة، وإن وراء مازعمتم من الفساد مصالح وحكماً لا تعلمونها أنتم، فاستخرج تعالى من هذا الخليفة وذريته الأنبياء والرسل والأولياء والمؤمنين وعمر بهم الجنة، وميز الخبيث من ذريته من الطيب، فعمر بهم النار. وكان في ضمن ذلك من الحكم والمصالح مالم يكن للملائكة تعلمه. ثم إنه – سبحانه- أظهر فضل الخليفة عليهم بما خصه به من العلم الذي لم تعلمه الملائكة، وأمرهم بالسجود له تكريماً له وتعظيماً وإظهاراً لفضله، وفي ضمن ذلك من الحكم ما لا يعلمه إلا الله [2].

فالقرآن الكريم قد اجتمع فيه مالم يجتمع في غيره؛ فإنه الدعوة والحجة، وهو الدليل والمدلول عليه، وهو الشاهد والمشهود له، وهو الحكم والدليل، وهو الدعوى والبينة [3].

ومثال ثالث: قال تعالى: ﴿**أَلَم تر إِلَى الَّذِي حاج إِبراهِيم فِي ربهِ أَنْ آتاه الله**

---

(1) سورة البقرة ، الآية ٣٠- ٣٣ .

(2) انظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه ووثق نصوصه يسرى السيد محمد ج١، ط١، ١٤١٤هـ ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، ص٣٠٣ .

(3) إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة، دارسة وتحقيق أيمن الشوا، ط٢، ١٤٢١هـ ، دار الفكر، دمشق، ص ١٦ .

الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١]، فإن من تأمل موقع الاحتجاج وقطع المجادل له فيما تضمنته هذه الآية؛ وقف على أعظم برهان بأوجز عبارة، فإن إبراهيم لما أجاب المحاج له في الله بأنه الذي يحيي ويميت، أخذ عدو الله معارضته بضرب من المغالطة، وهو أنه يقتل من يريد ويستبقي من يريد، فقد أحيا هذا وأمات هذا، فألزمه إبراهيم على طرد هذه المعارضة أن يتصرف في حركة الشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها، إذا كان بزعمه قد ساوى الله في الإحياء والإماتة، فإن كان صادقاً فليتصرف في الشمس تصرفاً تصح به دعواه. وليس هذا انتقالاً من حجة إلى حجة أوضح منها كما زعم بعض النظار، وإنما هو إلزام للمدعي بطرد حجته إن كانت صحيحة[٢].

ومن الشواهد على ذلك قول ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : ومن بعض حقوق الله على عبده رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه، ومجاهدتهم بالحجة والبيان والسيف والسنان، والقلب والجنان، وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان... وقد أمر الله بمجادلة الكفار بعد دعوتهم؛ إقامة للحجة، وإزاحة للعذر. قال تعالى: ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾[٣]، والسيف إنما جاء منفذاً للحجة، مقوماً للمعاند، وحداً للجاحد، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[٤]، فدين الإسلام قام

---

(1) سورة البقرة، الآية ٢٥٨ .

(2) الصواعق المرسلة ٤٧٢/٢ .

(3) سورة الأنفال ، الآية ٤٢ .

(4) سورة الحديد ، الآية ٢٥ .

بالكتاب الهادي ونفذه السيف الماضي [1] .

ومن مناظرته - رحمه الله- في ذلك، قال السائل: إن قلتم: إن عبدالله بن سلام[2]، وكعب الأحبار[3]، ونحوهما شهدوا لنا بذلك[4]، من كتبهم، فهلا أتى ابن سلام، وأصحابه الذين أسلموا بالنسخ التي لهم؛ كي تكون شاهدة علينا .

الجواب من وجوه :

أحدها: أن عبدالله بن سلام قد قابل اليهود وأوقفهم بين يدي رسول الله ﷺ على أن ذكره ونعته، وصفته، في كتبهم، وأنهم يعلمون أنه رسول الله، وقد شهدوا بأنه أعلمهم وابن أعلمهم، وخيرهم وابن خيرهم، فلم يضره قولهم بعد ذلك: إنه شرهم وابن شرهم، وجاهلهم وابن جاهلهم، كما إذا شهد على رجل شاهد عند الحاكم، فسأله عنه، فعدله وقال إنه مقبول الشهادة، عدل، رضي، لا يشهد إلا بالحق، وشهادته

---

(1) هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، تحقيق أحمد الرفاعي، ط١، ١٤٢١هـ، دار قتيبة، بيروت ، ص ٦٤ .

(2) هو: عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف، حليف بن الخزرج، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة . قيل كان اسمه الحصين فسماه النبي ﷺ عبدالله ، وشهد له بالجنة. روى عن النبي ﷺ ، وشهد مع عمر فتح المقدس والجابية ، ومات بالمدينة سنة ٤٣هـ (انظر: تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني، ج٥، ط١، ١٣٢٥هـ، دائرة المعارف، الهند، ص٢٤٩).

(3) هو: كعب بن ماتع ، الحِميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، ويقال له كعب الحبر، يكنى أبا إسحاق من آل ذي رعين أو من ذي الكلاع، أدرك النبي ﷺ رجلاً، وأسلم في خلافة أبي بكر أو عمر، والراجح أن إسلامه كان في خلافة عمر. روى عن النبي ﷺ مرسلاً ، وعن عمر ، وصهيب ، وعائشة، روى عنه من الصحابة ابن عمر، وأبو هريرة، وابن عباس، وابن الزبير، ومعاوية، ومن كبار التابعين أبو رافع الصائغ، ومالك بن عامر، وسعيد بن المسيب، وممن بعدهم: عطاء وعبدالله بن ضمرة السلولي، وآخرون. مات سنة أربع وثلاثين، وقيل سنة اثنتين، وقد بلغ مئة وأربع سنين (الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، ق٥، ط١، ١٩٧١م، دار نهضة مصر، القاهرة، ص٦٤٧-٦٥١).

(4) أي بشواهد النبوة وآياتها .

جائزة علي، فلما أدى الشهادة، قال: إنه كاذب، شاهد زور، ومعلوم أن هذا لا يقدح في شهادته.

وأما كعب الأحبار فقد ملأ الدنيا من الأخبار بما في النبوات المتقدمة من البشارة به، وصرح ا بين أظهر المسلمين، واليهود، والنصارى، وأذن ا علـى رؤوس المـلأ وصدقه مسلمو أهل الكتاب عليها، وأقروه على ما أخبر به، وأنه كان أوسعهم علماً بما في كتب الأنبياء، وقد كان الصحابة يمتحنون ما ينقله، ويزنونه بما يعرفـون صـحته، فيعلمون صدقه، وشهدوا لـه بأنه أصدق الذين يحكون لهم عن أهل الكتاب، أو مـن أصدقهم، ونحن اليوم ننوب عن عبدالله بن سلام، وقد أوجدنا لكم هذه البـشارات في كتبكم، فهي شاهدة لنا عليكم، والكتب بأيديكم، فأتوا ا فاتلوها إن كنتم صادقين، وعندنا ممن وفقه الله للإسلام منكم، من يوافقكم، ويقابلكم، ويحاققكم عليهـا، وإلا فاشهدوا على أنفسكم بما شهد الله، وملائكته، وأنبياؤه، ورسله وعباده المؤمنون بـه عليكم من الكفر والتكذيب، والجحد للحق، ومعاداة الله ورسوله (1) .

ويظهر نصره للحق في ردوده - رحمه الله- منها: رده على من قال: إن اعتماد أسس الشريعة في الحلال والحرام والأمر والنهي على أحاديث عوام الـصحابة فقـال -رحمه الله - : إن هذا ت من قائله، فإنا لم نبن أساس شريعتنا في الحلال والحـرام، والأمر والنهي إلا على كتاب ربنا ا يد، الذي : ﴿**لا يأتيه الْباطِلُ مِن بين يديه ولا مِن خلْفِهِ تنزِيلٌ مِن حكِيمٍ حمِيدٍ**﴾(2)، الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ... أما قولكم: إن المسلمين بنوا أساس دينهم على رواية عوام من الصحابة؛ من أعظم البهت، وأفحـش الكذب، فإ م وإن كانوا أميين، فمنذ بعث الله فيهم رسوله زكاهم، وعلمهم الكتاب، والحكمة، وفضلهم في العلم، والعمل، والهدى، والمعارف الإلهية، والعلوم النافعة المكملة

---

(1) هداية الحيارى، ص ٣٣٢، ٣٣٥ .

(2) سورة فصلت ، الآية٤٢ .

للنفوس على جميع الأمم، فلم تبق أمة من الأمم تـدانيهم في فـضلهم، وعلـومهم، وأعمالهم، ومعارفهم، فلو قيس ما عند جميع الأمم من معرفة، وعلم، وهدى، وبصيرة إلى ما عندهم؛ لم يظهر لـه نسبة إليه بوجه ما ... [1] .

وأوضح ابن قيم الجوزية - رحمه الله- الدعوة إلى التناظر لمعرفة الحق والصواب من قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنما أَعِظُكُم بِواحِدةٍ أَنْ تقُوموا لِلهِ مثْنى وفُرادى ثُم تتفَكروا ما بِصاحِبِكُم مِن جِنةٍ إِنْ هو إِلا نذِير لَكُم بين يدي عذَابٍ شدِيدٍ**﴾[2] .

ولما كان للإنسان الذي يطلب معرفة الحق والصواب حالتان: إحداهما: أن يكون ناظراً مع نفسه، والأخرى: أن يكون مناظراً لغيره؛ أمرهم بخصلة واحـدة وهـي أن يقوموا لله اثنين اثنين، فيتناظران ويتساءلان بينهما واحداً واحداً، يقوم كل واحد مـع نفسه فيتفكر في أمر هذا الداعي وما يدعو إليه، ويستدعي أدلة الـصدق والكـذب، ويعرض ما جاء به عليها؛ ليتبين لـه حقيقة الحال. فهذا هو الحجاج الجليل والإنصاف البين والنصح التام[3].

---

(1) هداية الحيارى، ص ٣٣٩، ٣٤١ .

(2) سورة سبأ ، الآية ٤٦ .

(3) الصواعق المرسلة ٤٧٢/٢ .

المطلب الثاني: أهداف المناظرة :

وفيما يلي عرض لأهم أهداف المناظرة عند ابن قيم الجوزية - رحمه الله- :

١-تفنيد شبه النصارى واليهود:

ومن أقواله في ذلك - رحمه الله- قوله: فدعواهم أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة شرقاً وغرباً من البهت والكذب الذي يروجونه على أشباه الأنعام، حتى إن هذه التوراة التي بأيدي اليهود فيها من الزيادة والتحريف والنقصان مالا يخفى على الراسـخين في العلم، وهم يعلمون قطعاً أن ذلك ليس في التوراة التي أنزلها الله على موسـى، ولا في الإنجيل الذي أنزله على المسيح، وكيف يكون في الإنجيل الذي أنزل على المسيح قصة صلبه وما جرى لـه، وأنه أصابه كذا وكذا وصلب يوم كذا وكذا، وأنه قام من القبر بعد ثلاث، وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى، وغايته أن يكون من كـلام الحواريين، خلطوه بالإنجيل، وسموا الجميع إنجيلاً ... [١] .

وقولـه - رحمه الله- : فيا معشر المثلثة وعباد الصليب ! أخبرونا مـن كـان الممسك للسموات والأرض حين كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب، وقد شدت يداه ورجلاه بالحبال، وسمرت اليد التي أتقنت العوالم، فهل بقيت الـسماوات والأرض خلواً من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمـر العظـيم ؟ أم تقولـون استخلف على تدبيرها غيره وهبط عن عرشه لربط نفسه على خشبة الصليب ....[٢] .

وقولـه - رحمه الله- ولما علم الكفار من أهل الكتاب أنه لا يمكـن الإيمـان بالأنبياء المتقدمين إلا بالإيمان بالنبي الذي بشروا به؛ قالوا نحن في انتظاره، ولم يجئ بعد، ولما علم بعض الغلاة في كفره وتكذيبه معهم أن هذا النبي في ولد إسماعيـل؛ أنكـروا أن يكون لإبراهيم ولد اسمه إسماعيل وأن هذا لم يخلقه الله ولا يكثر على أمـة البـهت

(1) هداية الحيارى ، ص١٧١ .

(2) المصدر نفسه، ص٤٠٣ .

إخوان القرود وقتلة الأنبياء مثل ذلك، كما لم يكثر على المثلثة عباد الصليب الذين سبوا رب العالمين أعظم مسبة، أن يطعنوا في ديننا، وينتقصوا نبينا ﷺ ونحن نبين أنهم لا يمكنهم أن يثبتوا للمسيح فضيلة، ولا نبوة، ولا آية، ولا معجزة إلا بإقرارهم أن محمداً رسول الله، وإلا فمع تكذيبه لا يمكن أن يثبت للمسيح شيء من ذلك ألبته ...[1] .

٢-إثبات نبوة النبي محمد ﷺ :

لقد أفرد ابن قيم الجوزية - رحمه الله - كتاباً أسماه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)، وقال - رحمه الله - في مقدمة الكتاب: وقسمته قسمين: القسم الأول: في أجوبة المسائل، والقسم الثاني: في تقرير نبوة محمد ﷺ بجميع الدلائل، فجاء بحمد الله ومنه وتوفيقه كتاباً ممتعاً معجباً، لا يسأم قارئه ولا يمل الناظر فيه، فهو كتاب يصلح للدنيا والآخرة، ولزيادة الإيمان، ولذة الإنسان، يعطيك ما شئت من أعلام النبوة وبراهين الرسالة، وبشارات الأنبياء بخاتمهم، واستخراج اسمه الصريح من كتبهم، وذكر نعته وصفته وسيرته من كتبهم ... [2] .

٣-مناقشة قضايا فقهية مختلف فيها :

أ- تفنيد شبه المقلدة: ومن أقواله - رحمه الله- : عجباً لكم معاشر المقلدين الشاهدين على أنفسهم مع شهادة أهل العلم بأنهم ليسوا من أهله ولا معدودين في زمرة أهله، وكيف أبطلتم مذهبكم بنفس دليلكم ؟ فما للمقلدة وما للاستدلال ؟ وأين منصب المقلد من منصب المستدل ؟ وهل ما ذكرتم من الأدلة إلا ثياباً استعرتموها من صاحب الحجة فتجملتم بها بين الناس ؟ وكنتم في ذلك متشبعين بما لم تعطوه، ناطقين من العلم بما شهدتم على أنفسكم أنكم لم تؤتوه ؟ وذلك ثوب زور لبستموه، ومنصب لستم من أهله غصبتموه، فأخبرونا: هل صرتم إلى التقليد لدليل قادكم إليه، وبرهان

---

(1) هداية الحيارى ، ص٤٢٧ .

(2) المصدر نفسه ، ص ٦٥، ٦٦ .

دلكم عليه فنزلتم به من الاستدلال أقرب منزل وكنتم به عن التقليد بمعزل ؟ أم سلكتم سبيله اتفاقاً وتخميناً من غير دليل ؟ وليس إلى أحد هذين القسمين سبيل، وأيهما كان فهو بفساد مذهب التقليد حاكم، والرجوع إلى مذهب الحجة منه لازم، ونحن إن خاطبناكم بلسان الحجة؛ قلتم: لسنا من أهل هذا السبيل، وإن خاطبناكم بحكم التقليد؛ فلا معنى لما أقمتموه من الدليل[1]، وقد ناظر - رحمه الله- بعض أكابر المقلدة بقوله: ولقد خاطبت يوماً بعض أكابر هؤلاء، فقلت له: سألتك بالله، لو قدر أن الرسول الله ﷺ حي بين أظهرنا، وقد واجهنا بكلامه وبخاطبه؛ أكان فرضاً علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه، أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم، فقال: بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه، فقلت: فما الذي نسخ هذا الفرض عنا ؟ وبأي شيء نسخ ؟ فوضع إصبعه على فيه وبقي باهتاً متحيراً، وما نطق بكلمة [2] .

ب- مسألة وقوع الطلاق الثلاث بكلمة واحدة .

ومن أقواله في ذلك - رحمه الله- فقد تنازعنا نحن وأنتم في المسألة، فلا سبيل إلى ردها إلى غير الله ورسوله البته، وسيأتي أننا أحق بالصحابة، وأسعد م فيها، فنقول: أما منعكم لتحريم جمع الثلاث، فلا ريب أ ا مسألة نزاع، ولكن الأدلة الدالة على التحريم حجة عليكم [3] .

٤-مناقشة الانحراف العقدي :

أ- مسألة في أصول الانحراف عند المعطلة :

---

(1) إعلام الموقعين ١٧٨/٢ .

(2) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالعزيز الجليل، ج٣، ط١، ١٤٢٣هـ، درا طيبة، الرياض، ص ٢٠٥ .

(3) جامع الفقه جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه: يسري السيد محمد ، ج٥ ، ط١، ١٤٢١هـ، دار الوفاء، المنصورة، ص٥١٨ .

في قول متكلمهم: مسألة الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة: عصمة رواة تلك الألفاظ، وإعرا ا وتصريفها، وعدم الاشـتراك، وا ـاز، والنقـل، والتخصيص بالأشخاص والأزمنة، وعدم الإضمار، والتقديم والتأخير، والنسخ، وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح عليه، إذ إن ترجيح النقل على العقـل يقتـضي القدح في العقل المستلزم للقدح في النقل؛ لافتقاره إليه، فإن كان المنتج ظنياً فما فظنك بالنتيجة ؟ [1] .

ب- الرد على الملحدين والزنادقة في إنكارهم لعذاب القبر:

وقد شرح ابن قيم الجوزية - رحمه الله- عقيدة الزنادقة والملاحدة بقوله: وأمـا زنادقة الصابئة وملاحدة الفلاسفة فلا يؤمنون بالله ولا ملائكته، ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه، ولا يؤمنون بمبدأ ولا معاد، وليس للعالم عندهم رب فعال بالاختيار لما يريـد، قادر على كل شيء، عالم بكل شيء، آمر، ناه، مرسل الرسـل، ومنـزل الكتـب، ومثيب المحسن، ومعاقب المسيء، وليس عند نظارهم إلا تسعة أفلاك وعشرة عقـول وأربعة أركان، وسلسلة ترتبت فيها الموجودات، هي بسلسلة ا ـانين أشـبه منـها بمجوزات العقول[2].

وقد ذكر ابن قيم الجوزية - رحمه الله- أموراً يعلم ا الجواب لتساؤلات منكري عذاب القبر [3] .

(1) الصواعق المرسلة ٦٣٣/٢، ٦٣٤ .

(2) هدية الحيارى ، ص٦٢ .

(3) انظر: الروح، ابن قيم الجوزية ، دراسة وتحقيق: بسام علي سلامة العموش، ج١، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع ، الرياض ص٣٠٧- ٣٣٥ .

المبحث الثاني
ضوابط المناظرة وآدابها عند ابن قيم الجوزية - رحمه الله -

المطلب الأول: الضوابط الشرعية والإجرائية.

المطلب الثاني: آداب المناظرة .

المطلب الأول : الضوابط الشرعية والإجرائية:

الضوابط الشرعية:

خضعت مناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – لضوابط كانت تمثل قناعات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بما يجب أن يتحلى به المناظر . وسوف أقدم أبرز هـذه القناعات، ومن ثم تقديم أنموذج تطبيقي من مناظراته – رحمه الله – .

أبرز الضوابط الشرعية لمناظراته – رحمه الله – هي كالتالي :

١- سعة العلم وصحة الفهم .

٢- النصح والإخلاص .

٣- البيان .

٤- العدل .

٥- القدرة على المناظرة .

فمن الدلائل على سعة العلم وصحة الفهم قولـه :

إن الله – سبحانه وتعالى – ذكر مناظرة إبراهيم لأبيه وقومـه، وغلبتـه لهـم بالحجة، وأخبر عن تفضيله بذلك ، ورفْعه درجته بعلم الحجة، فقال - تعالى - عقيب مناظرته لأبيه وقومه في سورة الأنعام : ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ (١) .

---

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: علي بن حسن الحلبي =

وقول ابن القيم - رحمه الله - إن الله - سبحانه وتعالى - سمى عِلم الحجة سلطاناً؛ لأنها توجب تسلط صاحبها واقتداره، فله بها سلطان على الجاهلين، بل سلطان العلم أعظم من سلطان اليد، ولهذا ينقاد الناس للحجة ما لا ينقادون لليد، فإن الحجة تنقاد لها القلوب، وأما اليد فإنما ينقاد لها البدن، فالحجة تأسر القلب وتقوده، وتذل المخالف، وإن أظهر العناد والمكابرة فقلبه خاضع لها، ذليل مقهور تحت سلطانها، بل سلطان الجاه إن لم يكن معه علم يساس به ، فهو بمنزلة سلطان السباع والأسود ونحوها . قُدرةٌ بلا علم ولا رحمة ، بخلاف سلطان الحجة، فإنه قدرة بعلم ورحمة وحكمة، ومن لم يكن له اقتدار في علمه ، فهو إما لضعف حجته وسلطانه، وإما بقهر سلطان اليد والسيف له ، وإلا فالحجة ناصرة نفسها، ظاهرة على الباطل قاهرة له (1) .

وقال - رحمه الله - في موضع آخر : العلم بدلالة القرآن: هو العلم الذي يطمئن إليه القلب ، وتسكن عنده النفس، ويزكو به العقل، وتستنير به البصيرة، وتقوى به الحجة. ولا سبيل لأحد العالمين إلى قطع ما حاج به، بل من خاصم به فَلَجَتْ حُجَّتُهُ، وكسر شُبْهَةَ خَصمِه، وبه فُتحت القلوب، واستجيب لله ورسوله (2) .

وقد ذكر - رحمه الله - قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ (3) موضحاً كيفية الانتفاع بالعلم بقوله: "فتأمل ما تحت هذه الألفاظ من كنوز العلم وكيف تفتح مراعاتها للعبد أبواب العلم والهدى ! وكيف ينغلق باب العلم عنه من إهمالها وعدم مراعاتها، فإنه - سبحانه - ذكر عن آياته المتلوة والمسموعة والمرئية المشهودة، إنما تكون تذكرة لمن كان له قلب؛ فإن من عَدِمَ القلب الواعي عن الله لم ينتفع بكل آية تمر عليه ولو مرت به كل آية ! ومرور الآيات عليه كطلوع الشمس والقمر والنجوم ومرورها على من لا بَصَرَ له ،

الأثري، راجعه: بكر أبوزيد ، ج١، ط١، ١٤٢٥هـ، دار ابن القيم، الرياض ، ودار ابن عفان القاهرة، ص٢٢٦ ، والآية من سورة الأنعام ، رقمها ٨٣ .

(1) مفتاح دار السعادة ٢٤٤/١، ٢٤٥.

(2) المصدر نفسه ٤٥٦/١ .

(3) سورة ق ، الآية ٣٧ .

فإذا كان لـه قلب كان بمنزلة البصير إذا مَرَّت بـه المرئيات فإنـه يراها ولكن صاحب القلب لا ينتفع بقلبه إلا بأمرين:

أحدهما : أن يُحضره ويشهده لما يلقى إليه ، فإذا كان غائباً عنه مسافراً في الأماني والشهوات والخيالات لا ينتفع بـه ، فإذا أحضره وأشهده لم ينتفع إلا بأن يلقي سمعه ويصغي بكُليته إلى ما يوعظ به ويرشد إليه .

وهاهنا ثلاثة أمور:

أحدها : سلامة القلب وصحته وقبوله .

الثاني: إحضاره وجمعه ومنعه من الشرود والتفرق .

الثالث: إلقاء السمع وإصغاؤه والإقبال على الذكر .

فذكر الله تعالى الأمور الثلاثة في هذه الآية (١) .

وتناول النصح والإخلاص ذاكراً أنه إفراغ القلب لله، واستفراغ الجهد في الإقبال على الله، رغبة ومحبة لله، وطلب مرضاته ، والقرب منه والتودد إليه ، وامتثال أمره، بحيث لا يكون الباعث لـه حظّاً من حظوظ الدنيا ألبتة، بل يأتي بها ابتغاء وجه ربه الأعلى ، محبة لـه وخوفاً من عذابه ، ورجاء لمغفرته وثوابه (٢) .

كما تناول البيان قائلاً: "أما المدارك التي شاركنا المتقدمون فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة فلا ريب أنهم أبر قلوباً، وأعمق علماً، وأقل تكلفاً، وأقرب إلى أن يوفقوا فيها لما لم نوفق لـه نحن، لما خصهم الله – تعالى – به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم ، وسهولة الأخذ ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحسن القصد، وتقوى الرب تعالى ، فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة، وعلل الحديث والجرح والتعديل ، ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين بل قد غنوا عن ذلك كله فليس في حقهم إلا أمران:

---

(1) مفتاح دار السعادة ٥١٢/١، ٥١٣ .

(2) انظر: رسالة ابن قيم الجوزية إلى أحد إخوانه، ابن قيم الجوزية (بتصرف) ، تحقيق عبدالله المديفر، إشراف بكر أبوزيد ، ط١، ١٤٢٥هـ ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ص٣٩، ٤٠ .

أحدهما: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا .
والثاني: معناه كذا وكذا :
وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، وأحظ الأمة بهما، فقواهم متوفرة مجتمعة عليهما" [(١)] .

وقال - رحمه الله - أيضاً: إن أولى أعضاء جسم الإنسان الدال على المعرفة هو اللسان؛ لأن حركته أخف وأسهل وتنوعها أعظم وأكثر من تنوع حركة غيره، وترجمته عما في القلب أظهر من ترجمة غيره، ويتمكن المعرف بحركاته من حركات مفردة ومؤلفة ، يحصل بها من الفرق والتمييز ما لا يحصل بغيره، كان أقرب الطرق إلى هذا المقصد هو الكلام الذي جعله الله - سبحانه - في اللسان، وجعله دليلاً على ما في الجَنان ، وجعل ذلك من دلائل ربوبيته ووحدانيته وكمال علمه وحكمته، قال تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [(٢)] ، وقال تعالى : ﴿**أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ [(٣)] ... والمقصود أن العبد لا يعلم ما في ضمير صاحبه إلا بالألفاظ الدالة على ذلك، فإذا حمل السامع كلام المتكلم على خلاف ما وضع له، وخلاف ما يفهم منه عند التخاطب، عاد على مقصود اللغات بالإبطال، ولم يحصل مقصود المتكلم، ولا مصلحة المخاطب ، وكان ذلك أقبح من تعطيل اللسان عن كلامه؛ فإن غاية ذلك أن تفوت مصلحة البيان، وإذا حمل على ضد مقصوده فوّت مصلحة البيان، وأوقع في ضد المقصود [(٤)] .

وتحدث ابن القيم عن العدل فيما يصدره الإنسان من أقوال، حيث أشار -رحمه الله- إلى أن الله - سبحانه وتعالى - أمر نبيه أن يدعو إلى دينه الذي شرعه لأنبيائه ، وأن يستقيم كما أمره ربه ، وحذره من اتباع أهواء المتفرقين، وأمره أن يؤمن بكل ما أنزله الله من الكتب، ثم أمره أن يخبرهم بأنه أمر بالعدل بينهم، وهذا يَعُمّ العدل في الأقوال والأفعال

---

(1) إعلام الموقعين ١٢٠/٤.
(2) سورة الرحمن، الآية ١-٤ .
(3) سورة البلد ، الآية ٨-١٠.
(4) انظر: الصواعق المرسلة ٣٤٣/١، ٣٤٥، ٣٤٦.

والآراء والمحاكمات، فنصبه ربه ومرسله للعدل بين الأمم ، فهكذا وارثه ينتصب للعدل بين المقالات والآراء والمذاهب [1] .

أما القدرة على المناظرة فقد تناولها قائلاً : "إن صفات الكمال كلها ترجع إلى العلم والقدرة والإرادة ، والإرادة فرع العلم؛ فإنها تستلزم الشعور بالمراد ، فهي مفتقرة إلى العلم في ذاتها وحقيقتها ، والقدرة لا تؤثر إلا بواسطة الإرادة ، والعلم لا يفتقر في تعلقه بالمعلوم إلى واحدة منهما، وأما القدرة والإرادة فكل منهما يفتقر في تعلقه بالمراد والمقدور إلى العلم" [2] .

وقال - رحمه الله - أيضاً: جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يُرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب عن مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فليولِّ ذلك إلى أهله، وليُخَلِّ بين المَطِيِّ وحاديها، والقوس وباريها [3] .

وفيما يلي تقديم أنموذج تطبيقي لمناظرات ابن قيم الجوزية - رحمه الله - .

قال - رحمه الله - : وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة، فقلت له في أثناء الكلام : أنتم بتكذيبكم محمداً ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة، فعجب من ذلك ، وقال: مثلك يقول هذا الكلام! فقلت له: اسمع الآن تقريره، إذا قلتم : إن محمداً ملك ظالم، قهر الناس بسيفه، وليس برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة يدعي أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة، ويقول: أمرني الله بكذا، ونهاني عن كذا وأوحى إليّ كذا، ولم يكن من ذلك شيء، ويقول: إنه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني، ونساءهم ، وغنيمة أموالهم، وقتل رجالهم، ولم يكن من ذلك شيء، وهو يدأب في تغيير دين الأنبياء ، ومعاداة أممهم، ونسخ شرائعهم، فلا يخلو إما أن تقولوا: إن الله - سبحانه وتعالى - كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه ، أو تقولوا: إنه خفي عنه

---

(1) مفتاح دار السعادة ٤٤١/٢ .

(2) المصدر نفسه ٢٩٩/١، ٣٠٠.

(3) زاد المعاد في هدي خير العباد ٥٥٨/٣، ٥٥٩.

ولم يعلم به؛ فإن قلتم: لم يعلم به نسبتموه إلى أقبح الجهل، وكان من علم ذلك أعلم منه، وإن قلتم: بل كان ذلك كله بعلمه، ومشاهدته، واطلاعه عليه، فلا يخلو إما أن يكون قادراً على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك أولاً، فإن لم يكن قادراً؛ فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافي للربوبية، وإن كان قادراً وهو مع ذلك يعزه، وينصره، ويؤيده، ويعليه، ويعلي كلمته، ويجيب دعاءه، ويمكنه من أعدائه، ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف، ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به ، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له؛ فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء فضلاً عن رب الأرض والسماء ، فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته، وبتأييده وبكلامه، وهذا عندكم شهادة زور وكذب، فلما سمع ذلك؛ قال معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر، بل هو نبي صادق، من اتبعه أفلح وسعد، قلت: فمالك لا تدخل في دينه ؟ قال: إنما بعث إلى الأميين الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه، قلت له : غلبت كل الغلب؛ فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق ، وأن من لم يتبعه ، فهو كافر من أهل الجحيم، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، وإذا صحت رسالته؛ وجب تصديقه في كل ما أخبر به ، فأمسك ولم يحر جواباً [1] .

من المناظرة السابقة نلحظ ما يلي :

١ – أن من مراتب العلم التي ذكرها ابن القيم [2] :

١ - حسن السؤال ، ومن حسن سؤاله - رحمه الله - في المناظرة السابقة : أنه قدم للخصم من الدلائل ما يوصله إلى أصل الدعوى وهي إثبات نبوة محمد ﷺ التي هي إجابة لسؤاله (فما لك لا تدخل في دينه؟).

٢ - حسن الإنصات والاستماع ، وهذا ظاهر في المناظرة.

٣ - حسن الفهم، ويتضح ذلك بفهم صحة الدعوى المراد إثباتها، فنجده - رحمه الله - يدافع عن نبوة نبينا محمد ﷺ بالحوار العقلي النابع عن فهم عقدي راسخ، كان ثمرته استسلام الخصم وسكوته بقوله - رحمه

---

(1) هداية الحيارى، ص٢٦٥، ٢٦٦؛ وانظر: الصواعق المرسلة ٣٢٧/١ ؛ وزاد المعاد في هدي خير العباد ٥٥٩/٣، ٥٦٠ .

(2) انظر: مفتاح دار السعادة ٥١١/١.

الله - : (فأمسك ولم يحر جواباً).

والسكوت عن الجواب من أقسام الانقطاع، قال تعالى:﴿**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**﴾[١].

وأقسام الانقطاع سبعة :

الأول: السكوت عن الجواب .

والثاني: أن يعلل ولا يجدي .

والثالث: أن ينقض ببعض كلامه بعضاً .

والرابع: أن يؤدي كلامه إلى المحال .

والخامس : أن ينتقل من دليل إلى دليل.

والسادس: أن يسأل عن الشيء فيجيب عن غيره.

والسابع: أن يقول قولاً فيلزم أن يقول بمثله، فلا يركب ما طولب به ولا يأتي بالفصل.

ويجوز السكوت في ثلاثة مواطن، ولا يكون انقطاعاً:

الأول: أن يكون في الرد على الخصم مفسدة أعظم .

الثاني: أن يلحق الراد بلاء عظيم لا يطيقه ، فهو مخير بين الرخصة والعزيمة، إلا أن يكون ممن يقتدى بهم، فيخشى إن أخذ بالرخصة؛ حصلت مفسدة على الأمة [٢] .

الثالث: أن يعرف فحش الخصم أو تخليطه أو تشويشه؛ فإن الصمت في هذا المقام قرين الفقه في الدين؛ لأنه من صفات المتقين [٣] .

---

(1) سورة البقرة ، الآية ٢٥٨.

(2) وهذا ظاهر في مواقف الإمام أحمد بن حنبل أيام المحنة، ومنها: قال المروذي في محنة أحمد بن حنبل وهو بين الهنبازين: يا أستاذ ! قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء:٢٩] فقال أحمد: يا مروذي ، اخرج انظر أي شيء ترى؟ قال: فخرجت إلى رحبة دار الخليفة، فرأيت خلقاً من الناس لا يحصي عددهم إلا الله، والصحف في أيديهم، والأقلام والمحابر في أذرعتهم، فقال لهم المروذي: أي شيء تعملون، قالوا : ننظر ما يقول أحمد؛ فنكتبه ، قال المروذي: مكانكم ، فدخل إلى أحمد بن حنبل وهو قائم بين الهنبازين، فقال له: رأيت قوماً بأيديهم الصحف والأقلام، ينتظرون ما تقول؛ فيكتبونه، قال: يا مروذي، أضل هؤلاء كلهم ؟ أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء كلهم (مناظرات أئمة السلف، ص٧٢، ٧٣) .

(3) مناظرات أئمة السلف مع حزب إبليس وأفراخ الخلق، أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي، ط١، ١٤١٤هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، ص٧١-٧٣ .

٢ – تقرير الاستدلال بطريقة استسلاف المقدمات المؤاخذة بالاعتراف بقوله - رحمه الله - : "أنتم بتكذيبكم محمداً ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة..." .

فقد يترقى المناظر لخصمه بالاستدلال على سبيل الاستدراج، لينقله من إحراج إلى إحراج؛ فينقطع، وهذه طريقة إبراهيم الخليل – عليه الصلاة والسلام - في الاستدلال ، كما في قول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (1) وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ (2) .

لقد كان إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – في المقامين مناظراً؛ فكان لزاماً أن يبين بطلان ما كان عليه قومه، فاستخدم معهم أسلوب العرض وإرخاء العنان والترقي في الاستدلال؛ مجاراة لأبيه وقومه

---

(1) سورة البقرة ، الآية ٢٥٨ .

(2) سورة الأنعام ، الآية ٧٤-٨٣ .

وحاكمهم، ثم كر على قولهم واعتقادهم بالإبطال، فحجمهم وقطعهم [1] .

٣ – الالتزام بالعلم الشرعي الصحيح والبعد عن الشبهات والشهوات وهذا نلحظه في جميع أجزاء المناظرة .

٤ – تقديم الأدلة المثبتة لصحة الدعوى النابعة عن خلفية علمية راسخة بقوله - رحمه الله - : "إذا قلتم : إن محمداً ملك ظالم، قهر الناس بسيفه، وليس برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة يدّعي أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة ، ويقول أمرني الله بكذا ، ونهاني عن كذا، وأوحى إليّ كذا.." .

٥ – والعدل بين المتناظرين يكون ببذل النصيحة ، وترك الخيانة فيما قل وكثر، والإنصاف من النفس بكل وجه [2] ، وقال ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : "أعدل الناس من قام بحدود الأخلاق والأعمال والمشروعات، معرفة وفعلاً [3] ، وقد كان - رحمه الله - من أعدل الناس ؛ إذ إنه كان حافظاً لحدود الأخلاق في مناظراته ، وقد ظهر ذلك جليّاً في الأنموذج التطبيقي السابق؛ حيث نجد تقدير الخصم ومراعاته له بقوله : (مثلك يقول هذا الكلام) وفي قوله - رحمه الله - : (غلبت كل الغلب) ؛ إذ لم يوجه خطابه لشخص الخصم وإنما وجهه لفكره ، وكذلك لم نجد في المناظرة ألفاظاً خارجة عن حدود الأخلاق سواءً كانت فكرية أو أدبية.

٦ – ولابد لهذا العلم الغزير والفهم الصحيح من بيان يفصح عنه، كالذي نجده في المناظرة السابقة من وضوح الألفاظ وفصاحتها ، وقصر العبارات ذات الإيحاء للفكرة التي يريد إثباتها ، والتنويع بين الخبر والإنشاء في أسلوبه ؛ مما كان له الأثر في إثارة ذهن المتلقي .

٧ – والفكرة حينما تنبع من جَنان صادق يكون لها الأثر في نفوس المتلقين بالقبول أو الاستسلام، وهذا ما نجده في نفس المناظر الناصح ابن

---

(1) مناظرات أئمة السلف ، ص٧٤، ٧٥ .

(2) انظر: مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة مفهوم ونظر وتطبيق (بتصرف)، سعيد القحطاني، ط١، ١٤١٥هـ، مطبعة سفير، الرياض، ص٥٩ .

(3) فوائد الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، رتبه وعلق عليه ، علي الأثري ، ط٥، ١٤٢٢هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، ص٢٥٤ .

قيم الجوزية - رحمه الله - في المناظرة السابقة من عاطفة إسلامية متأججة، كان لها الأثر عبر العصور .

٨ – وابن قيم الجوزية - رحمه الله - عالم موسوعي أوتي ملكة التعبير ، وهذا فضلاً عما سبق ليس كافياً لدحض حجة الخصم ما لم يكن ثمة بديهة حاضرة تعينه على استحضار الدليل؛ ولأن الله - تعالى - قد منّ على ابن قيم الجوزية - رحمه الله - بذلك؛ رأينا قوة حجته في المناظرة السابقة - مثلاً - مما كان له الأثر الكبير في إسكات الخصوم.

الضوابط الإجرائية :

لقد سبق التعريف بالضوابط الإجرائية في الفصل التمهيدي ، وفي هذا المطلب سأبين الضوابط الإجرائية التي انتهجها ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في مناظراته، سواء كانت تعريفاً أم تقسيماً أم تصديقاً. وهي مرتبة كالتالي (١) :

أولاً: النظر في صحة النقل.

ثانياً: النظر في اللفظ ، هل فيه لفظ غامض، أو مبهم الدلالة، أو موهم لمعنى غير صحيح.

ثالثاً: النظر في صحة مضمون الكلام وكونه مستوفياً شروط الصحة والحسن .

رابعاً: النظر في التعريف هل تضمن دعاوى ضمنية ، بأنه – مثلاً – حقيقي، أو حد تام، أو رسم تام، أو نحو ذلك .

خامساً: النظر في التقسيم ، كونه مشتملاً على دعاوى غير مسلمة.

وإذا ثبت كون التعريف يتضمن دعاوى ضمنية ، وكون التقسيم يشتمل على دعاوى غير مسلمة؛ حينئذ تتحول المناظرة إلى مناظرة في التصديقات .

سادساً: النظر في التصديق، ينظر في كلام المعلل الذي يلتزم صحة مضمون كلامه ويعتبر نفسه صاحب دعوى ، فإذا وجد التصديق بدهيّاً جليّاً؛ لم يكن له أن يمنعه ، وإذا كان التصديق تصديقاً نظريّاً أو بدهيّاً خفيّاً؛ نظر السائل:

أ – إذا لم يقم المعلل الدليل عليه أو التنبيه على الدليل؛ كان للسائل

(1) انظر: ضوابط المعرفة ، ص٣٩٢، ٣٩٣، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٤٧، ٤٤٨ .

أن يمنعه ، والمنع هنا يقتضي المطالبة بالدليل عليه أو التنبيه ، وليس للسائل في هذه الحالة أن يقيم الدليل على إبطال مدعى المعلل؛ لأن ذلك من قبيل الغصب ، وهو وظيفة غير جائزة ولا مقبولة .

ب – وإن أقام المعلل الدليل على التصديق النظري ، أو التنبيه على الدليل البدهي الخفي ؛ فللسائل أن يعترض ببعض الوظائف التالية :

١ – المنع .

٢ – المعارضة .

٣ – النقض .

وحينما ننظر في مناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – نجد التطبيق العملي لتلك الضوابط ؛ ففي صحة النقل يأتي قوله في الرد على الموقعين لطلاق الثلاث: "وأما حديث نافع بن عجير الذي رواه أبو داود[١]: أن ركانة طلق امرأته البتة، فأحلفه رسول الله ﷺ ما أراد إلا واحدة، فمن العجب تقديم نافع بن عجير المجهول الذي لا يعرف حاله البتة ، ولا يدرى من هو ، ولا ما هو على ابن جريج ، ومعمر وعبدالله بن طاوس في قصة أبي الصهباء ، وقد شهد إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري بأن فيه اضطراباً ، هكذا قال الترمذي في الجامع، وذكر عنه في موضع آخر : أنه مضطرب ، فتارة يقول : طلقها ثلاثاً، وتارة يقول: واحدة، وتارة يقول: البتة، وقال الإمام أحمد: وطرقه كلها ضعيفة، وضعفه أيضاً البخاري، حكاه المنذري عنه"[٢].

أما في دلالة اللفظ ؛ فقد يتضح نظر ابن قيم الجوزية من خلال رده على قول السائل: "مشهور عندكم في الكتاب، والسنة أن نبيكم كان

---

(1) عن نافع بن عجير بن عبد يزيد بن ركانة، أن ركانة بن عبد يزيد طلق امرأته سهمية البتة فأخبر النبي ﷺ بذلك وقال: "والله ما أردت ا إلا واحدة" فقال رسول الله ﷺ : "والله ما أردت إلا واحدة" فقال ركانة: والله ما أردت إلا واحدة. فردها إليه ﷺ فطلقها الثانية في زمن عمر، والثالثة في زمن عثمان. سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد بن ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبوعبيدة مشهور آل سلمان ، ط٢، ١٤١٧هـ ، مكتبة المعارف، الرياض. كتاب الطلاق (٧) باب البتة (١٤) ص٣٣٥، (حديث ضعيف).

(2) جامع الفقه ٥٢٠/٥.

مكتوباً عندهم في التوراة، والإنجيل، لكنهم محوه عنهما، لسبب الرياسة، والمأكلة. والعقل يستشكل ذلك، أفكلهم اتفقوا على محو اسمه من الكتب المنزلة من ربهم شرقاً ، وغرباً، وجنوباً، وشمالاً؟ هذا أمر يستشكله العقل، أعظم من نفيهم بألسنتهم؛ لأنه يمكن الرجوع عما قالوا بألسنتهم، والرجوع عما محوا أبعد [١]، حيث أجابه – رحمه الله – قائلاً: إن هذا السؤال مبني على فهم فاسد، وهو أن المسلمين يعتقدون أن اسم النبي ﷺ الصريح ، وهو محمد بالعربية ، مذكور في التوراة، والإنجيل، وهما الكتابان المتضمنان لشريعتين، وأن المسلمين يعتقدون أن اليهود ، والنصارى في جميع أقطار الأرض ، محوا ذلك الاسم ، وأسقطوه جملة من الكتابين، وتواصوا بذلك ، بعداً ، وقرباً، وشرقاً ، وغرباً، وهذا لم يقله عالم من علماء المسلمين، ولا أخبر الله – سبحانه وتعالى – به في كتابه، عنهم ولا رسوله ولا بكتهم به يوماً من الدهر... وإن الرب – سبحانه وتعالى - ، إنما أخبر عن كون رسوله مكتوباً عندهم، أي الإخبار عنه، وصفته، ومخرجه، ونعته، ولم يخبر بأن صريح اسمه العربي، مذكور عندهم في التوراة والإنجيل [٢] .

يظهر في المثال السابق:

أولاً: النظر في اللفظ وكونه موهماً لمعنى غير صحيح لقول ابن قيم الجوزية – رحمه الله – : إن هذا السؤال مبني على فهم فاسد .

ثانياً: اعترض السائلُ ابنُ قيم الجوزية – رحمه الله – على صاحب التصديق بالمنع مقروناً بالسند القطعي [٣] فقال له : إن هذا السؤال مبني على فهم فاسد، وكيف أسلم لك هذه الدعوى، إني أجزم وأقطع أن الرب – سبحانه وتعالى – إنما أخبر عن كون رسوله مكتوباً عندهم، أي الإخبار عنه ، وصفته ، ومخرجه ، ونعته، ولم يخبر بأن صريح اسمه العربي، مذكور عندهم في التوراة والإنجيل، فالسند القطعي لم يشتمل على دليل للمنع، إنما اشتمل على مبرر للمنع الذي هو في حقيقته مطالبة للمعلل،

---

(1) هداية الحيارى ، ص١٤١ .

(2) هداية الحيارى ، ص١٤١، ١٤٢ .

(3) السند القطعي : هو ما يذكره السائل مع المنع، مبيناً فيه أن منعه يستند إلى جزمه بما ينافي دعوى المعلل صاحب التصديق . (ضوابط المعرفة، ص ٤١٨) .

صاحب التصديق، بالدليل على دعواه .

وقد نجد التصديق النظري حينما يأتي ابن قيم الجوزية – رحمه الله – سائلاً يقدم اعتراضه على المعلل القائل: إن التقليد من لوازم الشرع والقدر، والمنكرون له مضطرون إليه. حيث أجاب – رحمه الله – من باب المعارضة بالغير، التي أنتجت في نظره – بوصفه السائل – نقيض دعوى المعلل، إذ قال: إن التقليد المنكر المذموم ليس من لوازم الشرع ، وإن كان من لوازم القدر، وإنما الذي من لوازم الشرع المتابعة والاقتداء ، وتقديم النصوص على آراء الرجال، وتحكيم الكتاب والسنة في كل ما تنازع فيه العلماء ، وأما الزهد في النصوص والاستغناء عنها بآراء الرجال وتقديمها عليها والإنكار على من جعل كتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة نصب عينيه، وعرض أقوال العلماء عليها، ولم يتخذ من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة؛ فبطلانه من لوازم الشرع، ولا يتم الدين إلا بإنكاره وإبطاله ، فهذا لون، والاتباع لون (1) .

---

(1) إعلام الموقعين ٢/٢٢٦، ٢٢٧.

المطلب الثاني : آداب المناظرة :

اشتملت مناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – على قواعد وآداب تعد من أساسيات المناظرة التي يجدها المناظر نبراساً تضيء له طريقه في البحث عن الحق ونصرة الدين، وأهمها:

١ – الإنصاف البين والنصح التام، حيث وضح ابن قيم الجوزية – رحمه الله – الإنصاف البين بقوله – رحمه الله – : "يقوم كل واحد مع نفسه؛ فيتفكر في أمر هذا الداعي وما يدعو إليه ، ويستدعي أدلة الصدق والكذب ويعرض ما جاء به عليها؛ ليتبين له حقيقة الحال، فهذا هو الحجاج الجليل والإنصاف البين والنصح التام" (١) وقد اتضح الإنصاف في قوله – رحمه الله – : "ولقد ناظرت بعض علماء النصارى معظم يوم، فلما تبين له الحق؛ بهت، فقلت له وأنا وهو خاليين: ما يمنعك الآن من اتباع الحق؟..." (٢) .

٢ – النهي عن التشهي والتحكم: قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾ (٣) ، فهذا هو الذي تسميه النظار والفقهاء : التشهي والتحكم، فيقول أحدهم لصاحبه : لا حجة لك على ما ادعيت سوى التشهي والتحكم الباطل، فإن جاءك ما لا تشتهيه دفعته ورددته، وإن كان القول موافقاً لما تهواه وتشتهيه، إما من تقليد من تعظمه أو موافقة ما تريده؛ قبلته وأجزته، فترد ما خالف هواك، وتقبل ما وافق هواك. وهذا الاحتجاج مفحم للخصم، لا جواب له عليه البتة، فلا يجوز أن تكون الشرائع تابعة للشهوات ؛ إذ لو كان الشرع تابعاً للهوى والشهوة، لكان في الطباع ما يغني عنه، وكانت شهوة كل أحد وهواه شرعاً له (٤) قال تعالى: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ**

---

(1) الصواعق المرسلة ٤٧٢/٢ .

(2) هداية الحيارى ، ص٣٣٨ .

(3) سورة البقرة، الآية ٨٧ .

(4) بدائع التفسير ٣٢٢/١، ٣٢٣.

وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾[١] .

٣ – تجرد الناظر عن التعصب والحمية وقصد طاعة الله ورسوله : ذكر ابن القيم أن أهل الحق يقبلونه من كل من جاء به؛ حيث يأخذون حق جميع الطوائف ويردون باطلهم، وهم إذا اختلفوا فاختلافهم اختلاف رحمة وهدى يقر بعضهم بعضاً عليه ويواليه ويناصره . وهو داخل في باب التعاون والتناظر الذي لا يستغني عنه الناس في أمور دينهم ودنياهم بالتناظر والتشاور ، وإعمالهم الرأي، وإجالتهم الفكر في الأسباب الموصلة إلى درك الصواب ، فيأتي كل منهم بما قدحه زناد فكره وأدركته قوة بصيرته، فإذا قوبل بين الآراء المختلفة والأقاويل المتباينة، وعرضت على الحاكم الذي لا يجور وهو كتاب الله وسنة رسوله ، وتجرد الناظر عن التعصب والحمية واستفرغ وسعه، وقصد طاعة الله ورسوله؛ فقلَّ أن يخفى عليه الصواب من تلك الأقوال وما هو أقرب إليه [٢] وقال – رحمه الله – : "... وأيضاً فإن المحاجة والمجادلة بعد وضوح الشيء وظهوره نوع من العبث بمنزلة المحاجة في طلوع الشمس" [٣] .

٤ – الرفق وترك التعسف والبذاءة والاستطالة: ومن شواهد رفقه مع مناظريه - رحمه الله - مخاطبته لأبي القاضي في مناظرة الحسن والقبح، إذ يقول ابن قيم الجوزية - رحمه الله -: وهذا الحكم فيما شرع في الشريعة الواحدة في وقت ثم نسخ في وقت آخر، كالتخيير في الصوم، وفرض الصلاة كان أولاً ركعتين لما كانوا حديثي عهد بالإسلام ، ففرضت عليهم بوصف؛ للتخفيف، فلما ذللت بها جوارحهم وطوعت بها أنفسهم، واطمأنت إليها قلوبهم، زيدت ضعفها وأقرت في السفر على الفرض الأول؛ لحاجة المسافر إلى التخفيف لمشقة السفر عليه.

فتأمل كيف جاء كل حكم في وقته مطابقاً للمصلحة والحكمة، شاهداً لله، بأنه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، الذي بهرت حكمته العقول

---

(1) سورة المؤمنون ، الآية ٧١ .

(2) الصواعق المرسلة ٥١٧/٢.

(3) المصدر نفسه ٤٨٦/٢.

والألبـاب، وبـدأ علـى صـفحاتها بـأن مـا خالفهـا هـو الباطـل، وأنهـا عـين المصلحة والصواب.

وتأمل الحكمة البـاهرة فـي شـرع الـصلاة أولاً إلـى بيت المقدس، إذ كانـت قبلـة الأنبيـاء ، ثـم عَلِـمَ - سـبحانه - أن المـصلحة لــه ولأمتــه أن يستقبلوا الكعبـة البيت الحـرام أفضل بقـاع الأرض، وأنـه إذا نـسخ آيـة أو حكماً أتـى بخيـر منـه أو مثلـه، وأنـه علـى كـل شـيء قدير، ثـم أخبـر أنـه - سبحانه - لم يكن يضيع ما تقدم لهم من الصلوات إلـى القبلـة الأولـى، وأن رأفته ورحمته بهم تأبى إضاعة ذلك عليهم وقد كان طاعة لهم، فلمَّا قـرر - سـبحانه - ذلـك كلـه وبـين حـسن هـذه الجهـة بعظمـة البيـت وعلـو شـأنه وجلالـه قـال تعـالى: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾ (١) .

فتـدبر هـذا الاعتنـاء وهـذا التقدير وبيـان المـصالح الناشـئة مـن هـذا الفرع من فروع الشريعة وبيان المفاسد الناشئة من خلافـه، وأن كـل جهـة فهي في وقتها كان استقبالها هو المصلحة ، وأن للـرب - تعـالى - الحكمـة البالغة في شرع القبلة الأولى ، وتحويل عباده عنها إلى المسجد الحـرام ، فهذا معنى كون الحسن والقبح ذاتياً للفعل ، لا ناشئاً من ذاتـه. ولا ريـب عنـد ذوي العقـول أن مثـل هـذا يختلـف بـاختلاف الأزمـان والأمكنـة والأحوال والأشخاص (٢) .

ويشير – رحمه الله – إلى أهميـة الرفق فـي القـول، وتـرك التعسف وإيذاء الطرف الآخر، وإن بدأ بشيء من ذلك؛ عورض حينئذ بمـا ينبغـي. نجد ذلك في إجابته – رحمه الله – على قول السائل: "نرى في دينكم أكثر الفـواحش فـيمن هـو أعلـم وأفقـه فـي دينكم، كالزنـا ، واللـواط ، والخيانـة ، والحسد ، والبخـل، والغـدر، والتجبـر، والتكبـر، والخـيلاء، وقلـة الـورع واليقين، وقلة الرحمة والمروءة والحميـة ، وكثـرة الهلـع ، والتكالـب علـى الدنيا...)(٣)؛ حيث كان جوابه : (إن كان من الأمة الغضبية إخوان القردة:

---

(1) سورة البقرة، الآية ١٤٤ .

(2) انظر: مفتاح دار السعادة ٣٧٧/٢-٣٨٣ .

(3) هداية الحيارى ، ص٣٦٣ .

ألا يستحي من إيراد هذا السؤال ، من آباؤه وأسلافه كانوا يشاهدون في كل يوم من الآيات ما لم يره غيرهم من الأمم، وقد فلق الله لهم البحر، وأنجاهم من عدوهم، وما جفت أقدامهم من ماء البحر حتى قالوا لموسى : ﴿**اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ (١) ولما ذهب لميقات ربه لم يمهلوه أن عبدوا بعد ذهابه العجل المصوغ، وغُلب أخوه هارون معهم" (٢) .

٥ – النهي عن المغالطة، والرجوع إلى ما أوجبته الحجة القاطعة حيث ذكر ابن القيم – رحمه الله – أن : "إبراهيم لما أجاب المحاج له في الله بأنه الذي يحيى ويميت ؛ أخذ عدو الله معارضته بضرب من المغالطة وهو أنه يقتل من يريد ويستبقي من يريد، فقد أحيا هذا وأمات هذا، فألزمه إبراهيم على طرد هذه المعارضة أن يتصرف في حركة الشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها إذا كان بزعمه قد ساوى الله في الإحياء والإماتة" (٣) .

وتتضح المغالطة فيما ذكره ابن قيم الجوزية – رحمه الله – إذ يقول : "وأما السامرة ؛ فإنهم يصلون إلى طور لهم بأرض الشام يعظمونه ويحجون إليه، ورأيته أنا وهو في بلد نابلس، وناظرت فضلاءهم في استقباله ، وقلت: هو قبلة باطلة مبتدعة، فقال مشارٌ إليه في دينهم: هذه هي القبلة الصحيحة، واليهود أخطؤها ؛ لأن الله تعالى أمر في التوراة باستقباله عيناً، ثم ذكر نصاً يزعمه من التوراة في استقباله ، فقلت له : هذا خطأ قطعاً على التوراة؛ لأنها إنما أنزلت على بني إسرائيل، فهم المخاطبون بها، وأنتم فرع عليهم فيها، وإنما تلقيتموها عنهم، وهذا النص ليس في التوراة التي بأيديهم، وأنا رأيتها، وليس هذا فيها، فقال لي: صدقت، إنما هو في توراتنا خاصة، قلت له : فمن المحال أن يكون أصحاب التوراة المخاطبون بها ، وهم الذين تلقوها عن الكليم ، وهم متفرقون في أقطار الأرض قد كتموا هذا النص، وأزالوه، وبدَّلوا القبلة التي أمروا بها، وحفظتموها أنتم، وحفظتم النص بها؛ فلم يرجع إلي

(1) سورة الأعراف، الآية ١٣٨.

(2) هداية الحيارى ، ص٣٦٧ .

(3) الصواعق المرسلة ٢/٤٩٠، ٤٩١.

بجواب [1] .

(1) بدائع الفوائد ٤/١٦٠٦، ١٦٠٧ .

المبحث الثالث
الاستدلال في المناظرة عند ابن قيم الجوزية – رحمه الله –

المطلب الأول : الاستدلال النقلي.

المطلب الثاني : الاستدلال العقلي.

انقسم الاستدلال في مناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – إلى قسمين: نقلي وعقلي . وقد التزم ابن القيم منهج شيخه ابن تيمية – رحمهما الله – في تقديم الاستدلال النقلي على العقلي [1] .

المطلب الأول: الاستدلال النقلي:

نهج ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في الاستدلال النقلي منهج كثير من علماء السلف الصالح وتتضح رؤيته – رحمه الله – من قوله : "ولما كان التلقي عنه ﷺ على نوعين : نوع بواسطة ونوع بغير واسطة . وكان التلقي بلا واسطة حظ أصحابه الذين حازوا قصبات السباق ، واستولوا على الأمد ، فلا طمع لأحد من الأمة بعدهم في اللحاق، ولكن المبرز من اتبع صراطهم المستقيم، واقتفى منهاجهم القويم ، والمتخلف من عدل عن طريقهم ذات اليمين وذات الشمال، فذلك المنقطع التائه في بيداء المهالك والضلال، فأي خصلة خير لم يسبقوا إليها، وأي خطة رشد لم يستولوا عليها، تالله لقد وردوا رأس الماء من عين الحياة عذباً صافياً زلالاً، وأيدوا قواعد الإسلام فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالاً،فتحوا القلوب بعدلهم بالقرآن والإيمان، والقرى بالجهاد بالسيف والسنان، وألقوا إلى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصاً، وكان سندهم فيه عن نبيهم ﷺ عن جبريل عن رب العالمين سنداً صحيحاً عالياً، وقالوا: هذا عهد نبينا إلينا وقد عهدنا إليكم، وهذه وصية ربنا وفرضه علينا وهي وصيته وفرضه عليكم ، فجرى التابعون لهم بإحسان على منهاجهم القويم ، واقتفوا على آثارهم صراطهم المستقيم، ثم سلك تابعوا التابعين هذا المسلك الرشيد، وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد..."[2].

واعتمد – رحمه الله – على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة ومن أخذ عنهم، ومن الشواهد على ذلك قوله – رحمه الله – : "قولكم : أنتم منعتم من التقليد خشية وقوع المقلد في الخطأ بأن يكون من قلده مخطئاً في فتواه ثم أوجبتم عليه النظر والاستدلال في طلب الحق ، ولا ريب أن صوابه في تقليده لمن هو أعلم منه أقرب من اجتهاده هو لنفسه، كمن أراد شراء سلعة لا خبرة له بها ؛ فإنه إذا قلد

---

(1) انظر: تفصيل ذلك في ج٣ من الصواعق المرسلة .

(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١٥/١ .

عالماً بتلك السلعة، خبيراً بها، أميناً، ناصحاً؛ كان صوابه وحصول غرضه أقرب من اجتهاده لنفسه، جوابه من وجوه :

أحدها : أنا منعنا التقليد طاعة لله ورسوله ، والله ورسوله منع منه، وذم أهله في كتابه، وأمر بتحكيمه وتحكيم رسوله ، وردَّ ما تنازعت فيه الأمة إليه وإلى رسوله، وأخبر أن الحكم له وحده ، ونهى أن يتخذ من دونه ودون رسوله وليجة، وأمر أن يعتصم بكتابه، ونهى أن يتخذ من دونه أولياء وأرباباً يحل من اتخذهم ما أحلوه ويحرم ما حرموه، وجعل من لا علم له بما أنزله على رسوله بمنزلة الأنعام، وأمر بطاعة أولي الأمر إذا كانت طاعتهم طاعة لرسوله بأن يكونوا متبعين لأمره مخبرين به ، وأقسم بنفسه – سبحانه – أن لا نؤمن حتى نحكم الرسول ﷺ خاصة فيما شجر بيننا لا نحكم غيره ثم لا نجد في أنفسنا حرجاً مما حكم به كما يجده المقلدون إذا جاء حكمه خلاف قول من قلدوه ، وأن نسلم لحكمه تسليماً ، كما يسلم المقلدون لأقوال من قلدوه، بل تسليماً أعظم من تسليمهم وأكمل والله المستعان " [(١)] .

وخاطب المقلدين بقوله – رحمه الله – ونحن نسأل المقلدين: هل يمكن أن يخفى قضاء الله ورسوله على من قلدتموه دينكم في كثير من المواضع أم لا ؟ فإن قالوا: لا يمكن أن يخفى عليه ذلك، أنزلوه فوق منزلة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والصحابة كلهم ... فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه خفي عليه قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾ [(٢)] وقوله تعالى : ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**﴾[(٣)]حتى قال: والله كأني ما سمعتها قط قبل وقتي هذا، وكما خفي عليه حكم الزيادة في المهر على مهر أزواج النبي ﷺ وبناته حتى ذكرته تلك المرأة بقوله تعالى: ﴿**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً**﴾ [(٤)] فقال: كل أحد أفقه من عمر حتى النساء. وكما خفي عليه أمر القدوم على محل الطاعون والفرار منه حتى أخبر بأن

---

(1) إعلام الموقعين ٢٢٨/٢.
(2) سورة الزمر ، الآية ٣٠.
(3) سورة آل عمران ، الآية ١٤٤.
(4) سورة النساء ، الآية ٢٠ .

رسول الله ﷺ قال: "إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها، فإن وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه" [(١)] وهذا وهو أعلم الأمة بعد الصديق على الإطلاق، وهو كما قال ابن مسعود رضي الله عنه [(٢)]: "لو وضع علم عمر في كفة ميزان وجعل علم أهل الأرض في كفة لرجح علم عمر"[(٣)]، وقال الشافعي - رحمه الله - [(٤)] : "وأخبرني من لا أتهم من أهل المدينة عن ابن أبي ذئب قال: قضى سعد بن إبراهيم على رجل بقضية برأي ربيعة بن أبي عبدالرحمن ، فأخبرته عن النبي ﷺ بخلاف ما قضى به ، فقال سعد لربيعة: هذا ابن أبي ذئب، وهو عندي ثقة يخبرني عن النبي ﷺ

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب السلام رقم (٣٩)، باب الطاعون والطيرة وغيرها (٣٢)، رقم الحديث (٢٢١٨) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ج٤، ط١، المكتبة الإسلامية، إستانبول ص١٧٣٨.

(2) هو: عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي الزهري ، حليف بني زهرة ، أبو عبدالرحمن ، وأمه أم عبد بنت عبد بن سواء بن هذيل أيضاً لها صحبة ، أسلم بمكة قديماً وهاجر الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها ، وكان صاحب نعل الرسول ﷺ ويمشي أمامه ومعه ويستره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، أمر الرسول ﷺ بأخذ القرآن عنه وشهد له بالجنة مع العشرة، وكان مقدماً في الفقه، والعلم ، والفتوى ، وله في ذلك أتباع، ومناقبه كثيرة، سكن الكوفة في آخر عمره، ثم عاد إلى المدينة ومات ا، وقيل مات بالكوفة، سنة ثلاثين وقيل اثنتين وثلاثين . انظر: (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدين محمد الفاسي ج٥، ط٢، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ص٢٨٣، ٢٨٤؛ و ذيب التهذيب، ابن حجر ٢٧،٢٨/٦).

(3) إعلام الموقعين ٢٢٩/٢، ٢٣٠ .

(4) هو الإمام الشافعي أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن هاشم بن المطلب بن عبدمناف، جد رسول الله ﷺ ولد سنة ١٥٠هـ بغزة ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، والموطأ وهو ابن عشر، وتفقه على مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة، وأذن له في الإفتاء وعمره خمس عشرة سنة ، ثم لازم مالكاً بالمدينة، وقدم بغداد سنة خمس وتسعين فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه ، وأقام ا حولين ، وصنف ا ، ثم عاد إلى مكة ، ثم خرج إلى بغداد سنة ثمان وتسعين، ثم خرج إلى مصر ، وصنف ا كتبه الجديدة، كالأم والأمالي الكبرى والإملاء الصغير ومختصر البويطي ومختصر المزني ومختصر الربيع والرسالة والسنن . له مؤلفات عديدة. وقد ظل في مصر ناشراً للعلم ، ملازماً للاشتغال بجامع عمرو إلى أن أصابته ضربة شديدة فمرض بسببها أياماً، ثم مات يوم الجمعة سنة ٢٠٤هـ . انظر: (شذرات الذهب ٢٠/٣، ٢١).

بخلاف ما قضيت به فقال له ربيعة: قد اجتهدت ومضى حكمك، فقال سعد: واعجباً! أنفذ قضاء سعد بن أم سعد وأرد قضاء رسول الله ﷺ ، بل أرد قضاء ابن أم سعد وأنفذ قضاء رسول الله ﷺ، فدعا بكتاب القضية فشقه وقضى للمقضي عليه(١).

وقال ابن قيم الجوزية – رحمه الله – : قال السائل: تدخل علينا الريبة من جهة عبدالله بن سلام وأصحابه. وهو أنكم قد بنيتم أكثر أساس شرائعكم في الحلال والحرام والأمر والنهي على أحاديث عوام الصحابة، الذين ليس لهم بحث في علم ولا دراسة ولا كتابة قبل مبعث نبيكم، فابن سلام وأصحابه أولى أن يؤخذ بأحاديثهم ورواياتهم ؛ لأنهم كانوا أهل علم وبحث ودراسة وكتابة قبل مبعث نبيكم وبعده، ولا نراكم تروون عنهم من الحلال والحرام والأمر والنهي إلا شيئاً يسيراً جداً وهو ضعيف عندكم، والجواب من وجوه، منها: إن قولكم: إن المسلمين بنوا أساس دينهم على رواية عوام من الصحابة من أعظم البهت، وأفحش الكذب؛ فإنهم وإن كانوا أميين ، فمذ بعث الله فيهم رسوله، زكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة ، وفضلهم في العلم والعمل والهدى والمعارف الإلهية والعلوم النافعة المكملة للنفوس على جميع الأمم، فلم تبق أمة من الأمم تدانيهم في فضلهم وعلومهم وأعمالهم ومعارفهم، فلو قيس ما عند جميع الأمم من معرفة وعلم وهدى وبصيرة إلى ما عندهم؛ لم يظهر له نسبة إليه بوجه ما ، وإن كان غيرهم من الأمم أعلم بالحساب والهندسة والكم المتصل والكم المنفصل والنبض والقارورة والبول والقسطة ووزن الأنهار ونقوش الحيطان ووضع الآلات العجيبة وصناعة الكيميا وعلم الفلاحة وعلم الهيئة وتسيير الكواكب وعلم الموسيقا والألحان وغير ذلك من العلوم التي هي بين علم لا ينفع وبين ظنون كاذبة وبين علم نفعه في العاجلة وليس من زاد المعاد (٢) .

فلقد أثنى الله – سبحانه – عليهم بما لم يثنه على أمة من الأمم سواهم، فقال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**

(1) إعلام الموقعين ٢٣٨/٢، ٢٣٩.

(2) هداية الحيارى ، ص٣٣٩، ٣٤١ .

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾** [2] . وصح عنه ﷺ أنه قال: "أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل" [3]

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: "بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن، فشربت منه حتى أرى الري يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر، فقالوا فما أولت ذلك يا رسول الله قال: العلم" [4] وضم رسول الله ﷺ ابن عباس [5] وقال : "اللهم علمه الحكمة، وتأويل الكتاب" [6] .

وقال عبدالله بن مسعود ﷺ : "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد؛ فاصطفاه وبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلوا وزراءه". وقد ذكر الشافعي الصحابة في رسالته فعظمهم وأثنى عليهم، ثم قال: "وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر

---

(1) سورة آل عمران ، الآية ١١٠.

(2) سورة الفتح ، الآية ٢٩.

(3) سنن الدارمي، كتاب الرقاق (٢٠) باب من قول النبي ﷺ أنتم آخر أمة (٤٧) ج٢ تحقيق: عبدالله هاشم المدني، ط١، ١٤٠٤هـ ، حديث أكادمي ، باكستان، ص٢٢١.

(4) صحيح البخاري ، كتاب العلم (٣) ، باب فضل العلم (٢٢)، ٢٨/١.

(5) هو: عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ ، كان يقال له الحبر والبحر؛ لكثرة عمله ، روى عن النبي ﷺ ودعا له النبي ﷺ بالحكمة مرتين ، وعن ابن عمر قال: كان عمر يدعو ابن عباس ويقربه ويقول: إني رأيت رسول الله ﷺ دعاك يوماً، فمسح رأسك وتفل في فيك وقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ، وقال ابن مسعود ترجمان القرآن ابن عباس . مات سنة ثمان = وستين، وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال: اليوم مات رباني هذه الأمة وكان موته بالطائف، وقيل مات سنة ٦٩هـ . (انظر: تهذيب التهذيب ٢٧٦/٥-٢٧٩) .

(6) صحيح البخاري ، كتاب العلم (٣) ، باب قول النبي ﷺ اللهم علمه الكتاب (١٧)، ٢٧/١.

استدرك به علم، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا، ومن أدركنا ممن نرضى، أو حكي لنا عنه ببلدنا؛ صاروا فيما لم يعلموا فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا ، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وكذلك نقول ولم نخرج من أقاويلهم كلهم". وقال سعيد بن المسيب[1]: "ما أعلم أحداً من الناس بعد رسول الله ﷺ أعلم من عمر ابن الخطاب"[2].

من الشواهد السابقة نجد أن ابن قيم الجوزية – رحمه الله – استدل بكتاب الله – سبحانه وتعالى – وبسنة رسوله ﷺ وبأقوال الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة .

---

(1) هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبدالله بن عمران بن مخـزوم بـن يقظة، عالم أهل المدينة بلا مدافع ، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وكان ملازماً لأبي هريـرة؛ لكونه زوج ابنته. وهو من فقهاء المدينة ، جمع بين الحديث ، والتفسير، والفقه، والورع ، والعبـادة. توفي سنة أربع وتسعين . (انظر: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين السخاوي ، ج٢، ط١، ١٣٩٩هـ، مكتبة ابن الجوزي، الدمام ، ص١٥٨-١٦٠ ؛ وانظر: شذرات الذهب ١/٣٧٠).

(2) انظر: هداية الحيارى ، ص٣٥٢-٣٥٧ .

المطلب الثاني: الاستدلال العقلي:

بعد الإشارة إلى الاستدلال النقلي المعتمد على كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وصحابته – رضوان الله عليهم – وتابعيهم والأئمة من بعدهم؛ يأتي بنا المقام إلى الاستدلال العقلي عند ابن قيم الجوزية – رحمه الله – .

مفهوم الاستدلال العقلي:

بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – مفهوم الاستدلال العقلي بقوله : فإن قيل: فما الفرق بين الحجج والبينات؟ قيل: الفرق بينهما أن الحجج هي الأدلة العلمية التي يعقلها القلب وتسمع بالأذن ، قال تعالى في مناظرة إبراهيم لقومه وتبيين بطلان ما هم عليه بالدليل العلميِّ: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ** ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ** ﴾ [3] .

والحجة هي اسم لما يحتج به من حق وباطل [4] ، قال تعالى: ﴿**لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ** ﴾ [5] فإنهم يحتجون عليكم بحجة باطلة : ﴿**فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي**﴾[6] وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [7] والحجة المضافة إلى الله هي الحق، وقد تكون الحجة بمعنى المخاصمة، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ**

---

(1) سورة الأنعام، الآية ٨٣.
(2) سورة آل عمران ، الآية ٢٠ .
(3) سورة الشورى ، الآية ١٦.
(4) مفتاح دار السعادة ٤٥٣/١ .
(5) سورة البقرة ، الآية ١٥٠ .
(6) سورة البقرة ، الآية ١٥٠ .
(7) سورة الجاثية ، الآية ٢٥.

﴿ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[١] ، أي : قد وضح الحق واستبان وظهر، فلا خصومة بيننا بعد ظهوره ولا مجادلة ، فإن الجدال شريعة موضوعة للتعاون على إظهار الحق، فإذا ظهر الحق ولم يبق به خفاء فلا فائدة في الخصومة.

والجدال على بصيرة مخاصمة المنكر، ومجادلته عناءً لا غناء فيه، هذا معنى هذه الآية[٢] .

ولقد كان لابن قيم الجوزية – رحمه الله – السبق في مخاطبة العقول في مواقع عديدة فنجده يقول – رحمه الله – : ومعلوم قطعاً أنه لم يصدق نبي من الأنبياء من أولهم إلى آخرهم ولم يتبعه من الأمم ما صدق محمد بن عبدالله ﷺ والذين اتبعوه من الأمم أضعاف هاتين المكذبتين مما لا يحصيهم إلا الله . ولا يستريب من له مسكة من عقل أن الضلال والجهل والغي وفساد العقل إلى من خالفه وجحد نبوته أقرب منه إلى أتباعه ومن أقر بنبوته [٣] .

وقال – رحمه الله – : وأين عقول عباد العجل وعباد الصليب الذين أضحكوا سائر العقلاء على عقولهم ودلوهم على مبلغها بما قالوا في معبودهم من عقول المسلمين[٤] .

وسوف أوضح مفهومه – رحمه الله – من خلال رده على الرازي[٥] في قوله: مسألة الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة : عصمة رواة تلك الألفاظ، وإعرابها وتصريفها، وعدم الاشتراك، والمجاز، والنقل، والتخصيص بالأشخاص والأزمنة، وعدم الإضمار،

---

(1) سورة الشورى ، الآية ١٥.

(2) مفتاح دار السعادة ٤٥٣/١، ٤٥٤.

(3) هداية الحيارى ، ص٧٨ .

(4) المصدر نفسه ، ص٧٩ .

(5) هو: الإمام فخر الدين الرازي أبو عبدالله، محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي، المفسر، المتكلم، يقال لـه ابن خطيب الري ، ولد سنة ٥٤٤هـ ، صاحب التصانيف المشهورة، منها : مفاتيح الغيب، وكتاب المحصول، والمنتخب ، و اية العقول، وتأسيس التقديس، والعالم في أصول الدين، والمعالم في أصول الفقه ، والملخص في الفلسفة، وغيرها . توفي سنة ٦٠٦هـ.(شذرات الذهب ٤٠/٧).

والتقديم والتأخير، والنسخ، وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح عليه، إذ ترجيح النقل على العقل يقتضي القدح في العقل المستلزم للقدح في النقل لافتقاره إليه، فإذا كان المنتج ظنياً فما ظنك بالنتيجة ؟ [1] .

وقد رد ابن قيم الجوزية – رحمه الله – على كلام الرازي في المسألة بطريقين:

فصل الطريق الأول:

أن الأدلة السمعية اللفظية قد تكون مبنية على مقدمتين يقينيتين:

إحداهما : أن الناقلين إلينا فهموا مراد المتكلم .

والأخرى: أنهم نقلوا إلينا ذلك المراد كما نقلوا اللفظ الدال عليه .

وكلا المقدمتين معلومة بالاضطرار، فإن الذين خاطبهم النبي ﷺ باسم الصلاة والزكاة والصوم وغيرها من ألفاظ القرآن ، يعلم بالاضطرار أنهم فهموا مراده من تلك الألفاظ التي خاطبهم بها أعظم من حفظهم لها. وأن الطاعن في حصول العلم بمعاني القرآن شر من الطاعن في حصول العلم بألفاظه؛ ولهذا كان الطعن في نقل بعض ألفاظه من الرافضة [2] .

وأما الطعن في حصول العلم بمعانيه، فإنه من فعل الباطنية[3]

---

(1) الصواعق المرسلة ٢/٦٣٣، ٦٣٤ .

(2) الرافضة : هي تلك الطائفة من الشيعة التي تعتقد بأحقية أهل البيت بالإمامة على باقي الصحابة. ويرجع العلماء سبب التسمية، لرفضهم إمامة الشيخين وأكثر الصحابة، وقد أطلق عليهم هذا الاسم بعد رفضهم إمامة زيد بن علي وتفرقهم عنه (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، والأحزاب المعاصرة، إشراف مانع الجهني ، ج٢، ط٣، ١٤١٨هـ دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض، ص١٠٦٩) .

(3) الباطنية: هي تلك الفرقة المتسترة بالتشيع وحب آل البيت للوصول إلى الناس مع إبطان الكفر المحض، وقد خلطت بين التصوف والفلسفة ، وسميت بذلك؛ لأ ا ترى أن لكل ظاهر باطناً ، ولكل تنزيل تأويل. ويقصد بالظاهر ما جاء به محمد ﷺ ويسمى بالتنزيل ويقصد بالباطن علم التأويل الخاص بعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه لب الدعوة عندهم . (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢/٩٩١).

الملاحدة، فإنهم سلموا بأن الصحابة نقلوا الألفاظ التي قالها الرسول، وأن القرآن منقول عنه، لكن ادعوا أن لها معاني تخالف المعاني التي يعلمها المسلمون، وأنه لا يعرف أحد من فرق الإسلام قبل ابن الخطيب[١] وضع هذا الطاغوت وقرره وشيد بنيانه وأحكمه مثله، بل المعتزلة[٢]، والأشعرية[٣]، والشيعة [٤]،

---

(1) سبق التعريف به .

(2) المعتزلة : هم فرقة كلامية ظهرت في أوائل القرن الثاني وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية . وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي طرده الحسن البصري؛ بسبب قوله: إن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين. فاعتزل في سارية من سواري مسجد البصرة يقرر قوله هذا على جماعة استحسنوا رأيه وتابعوه، فسمي هو ومن تابعه بالمعتزلة ؛ لاعتزالهم الحسن، وقولهم بأن مرتكب الكبيرة قد اعتزل المؤمنين والكافرين . (انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ، ص٧٧).

(3) الأشعرية نسبة لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سليمان بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ وقد كان أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – معتزلياً، ولكن فتح الله عليه وهداه؛ فانصاع للحق وأهل الحق –أهل السنة والجماعة – فأناب وتاب وأعلن توبته، وهو فوق منبر الجامع يوم الجمعة بالبصرة، وقيل رقى كرسياً ، ونادى بأعلى صوته، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان ابن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا تراه الأبصار، وأنا تائب مقلع معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعايبهم . وقد وفى أبو الحسن بما قال؛ فصنف المصنفات الحافلة، منها الإبانة ، ومنها الموجز، ومنها المقالات، رد فيها على الملاحدة، وغيرهم، كالمعتزلة والرافضة والجهمية، والخوارج وغيرهم من أهل البدع ، وتوفي أبو الحسن – رحمه الله – سنة ٣٢٤هـ (عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، صالح البليهي، ج٢ ، ط١، ١٤٠١هـ ، المطابع الأهلية، الرياض، ص٥٤٢، ٥٤٣).

(4) الشيعة: اسم علم أطلق أولاً على معنى المناصرة والمتابعة، وأطلق بمعناه هذا على كل من ناصر علياً ومعاوية رضي الله عنهما ودليل ذلك ما جاء في صحيفة التحكيم (هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي طالب، وشيعتهما)، ثم تميز به من فضل إمامة علي بن أبي طالب وبنيه على الخليفة عثمان بن عفان ومن بعده من الأئمة ، ولم يكن الخلاف دينياً ولا النزاع قبلياً ، إلا أن المفهوم تطور على أيدي بعض المتسترين بالإسلام، وأصبح الاعتقاد بالنص والوصية في الإمامة معيار التميز بين الشيعة وغيرهم من فرق الإسلام، وأصبحت مأوى وملجأ لكل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١٠٩٤/٢).

والخوارج[1]، وغيرهم يقولون بفساد هذا القانون، وإن اليقين يستفاد من كلام الله ورسوله ، وإن كان بعض الطوائف يوافقون صاحب هذا القانون في بعض المواضع ، فلم يقل أحد منهم قط إنه لا يحصل اليقين من كلام الله ورسوله ألبتة [2] .

الطريق الثاني في إبطال هذا الأصل أن يقال: من المعلوم أن دلالة الأدلة اللفظية لا تختص بالقرآن والسنة، بل جميع بني آدم يدل بعضهم بعضاً بالأدلة اللفظية . والإنسان حيوان ناطق، فالنطق ذاتي له، وهو مدني بالطبع لا يمكن أن يعيش إلا مع بني جنسه، فلابد أن يعرف بعضهم مراد بعض؛ ليحصل التعاون ، فعلمهم الحكيم العليم تعريف بعضهم بعضاً مراده بالألفاظ، كما قال تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [3] وقال تعالى : ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾ [4] فكانت حكمة ذلك التعليم ، تعريف مراد المتكلم، فلو لم يحصل المعرفة كان في ذلك إبطال لحكمة الله، وإفساد لمصالح بني آدم، وسلب الإنسان خاصيته التي ميزه بها على سائر الحيوان [5] .

وقد استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – على الطريق السابق بثلاثة وسبعين وجهاً ، منها:

- لو لم تفد الأدلة اللفظية العلم بمراد المتكلم لم يعش بنو آدم ، واللازم منتف فالملزوم مثله.
- قول القائل : الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، قدح في العلوم الضرورية التي اشترك الناس في العلم بها .

---

(1) الخوارج : يعرفهم الشهرستاني بقوله: (كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجياً، سواءً كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو غيرهم من التابعين لهم بإحسان). والخوارج من أوائل الفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام ، ومن عقائدهم الأساسية وجوب الخروج على الأئمة المسلمين؛ لارتكاب الفسق أو الظلم، وإنكار الشفاعة، وتكفير بعض الصحابة. (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١٠٦٣/٢).

(2) انظر: الصواعق المرسلة ٦٣٧/٢-٦٤٠.

(3) سورة الرحمن ، الآية ١-٤ .

(4) سورة البقرة، الآية ٣١ .

(5) الصواعق المرسلة ٦٤١/٢.

- أن دلالة قول الرسول ﷺ على مراده أكمل من دلالة شبهات هؤلاء العقلية على معارضته بما لا نسبة بينهما، فكيف تكون شبهاتهم تفيد اليقين وكلام الله ورسوله لا يفيد اليقين ؟
- إن قول القائل الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين إما أن يريد به نفي العموم أو عموم النفي، فإن أراد نفي العموم؛ لم يفده شيئاً ، فإنَّ عاقلاً لا يدعي أن كل دليل لفظي يفيد اليقين حتى ينصب معه الخلاف، ويحتج عليه، وإن أراد به عموم النفي؛ كان هذا مكابرة للعيان وبهتاً ومجاهرة بالكذب الباطل.
- بيان أن العلماء حصل لهم اليقين بمراد الرسول ﷺ في الفروع ؛ فكيف لا يحصل لهم في الأصول (1) .
- إن قول القائل : الأدلة اللفظية موقوفة على هذه المقدمات، أتريد به أن كل دليل منه يقف على مجموع الأمور العشرة؟ أم تريد به أن جنسها يقف على جنس هذه العشرة؟ فإن أردت الأول فهو مكابرة ظاهرة يردها الواقع، فإن جمهور الناس يعلم مدلول الكلام من غير أن تخطر هذه العشرة أو شيء منها بباله ، وإن أردت الثاني فالأدلة العقلية تتوقف على ما به مقدمة أو أكثر بهذا الاعتبار؛ فإن ما من مسألة عقلية إلا وهي متوقفة على مقدمات غير المقدمات التي يتوقف عليها مسألة أخرى فما يتوقف عليه دلالة الدليل لا ضابط له وإنما هو أمر نسبي إضافي (2) .
- إن دعوى المدعي أن كلام الله ورسوله لا يستفاد منه يقين ولا علم، إما أن يدعيه حيث لا يعارض العقل السمع بل يوافقه، أو حيث يعارضه في زعمه، أو حيث لا يعارضه ولا يوافقه، فإن ما جاء به الشرع عند هؤلاء ثلاثة أقسام :

أحدها : ما يخالف ظاهره صريح العقل.

والثاني: ما يوافق العقل.

والثالث: ما لا يحيله العقل ولا يقتضيه .

فقول القائل إن كلام الله ورسوله لا يفيد اليقين يقال له: لا يفيد في

---

(1) الصواعق المرسلة ٦٤٢/٢، ٦٤٧، ٦٥٠، ٦٥٤.

(2) المصدر السابق ٦٨٠/٢ .

شيء من هذه الأقسام الثلاثة عندك، أو في الأول منه خاصة، أو فيه وفي الثالث، فإن كان مراده النفي في جميع الأقسام ؛ كان ذلك عناداً ظاهراً، وإلحاداً في كلام الله ورسوله ، وإن كان مراده أنه لا يفيده فيما يخالف صريح العقل، وهو الذي يريده هؤلاء ؛ قيل له : هذا الفرض وإن اعتقدته واقعاً فهو محال، فلا يعارض السمع الصحيح الصريح إلا معقول فاسد، تنتهي مقدماته إلى المكابرة أو التقليد أو التلبيس والإجمال، وقد تدبر أنصار الله ورسوله وسنته هذا ؛ فما وجدوا بحمد الله العقل الصريح يفارق النقل الصحيح أصلاً ، بل هو خادمه وصاحبه والشاهد له، وما وجدوا العقل المعارض له إلا من أفسد العقول وأسخفها وأشدها منافاة لصريح العقل وصحيحه ، ويجب على المسلم الذي لله ولكتابه وقار وعظمة في قلبه أن يعتقد هذا ، وإن لم يظهر له تفصيله، فإذا ظهر تفصيله كان نوراً على نور؛ فإن الله سبحانه أقام الحجة على الخلق بكتابه ورسوله، فلا يمكن أن يكون فيهما ما يظهر منه خلاف الحق، ولا ما يخالف العقل، ولا يمكن أن يحيل الرسول الناس في الهدى ، والعلم، وصفاته، وأفعاله، على ما يناقض كلامه من عقلياتهم (١) .

(1) الصواعق المرسلة ٦٨٠/٢، وانظر: بقية الأوجه ، ص٦٤٢-٧٩٤ .

الفصل الثاني
مناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله –

المبحث الأول: التعريف بمناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – ونتائجها .

المطلب الأول: أطراف المناظرات.

المطلب الثاني: موضوعات المناظرات وأبرز محاورها.

المطلب الثالث: نتائج المناظرات .

المبحث الثاني: قضايا المناظرات عند ابن قيم الجوزية – رحمه الله – وطرق الاستدلال عليها .

المطلب الأول: القضايا العقدية وطرق الاستدلال عليها.

المطلب الثاني: القضايا الفقهية وطرق الاستدلال عليها.

المبحث الأول

التعريف بمناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – ونتائجها:

المطلب الأول: أطراف المناظرات .
المطلب الثاني: موضوعات المناظرات وأبرز محاورها .
المطلب الثالث: نتائج المناظرات .

المطلب الأول: أطراف المناظرات :

تمهيد :

بعد البحث والاستقراء في كتب ابن قيم الجوزية - رحمه الله - توصلت إلى عشر مناظرات ، منها ما كان واضحاً جلياً لي، ومنها ما بنيت أساسه على تقييم ابن قيم الجوزية - رحمه الله - حيث إنه جعل إيراد الأسئلة والإجابة عليها مناظرة ، فنهجت منهجه في ذلك، حيث قال في قصة إبليس مع الملائكة : "هذه القصة والمناظرة هي من نقل أهل الكتاب ونحن لا نصدقها ولا نكذبها ، وكأنها - والله أعلم - مناظرة وضعت على لسان إبليس" (١) .

---

(١) قال – كما نقل عنه - : إني سلمت أن البارئ إلهي وإله الخلق عالم قادر ، ولا يسأل عن قدرته ومشيئته ، وإذا أراد شيئاً قال له : كن فيكون، وهو حكيم إلا أنه يتوجه على مساق حكمته أسئلة سبعة ، أولها : قد علم قبل خلقي أي شيء يصدر عني ويحصل؛ فلم خلقني أولاً؟ وما الحكمة في خلقه إياي ؟ الثاني: إذ خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته ؛ فلم كلفني بمعرفته وطاعته ، وما الحكمة في التكليف بعد ألا ينتفع بطاعته ، ولا يتضرر بمعصيته؟ الثالث: إذ خلقني وكلفني، فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة، فعرفت وأطعت ؛ فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له ، وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في طاعتي ومعرفتي ، والرابع : إذ خلقني وكلفني على الإطلاق ، وكلفني هذا التكليف على الخصوص ، فإذا لم أسجد، لعنني وأخرجني من الجنة؛ ما الحكمة في ذلك بعد إذ لم أرتكب قبيحاً إلا قولي لا أسجد إلا لك؟ الخامس : إذ خلقني وكلفني مطلقاً وخصوصاً، ولم أطع فلعنني وطردني؛ فَلِم طرقني إلى آدم حتى دخلت الجنة ثانياً، وغررته بوسوستي؛ فأكل من الشجرة المنهي عنها وأخرجه من الجنة معي ؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو منعني من دخول الجنة؛ استراح مني آدم، وبقي خالداً في الجنة، والسادس : إذ خلقني وكلفني عموماً وخصوصاً ولعنني ، ثم طرقني إلى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم؛ فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يرونني وتؤثر فيهم وسوستي ، ولا يؤثر في حولهم، وقوتهم ، وقدرتهم، واستطاعتهم، وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة دون من يجتالهم عنها؛ فيعيشوا طاهرين، سامعين، مطيعين، كان أحرى وأليق بالحكمة، والسابع: سلمت هذا كله، خلقني وكلفني مطلقاً ومقيداً، وحيث لم أطع؛ لعنني وطردني ومكنني من دخول الجنة وطرقني ، وإذ عملت عملي، أخرجني ثم سلطني على بني آدم؛ فلم إذ استمهلته أمهلني، فقلت ﴿**فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [ص:٧٩] فقال:﴿**قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ** * =

وقد يرد في كتب ابن قيم الجوزية – رحمه الله – عدد كثير من التساؤلات ولكن التصنيف يكون حسب الإجابات ؛ إذ قد يلمح منها أسلوب خطابي حضوري يتوافر فيه السائل والمعلل ؛ مما يدل على المناظرة .

وتناولت مناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – موضوعات عديدة ، منها ما هو عقدي ومنها ما هو فقهي ، مثل:

- إثبات نبوة النبي ﷺ وأنه يستحيل الإيمان بنبي من الأنبياء مع جحد نبوته - عليه الصلاة والسلام - .
- موانع دخول أهل الكتاب في الإسلام .
- تقديم متابعة الرسول ﷺ وصحابته – رضوان الله عليهم – على آراء الناس وعقولهم .
- مسألة وقوع طلاق الثلاث بكلمة واحدة .
- مسألة في العقيدة البرزخية .
- مسألة من أصول الانحراف عند المعطلة وهي قول قائلهم : إن الأدلة اللفظية لا تفيد علماً ولا يحصل منها يقين إلا عند تيقن أمور عشرة .
- مسألة في الحسن والقبح .
- مسألة في ابتداع أهل الكتاب القبلة .

ولقد وردت مناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في عدد من كتبه ؛ ففي كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ورد عدة مناظرات، منها ما كان

﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [ص:٨٠-٨١] وما الحكمة في ذلك بعد أن لو أهلكني في الحال؛ استراح الخلق مني، وما بقي شر في العالم : أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر . قال: فهذه حجتي على ما ادعيته في كل مسألة. (الصواعق المرسلة ١٥٣٨/٤-١٥٤٠) . وانظر: حجة إبليس، ابن قيم الجوزية، قدم لها وضبط نصها: أبو أسامة سليم بن عبدالهلالي، ط١، ١٤١٢هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ص٢٣-٢٥).

بلفظ مناظرة ومنها ما كان تساؤلاً . ومن ذلك قولـه – رحمه الله – : وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسـة ... [1] وأيـضاً قولــه - رحمه الله - : ولقد ناظرت بعض علماء النصارى معظم يوم ، فلما تبين لـه الحـق بهت ، فقلت لـه وأنا وهو خاليين ... [2] . وورد أيضاً لـه – رحمه الله – أجوبـة لمسائل أوردها الكفار ، وقد قدم لها بأنها مجادلة بقوله: انتهى إلينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض المسلمين ، فلم يصادف عنده ما يشفيه ... فشمر المجيـب ساعد العزم ، ونهض على ساق الجد وقام لله قيام المستعين به ، مفوض إليه، متكل عليه في موافقة مرضاته، ولم يقل مقالة العجزة الجهال: إن الكفار إنما يعاملون بالجلاد دون الجدال ، وهذا فرار من الزحف، وإخلاد إلى العجز والضعف، وقد أمـر الله بمجادلـة الكفار بعد دعوتهم إقامة للحجة وإزاحـة للعـذر : ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾ [3] .

وفي كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين وردت مناظرة [4] بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – وأحد المقلدة لأئمة المبتدعة بقوله – رحمه الله – في عقد مجلس مناظرة بين مقلد وبين صاحب حجة منقاد للحق حيث كان ، ولقد وردت ألفاظ في المناظرة تدلل على أن صاحب الحجة هو ابن قيم الجوزية – رحمه الله – منها قوله في مقدمة كل وجه: يقال لك أو ويقال لك ، أو ويقال كذا ، وكذلك قولـه : ولنذكر من هذا طرفاً فإنه من عجيب أمرهم .

وفي كتاب مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة وردت مناظرة[5] في الحسن والقبح وكان محورها تفنيد أدلة النفاة ، كابن الخطيب. وقد جعلت مسألة التحسين والتقبيح مناظرة؛ لتوافر أسلوب

(1) هداية الحيارى ، ص٢٦٥؛ وانظر : الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٣٢٧/١ .

(2) هداية الحيارى ، ص٣٣٨ .

(3) هداية الحيارى ، ص٦٤، والآية من سورة الأنفال ، رقمها ٤٢ .

(4) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١٧٤/٢.

(5) مفتاح دار السعادة ٣٦٨/٢-٥٠٢؛ ٥/٣-٢٣.

خطابي حضوري ومن ذلك قولـه - رحمه الله - : أن يقال : هو جائز ، قولك: إما أن يتوقف ترجيح ...، وقولـه: إن هذا الدليل الذي ذكرته بعينه حجة على أنه اختياريٌ ...، وقولـه: وما تعني بالاتفاقي...، وقولـه: ومن ههنا غلط علينا المنازعون لنا في المسألة ... .

وفي كتاب بدائع الفوائد وردت مناظرة [١] لابن قيم الجوزية مع أحد فضلاء السامرة ، حيث يقول - رحمه الله - : وأما السامرة فإنهم يصلون إلى طور لهم بأرض الشام يعظمونه ويحجون إليه، ورأيته أنا وهو في بلد نابلس ، وناظرت فضلاءهم في استقباله، وقلت: هو قبلة باطلة مبتدعة ...

وفي كتاب مدارج السالكين وردت مناظرة [٢] لابن قيم الجوزية مع أحد مبتدعة التقليد بقولـه – رحمه الله – ولقد خاطبت يوماً بعض أكابر هؤلاء، فقلت لـه: سألتك بالله...

وفي كتاب جامع الفقه وردت مناظرة [٣] في مسألة وقوع طلاق الثلاث بكلمة واحدة بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – والمانعين من وقوع طلاق الثلاث بكلمة واحدة. ومن قولـه – رحمه الله – في ذلك : ونحن نناظركم فيما طعنتم به في تلك الأدلة ، وفيما عارضتمونا به على أنا لا نحكم على أنفسنا إلا نصاً عن الله، أو نصاً ثابتاً عن رسول الله ﷺ أو إجماعاً متيقناً لا شك فيه، وما عدا هذا فعرضة للنزاع، وغايته أن يكون سائغ الاتباع لا لازمة، فلتكن هذه المقدمة سلفاً عندكم ، وقد قال تعالى: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾[٤] وقد تنازعنا نحن وأنتم في هذه المسألة، فلا سبيل إلى ردها إلى غير الله ورسوله ألبتة [٥] .

---

(1) بدائع الفوائد ١٦٠٦/٤ .

(2) مدارج السالكين ٢٠٥/٣ .

(3) جامع الفقه ٥١٠/٥؛ وانظر: الصواعق المرسلة ٦١٩/٢-٦٢٨.

(4) سورة النساء ، الآية ٥٩.

(5) جامع الفقه ٥١٧/٥، ٥١٨.

وفي كتاب الروح وردت مناظرة [1]عن العقيدة البرزخية ، حيث ورد فيها تساؤلاً عن دار البرزخ وقد جعلت مسألة العقيدة البرزخية مناظرة ؛ لما فيها من توافر طرفين سائل ومعلل، وتخللها أسلوب خطابي حضوري. ومن ذلك قوله - رحمه الله - : ونحن نذكر أموراً يعلم بها الجواب ...، وقوله : فأحط بهذا الموضوع علماً واعرفه كما ينبغي ... .

وفي كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، وردت مناظرة [2] حول قول متكلم المعطلة [3] : (أن الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة ... وكون الدليل اللفظي لا يفيد اليقين يعد مناظرة ؛ لتوافر الخطاب الحضوري لمتكلم المعطلة بقول ابن القيم – رحمه الله – مخاطباً متكلم المعطلة : إن حكمك بتوقف دلالة الدليل على معرفة الإعراب والتصريف خطأ ظاهر...، وقوله – رحمه الله – وأما أشباهك من الفلاسفة فيقولون ...، وكثر في أسلوبه قوله – رحمه الله – : قوله، إن قوله ، قولك وأيضاً قوله – رحمه الله – : إن قول القائل : الأدلة اللفظية موقوفة على هذه المقدمات، أتريد به أن كل دليل منها يقف على مجموع الأمور العشرة؟ أم تريد به أن جنسها يقف على جنس هذه العشرة ؟ فإن أردت الأول ...

---

(1) الروح ١/٣٠٧-٣٣٥ .

(2) الصواعق المرسلة ٦٣٣/٢ .

(3) هو: الرازي: وقد أشار إليه محقق الكتاب . انظر: هامش الصواعق المرسلة ٦٣٣/٢.

أطراف المناظرة :

مما سبق يتضح لنا أطراف المناظرة، وهي كالتالي:

مناظرة [1] بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – وأحد علماء اليهود في عصره .

ومناظرة [2] بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – وأحد علماء النصارى .

ومناظرة[3] في مسائل أوردها الكفار وأجاب عنها ابن قيم الجوزية –رحمه الله – .

ومناظرة [4] بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – وأحد المقلدة لأئمة المبتدعة .

ومناظرة [5] بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – ونفاة الحسن والقبح .

ومناظرة [6] في مناقشة مبتدعة السامرة في القبلة ، بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – وأحد فضلاء السامرة .

ومناظرة [7] بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – وأحد مبتدعة التقليد .

ومناظرة[8] بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – والمانعين من وقوع طلاق الثلاث واحدة.

ومناظرة [9] في تساؤلٍ أورد من الملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وكون الميت لا يجلس ولا يقعد فيه، وقد أجاب عنه ابن قيم الجوزية - رحمه الله -.

---

(1) هداية الحيارى ، ص٢٦٥ .
(2) المصدر نفسه ، ص٣٣٨ .
(3) المصدر نفسه، ص٦٧-٤٨٢ .
(4) إعلام الموقعين ١٧٤/٢-٢٣٦ .
(5) مفتاح دار السعادة ٣٦٨/٢-٥٥٢، ٥/٣-٢٣.
(6) بدائع الفوائد ١٦٠٦/٤.
(7) مدارج السالكين ٢٠٥/٣.
(8) جامع الفقه ٥١٠/٥.
(9) الروح ٣٠٧/١ .

ومناظرة [1] في مناقشة قول الرازي: إن الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة، وقد أجاب عنه ابن قيم الجوزية – رحمه الله – .

والواضح من خلال الحديث عن أطراف المناظرات السابقة أن اسم الطرف الآخر في أغلبها غير معروف، وقد اجتهدت في سبيل تحديده؛ فلم أصل إلى نتيجة[2].

---

(1) الصواعق المرسلة ٦٣٣/٢ .

(2) وقد لاحظت أن الذين حققوا كتب ابن قيم الجوزية - رحمه الله - المشتملة على مناظراته والذين اعتنوا بإخراجها ونشرها لم يشيروا إلى أسماء الأطراف الأخرى في مناظراته، مثل: هداية الحيارى، تحقيق عصام فارس الحرستاني، ط١، ١٤١٤هـ مكتبة الثقافة ، بيروت، ص٢٩، ٥٢، ٨٩، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٦٠، ١٨٤، ٢٤١؛ وسيد عمران، ط١، ١٤٢٤هـ، دار الحديث، القاهرة، ص، ٢٠، ٣٥، ٦٠، ١٥١، ١٥٤، ١٥٧، ١٧١، ١١٧، ١٥٥؛ ورضوان جامع رضوان ، ط١، ١٤٢٥هـ ، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ص٢٠، ٣٦، ٦٠، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٦، ١٦٨، ١١٤، ١٥٤؛ وعلي محمد دندل، ط١، ١٤٢٦هـ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ص٢٠، ٣٣، ٥٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٦٥، ١١٥، ١٥٠؛ و أبو النصر، ط٣، ١٤١٨هـ، مكتبة السوادي، جدة، ص٣٣، ٥٣، ٨٩، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٤٥، ١٧٢، ٢٢٤؛ وتحقيق أحمد حجازي السقا، ط١، د.ت، دار الريان للتراث ، القاهرة، ص٤١، ٦٣، ٩٥، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٥٢، ١٧٩، ٢٣١؛ إعلام الموقعين، رتبه وضبطه وخرج آياته: محمد عبدالسلام إبراهيم، ط١، ١٤٢٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٣٥٤؛ وتحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ط١، ١٤٢٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٤٣٠؛ وعناية أحمد عبدالسلام الزغبي ، ج٢، ط١، ١٤١٨هـ، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ص٤٢٧؛ وبدائع الفوائد، تحقيق بشير محمد عيون، ج٢، ط١، ١٤١٥هـ، مكتبة البيان، دمشق، بيروت، ص٤٧٤، وسيد عمران - عامر صلاح، ج٤، ط١، ١٤٢٣هـ ، دار الحديث، القاهرة ، ص٩٤٣، وعناية محمد عبدالقادر الفاضلي، ج٤، ط١، ١٤٢٤هـ، المكتبة العصرية ، بيروت، ص١٩٥؛ وتحقيق محمد الإسكندراني عدنان درويش، ط١، ١٤٢٤هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٦٥٤؛ ومدارج السالكين، عناية محمد عبدالرحمن المرعشلي ، ج٢، ط٢، ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص٢٩٢؛ وتحقيق رضوان جامع رضوان، ج٢، ط١، ١٤٢٢هـ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ص١١٧؛ وعبدالغني محمد علي الفاسي، ج٢، ط١، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ص٢٨٧؛ وعامر بن علي ياسين، ط١، ١٤٢٤هـ، دار ابن خزيمة، الرياض، ص٤٣٩؛ ومحمد المعتصم البغدادي، ط١، ١٤٢٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٦٣٨، والداني =

ومعرفة الطرف الآخر في المناظرة أمر مهم، لكن الأهم من ذلك معرفة معتقده أو مذهبه، وهو ما توافر في تلك المناظرات.

بن منير آل زهوي، ط١، ١٤٢٥هـ، المكتبة العصرية، بيروت، ص٣١١؛ والشيخ السيد زايد، والشيخ مصطفى أبو المعاطي، ط١، ١٤٢٥هـ، دار شروق، المنصورة ص٤٠٤؛ وإياد عبداللطيف القبسي، ج٢، ط١، ١٤٢٦هـ، مكتبة الرشد، الرياض، ص٤٨٨؛ والروح، تحقيق السيد الجميلي، ط٢، ١٤١٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت ص١١١؛ ويوسف علي بدوي، ط٥، ١٤٢٢هـ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ص١٧٧؛ والشيخ السيد عبدالغني زايد، ط١، ١٤٢٤هـ، مؤسسة أم القرى، مصر، ص٩٠؛ وعصام الدين الصبابطي، ط١، ١٤٢٤هـ، دار الحديث، القاهرة ص٨٤؛ ومحمد الإسكندراني، ط١، ١٤٢٤هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٦٧.

المطلب الثاني: موضوعات المناظرة وأبرز محاورها :

سيتناول هذا المطلب تعريفاً لمناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – وذلك من خلال عنونة كل مناظرة وتوضيح موضوعها الرئيس، ومن ثم إبراز أهم المحاور الأساسية فيها.

تقرير نبوة محمد ﷺ :

وهي المناظرة التي جرت بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – وأكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرئاسة [1] .

المحاور الرئيسة فيها :

- أن الله يؤيد بنصره وتوفيقه من ينصره ، فالجزاء من جنس العمل .
- أن من أعظم الدلائل على نبوة النبي محمد ﷺ إعزاز الله لـه ونصره وإعلائه لكلمته ، وتمكينه من أعدائه .
- أن نبوة النبي محمد ﷺ عامة لجميع الخلق .
- يستحيل الإيمان بنبي من الأنبياء مع جحد نبوة النبي محمد ﷺ .

إيثار عرض الدنيا والرئاسة عن اتباع الحق :

وهي المناظرة التي جرت بين ابن قيم الجوزية وبين بعض علماء النصارى[2].

المحاور الرئيسة فيها:

- أن من موانع الدخول في الإسلام حب الرئاسة والمأكلة .
- أن من المواضيع التي يضر الاحتجاج ا مواضع الحـال والمـستقبل؛ بـأن يرتكب فعلاً محرماً، أو يترك واجباً؛ فيلومه عليه، فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره ، فيبطل بالاحتجاج به حقاً ويرتكب باطلاً، كما احتج بـه

---

(1) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ص٢٦٥ .

(2) انظر: المصدر نفسه ، ص٣٣٨ .

المصرون على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا: ﴿**لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا**﴾ [(١)]، وقال تعالى : ﴿**وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ**﴾[(٢)] فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه، وأنهم لم يندموا على فعله، ولم يعزموا على شركه ، ولم يقروا بفساده ، فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود، فإذا لامه لائم بعد ذلك قال: كان ما كان بقدر الله[(٣)] .

مناقشة شرعية آراء المقلدين لأئمة المبتدعة :

وهي المناظرة التي جرت بين ابن قيم الجوزية وأحد المقلدة لأئمة المبتدعة[(٤)].

أهم محاور المناظرة :

- أن الاختلاف كثير في كتب المقلدين وأقوالهم وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه، بل هو حق يصدق بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض ، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾ [(٥)] .
- أن الله سبحانه قال: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [(٦)] . فخص هؤلاء بالفلاح دون من عداهم، والداعون إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا الداعون إلى رأي فلان وفلان.
- أن الله – سبحانه وتعالى – ذم من إذا دعي إلى الله ورسوله أعرض ورضي بالتحاكم إلى غيره، وهذا شأن أهل التقليد ، قال

---

(1) سورة الأنعام، الآية ١٤٨.

(2) سورة الزخرف، الآية ٢٠.

(3) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ابن قيم الجوزية، خرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى أبو النصر الشلبي، ج١، ط٢، ١٤١٥هـ ، مكتبة السوادي ، جدة، ص٥٧.

(4) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين ١٧٤/٢-٢٣٦.

(5) سورة النساء ، الآية ٨٢ .

(6) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً**﴾ (1) .

- أن أصحاب النبي ﷺ لم يكونوا يدّعون ما يعرفون من السنة تقليداً لأحد من الصحابة كائناً من كان .
- لقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" (2) فهذا من أكبر الحجج على بطلان المقلدة ، فإنه خلاف سنتهم ، ومن المعلوم بالضرورة أن أحداً منهم لم يكن يدع السنة إذا ظهرت لقول غيره كائناً من كان ، ولم يكن له معها قول البتة، وطريقة فرقة التقليد خلاف ذلك.
- أن فتوى الصحابة والرسول ﷺ حي بين أظهرهم إنما كانت تبليغاً عن الله ورسوله، وكانوا بمنزلة المخبرين فقط، فلم تكن فتواهم بغير النصوص ولم يكن تقليداً لرأي فلان وفلان .
- قال تعالى : ﴿**فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ**﴾ (3) استشهد المقلدة بهذه الآية على أن الله أوجب قبول نذارتهم، وذلك تقليداً لهم، فرد عليهم ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بقوله: إن الله – سبحانه وتعالى – إنما أوجب عليهم قبول ما أنذرهم به من الوحي الذي ينزل في غيبتهم عن النبي ﷺ في الجهاد ، فأين في هذا حجة لفرقة التقليد على تقديم آراء الرجال على الوحي؟ وأن الله – سبحانه وتعالى – نوع عبوديتهم وقيامهم بأمره على نوعين :

أحدهما : نفير الجهاد، والثاني: التفقه في الدين؛ فالنافرون يجاهدون عن القاعدين، والقاعدون يحفظون العلم للنافرين، فإذا رجعوا من نفيرهم، استدركوا ما فاتهم من العلم بإخبار من سمعه من رسول الله ﷺ .

أن كل واحد منا مأمور بأن يصدق الرسول فيما أخبر به ويطيعه فيما أمر، وذلك

(1) سورة النساء ، الآية ٦١ .

(2) سنن الدارمي، المقدمة، باب اتباع السنة (١٦)، رقم الحديث (٩٦) ١/٤٣، ٤٤ .

(3) سورة التوبة، الآية ١٢٢ .

لا يكون إلا بعد معرفة أمره وخبره، ولم يوجب الله – سبحانه وتعالى – من ذلك على الأمة إلا ما فيه حفظ دينها ودنياها وصلاحها في معاشها، ومعادها، وأن الواجب على كل عبد أن يعرف ما يخصه من الأحكام ، ولا يجب عليه أن يعرف ما لا تدعوه الحاجة إلى معرفته، وليس في ذلك إضاعة لمصالح الخلق ولا تعطيل لمعاشهم .

- أن الله جعل في فطر العباد تقليد المتعلمين للمعلمين في جميع الصنائع والعلوم ، فهذا حق لا ينكره عاقل ، ولكن كيف يستلزم ذلك صحة التقليد في دين الله، وقبول قول المتبوع بغير حجة توجب قبول قوله، وتقديم قوله على قول من هو أعلم منه ، وترك أقوال أهل العلم جميعاً من السلف والخلف ، لقوله: فهل جعل الله ذلك في فطر أحد من العالمين ؟ ثم يقال: بل الذي فطر الله عليه عباده طلب الحجة والدليل المثبت لقول المدعي؛ لأجل ذلك أقام الله – سبحانه وتعالى – البراهين القاطعة والحجج الساطعة والأدلة الظاهرة ، والآيات الباهرة على صدق رسله ؛ إقامة للحجة وقطعاً للمعذرة ، ففطرة الله وشرعه من أكبر الحجج على فرقة التقليد .

- أن الله أوجب على العباد أن يتقوه بحسب استطاعتهم ، وأصل التقوى معرفة ما يتقى ثم العمل به ، فالواجب على كل عبد أن يبذل جهده في معرفة ما يتقيه مما أمره الله به و ناه عنه، ثم يلتزم طاعة الله ورسوله ، وما خفي عليه فهو أسوة أمثاله ممن عدا الرسول ﷺ ؛ فكل أحد سواه قد خفي عليه بعض ما جاء به ، ولم يخرجه ذلك عن كونه من أهل العلم، ولم يكلفه الله ما لا يطيق من معرفة الحق واتباعه .

- أن الذي من لوازم الشرع المتابعة والاقتداء وتقديم النصوص على آراء الرجال، وتحكيم الكتاب والسنة في كل ما تنازع فيه العلماء، وأما الزهد في النصوص والاستغناء عنها بآراء الرجال وتقديمها عليها والإنكار على من جعل كتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة نصب عينيه وعرض أقوال العلماء عليها ولم يتخذ من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة؛ فبطلانه من لوازم الشرع ، ولا يتم الدين إلا بإنكاره وإبطاله .

- أن صواب المقلد في تقليده لمن هو أعلم منه أقرب من صوابه في اجتهاده دعوى

باطلة؛ فإنه إذا قلد من قد خالفه غيره ممن هو نظيره أو أعلم منه لم يدر على صوابٍ هو من تقليده أو على خطأ، وأما إذا بذل اجتهاده في معرفة الحق؛ فإنه بين أمرين: إما أن يظفر به فله أجران، وإما أن يخطئه فله أجر، بخلاف المقلد المتعصب، فإنه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ لم يسلم من الإثم، وأن المثال الذي مثلتم به من أكبر الحجج عليكم ؛ فإن من أراد شراء سلعة أو سلوك طريق حين اختلف عليه اثنان أو أكثر وكل منهم يأمره بخلاف ما يأمره به الآخر، فإنه لا يقدم على تقليد واحد منهم، بل يبقى متردداً طالباً للصواب من أقوالهم، فلو أقدم على قبول قول أحدهم مع مساواة الآخر له في المعرفة والنصيحة والديانة أو كونه فوقه في ذلك عد مخاطراً مذموماً ولم يمدح إن أصاب. وقد جعل الله في فطر العقلاء في مثل هذا أن يتوقف أحدهم ويطلب ترجيح قول المختلفين عليه من خارج، حتى يستبين له الصواب. ولم يجعل في فطرهم الهجم على قبول قول واحد وطرح قول من عداه .

النظر في شرعية وقوع طلاق الثلاث بكلمة واحدة:

وهي المناظرة التي جرت بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – ومانعي طلاق الثلاث واحدة [1] .

أهم المحاور الرئيسة :

- أدلة المانعين من وقوع طلاق الثلاث وجعلها واحدة رجعية (الأدلة من النص والقياس) .
- طعن الموقعين لطلاق الثلاث في أدلة المانعين له وجعلها واحدة رجعية .
- طعن ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في أدلة الموقعين لطلاق الثلاث .
- رد ابن قيم الجوزية – رحمه الله – الانتقادات التي وجهت إلى حديث أبي الصهباء، الذي أشار فيه إلى أن الثلاث كانت تجعل واحدة على عهد

---

(1) انظر: جامع الفقه ٥/٥١٠-٥٢٥ .

رسول الله ﷺ وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر [١] .

موانع دخول أهل الكتاب في الإسلام ، وطرح التساؤلات، والبشارات حول صدق نبوة النبي ﷺ وشرعيتها :

وهي المناظرة التي جرت بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – وأهل الكتاب[٢].

المحاور الرئيسة :

- أن الله لما بعث رسوله ﷺ لم يكره أحداً على دخول دينه .
- الرد على بعض اليهود والنصارى وفضح كذ م بزعمهم أن ذكر الرسـول ﷺ ونعته وصفته في كتبهم حق ، ولكن المراد به نبي آخر.
- بيان تخالف نسخ التوراة والإنجيل وتناقضها مع تاريخها .
- أنه لم يزل في الناس من يختار الباطل، وأن الدوافع فيما بينهم مختلفة.
- بيان تخالف نسخ التوراة والإنجيل وتناقضها مع تاريخها .
- الإخبار بنبوة محمد ﷺ وصفته واختلاف اليهود والنصارى حول ذلك.
- أن الذنوب والمعاصي لا تنافي الإيمان بالرسل.
- أن الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوته وصدقه، أضعاف آيات من قبله من الرسل.

مسألة في العقيدة البرزخية :

وهي المناظرة التي جرت بين ابن قيم الجوزية -رحمه الله- والملاحدة والزنادقة[٣].

المحاور الرئيسة :

أن الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – لم يخبروا بما تحيله العقـول وتقطـع

---

(1) انظر: الحديث في صحيح مسلم، كتاب الطلاق (١٨)، باب طلاق الثلاث (٢) ، رقم الحديث ١٤٧٢ ١٠٩٩/٢.

(2) هداية الحيارى ، ص٦٧-٤٨٢ .

(3) الروح ٣٠٧/١ - ٣٣٥ .

باستحالته، بل إخبارهم قسمان:

أحدها : ما تشهد به العقول والفطر .

الثاني: ما لا تدركه العقول بمجردها ، كالغيوب التي أخبروا بها من تفاصيل البرزخ واليوم الآخر وتفاصيل الثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلاً.

- فهم مراد الرسول ﷺ من غير غلو ولا تقصير؛ فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان .
- أن الله جعل الدور ثلاثة : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها .
- أن الله جعل أمر الآخرة وما كان متصلاً بها غيباً، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار؛ وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم.
- أن الله قد حجب بني آدم عن كثير مما يحدثه في الأرض وهو بينهم مما لو اطلع عليه العباد لزالت حكمة التكليف ، وأن الإيمان بالغيب وقدرة الله أوسع وأعجب من ذلك .
- أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وأن المصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتها .
- أن الله جعل لابن آدم معادين وبعثين ، يجزي فيها الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى .

دلالة أدلة الكتاب والسنة اللفظية ومشروعيتها :

وهي المناظرة التي جرت بين الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله – والـرازي في مسألة من أصول الانحراف عند المعطلة الذين يرون أن الأدلة اللفظية لا تفيد علماً ولا يحصل منها يقين إلا عند تيقن أمور عشرة: عصمة روا ا ، وإعرا ا وتصريفها، وعدم الاشتراك ، وا از، والنقل، والتخصيص بالأشخاص والأزمنـة، وعـدم الإضـمار، والتقديم والتأخير، والنسخ، وعدم المعارض العقلي [1] .

أهم محاور المناظرة :

- بيان أن من المعلوم بالضرورة أن المخاطبين أولاً بـالقرآن والـسنة لم يتوقـف حصول اليقين لهم بمراده على تلك المقدمات العشر التي ذكروهـا ، وأن رواة تلك الألفاظ خوطبوا شفاهاً، ولم يحتاجوا إلى واسطة في نقل الكلام فضلاً عـن نقل اللغة، ولا إلى قاعدة ينفون ا نفي احتمال اللفظ لغير المعنى الذي قـصده المتكلم ، فإ م علموا مراده بالضرورة .
- أن توقف دلالة الدليل على معرفة الإعراب والتصريف خطأ ظاهر .
- أن فهم معاني الألفاظ ، لا تتوقف على نفي التخصيص والإضمار ، فإ ا تـدل على مسماها دلالة سائر الألفاظ على معانيها .
- أن القدح في دلالة العام باحتمال الخصوص ، وفي الحقيقة باحتمـال ا ـاز، والنقل، والاشتراك، يبطل حجج الله في خلقه بآياته ويبطل أوامـره ونواهيـه وفائدة أخباره، ويبين ذلك ألفاظ القرآن .
- أن دلالة الدليل لا تتوقف على عدم الإضمار .
- بيان أن دلالة الدليل لا تتوقف على عدم التقديم والتأخير .
- أن الله قد أقام الحجة على خلقه بكتابه ورسله ، وأن كلام الله ورسوله يفيـد اليقين والعلم ، كما أن العقل ليس معارضاً للنقل .

---

(1) الصواعق المرسلة ٢/٦٣٣-٧٩٤.

في مسألة الحسن والقبح [1] :

وهي المناظرة التي جرت بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – ونفاة الحسن والقبح كابن الخطيب ، والآمدي [2]، والقاضي الباقلاني [3]، وغيرهم[4] .

المحاور الرئيسة :

- أن القول بأن فعل العبد غير اختياري، ينفي الـشرائع والتكليـف جملـة؛ لأن التكليف إنما يكون بالأفعال الاختيارية .
- أن كون الفعل حسناً أو قبيحاً لذاته أو لصفته ، أي أنه في نفسه منشأ للمصلحة والمفسدة، وترتبها عليه كترتب المسببات على أسبا ا المقتضية لها، وهذا كترتب

---

(1) التحسين والتقبيح في المصطلح الشرعي : الحكم بحسن الشيء أو قبحه بناء على اعتبـارات خاصـة، ومصدر الحكم بالحسن أو القبح هو العقل عند المعتزلة والإمامية والزيدية ، ورتبـوا علـى ذلـك أن الإنسان مثاب على ما يفعله من حسنات ومعاقب على ما يقترفه من سيئات حتى دون إرسال الرسل، وأن للعقل الحكم النهائي في قبول ما ورد من أحاديث تحسن بعض الأشياء وتقبح بعـضها أوردهـا حسب ما يقتنع به العقل. ويرى الأشاعرة أن الحسن ما طلبه الشرع، والقبح ما منعه أو ى عنه، أمـا الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة ، أنه مما لا شك فيه أن بعض الأمور يمكن للعقل إدراك حسنها أو قبحها ، وأن من الأمور ما لا يدرك حسنها وقبحها بالعقل، وأنه لا ثواب ولا عقاب إلا بالشرع حيث تثبت الحل والحرمة ، و ذا فصل بين الحسن والحل وبين القبح والحرمة (الموسوعة الميسرة في الأديـان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١٠١٩/٢).

(2) هو السيف الآمدي أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الحنبلي ثم الشافعي، المتكلم، العلامة ، صاحب التصانيف العقلية ، ولد بعد الخمسين وخمسمئة بآمد وقرأ القراءات والفقه، وبرع في الخلاف، وتفـنن في علم النظر والكلام والحكمة وكان من أذكياء العالم. ومن تصانيفه المشهورة الإحكـام في أصـول الأحكام وإبكار الأفكار في أصول الدين ، توفي سنة ٦٣١ (شذرات الذهب ٢٥٣/٧).

(3) هو القاضي أبوبكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر البصري المالكي الأصولي المـتكلم ، صـاحب المصنفات ، وأوحد وقته في فنه ، روى عن أبي بكر القطيعي ، وأخذ علم النظر عن أبي بكر عبدالله بن مجاهد الطائي صاحب الأشعري ، وكانت لـه بجامع المنصور حلقة عظيمة ، توفي سـنة ٤٠٣هـ ـ (انظر: شذرات الذهب ٢٠/٥، ٢١).

(4) مفتاح دار السعادة ٣٦٨/٢-٥٥٢؛ ٥/٣-٢٣ .

الري على الشرب، والشبع على الأكل، وترتب منـافع الأغذيـة والأدويـة ومضارها عليها .

- أن حكمته – سبحانه وتعالى – تقتضي بغضه للقبيح، وإن لم يتضرر به ، ومحبته للحسن، وإن لم ينتفع به .
- أن الشرائع جاءت بتكميل الفطر وتقريرها لا بتحويلها وتغييرها؛ فما كـان في الفطرة مستحسناً جاءت الشريعة باستحسانه ، فكسته حسناً إلى حسنه، فصار حسناً من الجهتين، وما كان في الفطرة مستقبحاً جاءت الـشريعة باسـتقباحه فكسته قبحاً إلى قبحه، فصار قبيحاً من الجهتين .
- أن التكليف إنما يتم بإعطاء القدرة والاختيار، والله – تعالى – قد أقدر عبـاده على الطاعات والمعاصي والصلاح والفساد ، وهذا الإقدار هو منـاط الـشرع والأمر والنهي.
- أن تساوي الفِعلان فعل الله وفعل المخلوق من حيث الصفات النفسية كـذب وباطل، فلا أعظم من التفاوت بينهما، فهو بمنزلـة أن يقـال : الـسجود لله والسجود للصنم واحد من حيث الصفات النفسية؛ فكيـف يقـبح أحـدهما ويحسن الآخر ؟ وإماتة الله لعبده مثل قتل المخلوق لـه ، وإجاعته وإعـراؤه وابتلاؤه مساوياً في الصفات النفسية لفعل المخلوق بالمخلوق .
- أن الله ما جعل في العقل ولا في الفطرة استقباح ما أمر به ، ولا استحسان مـا ى عنه، فلا تعارض بينهما ، إنما التعارض واقع بين مواجب العقول ومواجب الهوى .
- أنه لا تلازم بين ثبوت الحسن والقبح العقليين، وبين استحقاق الثواب والعقاب؛ فالأدلة إنما اقتضت ارتباط الثواب والعقاب بالرسالة وتوقفهما عليها [1] .

---

(1) وهذا يبطل قول (الكلابية) الذين يقولون : إن أعمالهم قبل البعثة ليست قبيحة لذا ا بل إنمـا قبحـت =

- أن غاية العقل أن يدرك بالإجمال حسن ما أتى الشرع بتفصيله أو قبحه، فيدركه العقل جملة ، ويأتي الشرع بتفصيله .

مناقشة مبتدعة السامرة[1] في القبلة :

وهي المناظرة التي جرت بين ابن قيم الجوزية – رحمه الله – وأحد فضلاء السامرة [2] .

المحور الرئيس فيها:

أن استقبال أهل الكتاب لقبلتهم لم يكن من جهة الوحي والتوقيف من الله، بل كان عن مشورة منهم واجتهاد .

تقديم متابعة الرسول ﷺ على آراء الناس وعقولهم:

وهي المناظرة التي جرت بين ابن قيم الجوزية –رحمه الله– وبعض أكابر المقلدة[3].

أبرز المحاور الرئيسة :

- أن كلام الرسول ﷺ وخطابه المنقول إلينا بالرواية ملزم بالاتباع كما لو قدر تلقيه مباشرة عنه – عليه الصلاة والسلام - .

بالنهي ، ويبطل قول المعتزلة الذين قالوا: إنها قبيحة ويستحقون عليها العقوبة عقلاً بدون البعثة . انظر = مفتاح دار السعادة ٣٣٠/٢، ٣٣١.

(1) السامرة: هم طائفة من المتهودين الذين دخلوا اليهودية من غير بني إسرائيل، كانوا يسكنون جبال ببيت المقدس، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون دون نبوة من بعدهم، ظهر فيهم رجل يقال له الألفان ادعى النبوة وذلك قبل المسيح بمئة سنة ، وقد تفرقوا إلى دوستانية، وهم الألفانية وإلى كوستانية، أي: الجماعة المتصوفة، وقبلة السامرة إلى جبل يقال له غريزيم بين بيت المقدس ونابلس، ولغتهم غير اليهود العبرانية . (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، ص٥٦٨).

(2) بدائع الفوائد ١٦٠٦/٤.

(3) مدارج السالكين ٢٠٥/٣.

- أن متابعة الرسول – عليه الصلاة والسلام – فرض على كل مسلم يـؤمن بالله ويخشى عذابه .

المطلب الثالث: نتائج المناظرات :

من خلال دراسة المناظرات لدى ابن قيم الجوزية – رحمه الله – اتضح أن نتائجها تنقسم إلى ما يخص المناظرة ذاتها أو إلى موضوعها .

نتائج المناظرة ذاتها :

مناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في تقرير نبوة النبي محمد ﷺ [1] كانت نتيجتها إظهار التناقض في معتقد اليهود وإلزام المناظر الحجة وبالتالي سكوت الخصم المنتهي بالعجز .

ومناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في إيثار عرض الدنيا عن اتباع الحق [2] كانت نتيجتها قبول الحق مع الامتناع عن اتباعه بالاحتجاج بالقدر ورد ابن قيم الجوزية – رحمه الله – احتجاجه بالقدر بالحجة القاطعة وإلزامه الإغلاق المنتهي بالعجز.

وفي مناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في مناقشة مبتدعة السامرة في القبلة[3] ألزم المناظر الخصم بالسكوت الملزم بالعجز ، عندما أثبت التناقض بين كتاب التوراة وبين الكتاب الذي بين أيديهم .

ومناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في تقديم متابعة الرسول ﷺ على آراء الناس وعقولهم[4] كانت نتيجتها خذلان الخصم ، ووضع إصبعه في فيه وبقاءه متحيراً لا ينطق بكلمة ، حيث ألزمه السكوت المنتهي بالعجز .

ومناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في دلالة أدلة الكتاب والسنة اللفظية ومشروعيتها ، قدم – رحمه الله – أدلة عقلية تثبت اليقين في كلام الله ورسوله وأنه

---

(1) انظر: هداية الحيارى ، ص٢٦٥ .
(2) انظر: المصدر نفسه ، ص٣٣٨ .
(3) انظر: بدائع الفوائد ٤/١٦٠٦.
(4) انظر: مدارج السالكين ٢٠٥/٣.

ليس من المعقول شيئاً أصح مما جاءت به الرسل عن الله .

وتقرير ذلك اعتراف ابن خطيب بزيف الطرق الكلامية وغلطها بقوله: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات : ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [1] ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب** ﴾[2] وأقرأ في النفي: ﴿**ليس كمثله شيءٌ** ﴾ [3] ﴿**ولا يحيطون به علماً**﴾[4] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي[5].

فهذا اعتراف منه بما أفادته الأدلة العقلية من الحيرة والشك ، ورجوعه إلى طريق القرآن والسنة .

نتائج المناظرة من حيث الموضوع :

أضاف ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في مناظرته (موانع دخول أهل الكتاب في الإسلام وطرح التساؤلات والبشارات حول صدق نبوة النبي محمد ﷺ وشرعيتها) أدلة قوية في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ ؛ وذلك في إثبات أن المذكور في كتب أهل الكتاب غالباً هو نعت النبي ﷺ وأن ذلك هو أبلغ في الدلالة عليه من ذكر الاسم، وأيضاً استخراج البشارات بنبوة النبي محمد ﷺ من نصوص الكتب المتقدمة، وأيضاً قدم – رحمه الله – أصول التكون العقائدي لليهود والنصارى وحقيقة تطبيقه ، وكانت هذه الأدلة مستنداً لمن يأتي بعده، من ذلك ما ذكره الشيخ رحمت الله الكيرانوي في حديثه عن تحريف أهل الكتاب لكتبهم حين قال: "بل الحق أن التحريف القصدي بالتبديل والزيادة والنقصان من خصائلهم كلهم أجمعين. فبعض الإخبارات التي نقلها

(1) سورة طه، الآية ٥ .
(2) سورة فاطر، الآية ١٠ .
(3) سورة الشورى ، الآية ١١.
(4) سورة طه، الآية ١١٠.
(5) الصواعق المرسلة ٦٦٥/٢، ٦٦٦ .

العلماء الأسلاف من أهل الإسلام ، مثل الإمام القرطبي وغيره [كابن قيم الجوزية] [1] لا تجدها موافقة في بعض الألفاظ للتراجم المشهورة الآن، فسببه غالباً هذا التغيير ؛ لأن هؤلاء العلماء من أهل الإسلام نقلوا من الترجمة العربية التي كانت رائجة في عهدهم . وبعد زما م وقع الإصلاح في تلك الترجمة ، ويحتمل أن يكون ذلك السبب اخـتلاف التراجم ، لكن الأول هو المعتمد؛ لأننا نرى أن هذه العادة جارية إلى الآن في تراجمهم ورسائلهم [2] .

وأضاف ابن قيم الجوزية – رحمه الله – أدلة في مناظرته (شرعية طلاق الـثلاث بكلمة واحدة)؛ حيث أثبت المسألة بقوله – رحمه الله – : ونحن أوجدنا لكم من الأدلة ما تثبت المسألة به [3] .

وكانت هذه الأدلة مستنداً لمن يأتي بعد، ومثال على ذلك ، قول الشيخ عبدالله البسام في كتابه (توضيح الأحكام من بلوغ المرام) : اختلف العلمـاء فـيمن أوقـع الطلقات الثلاث دفعة واحدة، أو أوقعها بكلمات ثلاث لم يتخللها رجعة ولا نكـاح، فهل تلزمه الطلقات الثلاث، فلا تحل لـه زوجته إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره، وتعتد منه ، أم أ ا تكون طلقة واحدة، لـه رجعتها ما دامت في العدة، وبعد العـدة يعقـد عليها ، ولو لم تنكح زوجاً غيره؟

اختلف العلماء في ذلك اختلافاً طويلاً ، وعذب من أجل القول بالرجعـة ـا جماعة من الأئمة والعلماء، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية .

وابن القيم نصر هذا القول نصراً مؤزراً ، وأطال البحـث فيـه ، واسـتعرض

---

(1) أشار إلى ذلك محقق الكتاب محمد ملكاوي، ذاكراً كتاب ابن قيم الجوزية (هداية الحيارى) .

(2) إظهار الحق، رحمت الله الكيرانوي العثماني الهندي، تحقيق محمد ملكاوي ، ج٤، ط٤، ١٤٢٤هـ ـ ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض، ص١١١١ .

(3) جامع الفقه ٥١٧/٥.

نصوصه، ورد على المخالفين بما يكفي ويشفي [١] .

وممن أخذ برأي ابن تيمية وابن قيم الجوزية – رحمهم الله – في جعل طلاق الثلاث بكلمة واحدة طلقة واحدة جماعة من العلماء المعاصرين، من ذلك ما جاء في بعض قرارات مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، حيث بحثوا مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، وبعد الدراسة وتداول الرأي واستعراض الأقوال التي قيلت فيها ، ومناقشة ما على كل قول؛ توصل المجلس بالأكثرية إلى اختيار القول بوقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثاً.

وخالف من أعضاء المجلس خمسة وهم: الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ عبدالرزاق عفيفي، والشيخ عبدالله خياط ، والشيخ راشد بن خنين ، والشيخ محمد بن جبير؛ حيث رأوا أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة [٢] .

وأيضاً من نتائج مناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في (مناقشة شرعية آراء المقلدين لأئمة المبتدعة) إضافة أدلة قوية تثبت المسألة ، وتجدد حركة الاجتهاد والاستنباط ، وقد أشار إلى ذلك الشيخ عبدالله الدرعان بقوله: فكان لنوابغ الفقهاء المجتهدين جهد عظيم على تسيير الحركة الفقهية ، وتجديد حركة الاجتهاد والاستنباط... فهذا شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية، الذي فاق علماء عصره في علوم كثيرة والذي شن حملة شعواء على التقليد والمقلدين ، ونادى علماء عصره إلى فتح باب الاجتهاد ، وجاء بعده تلميذه ابن قيم الجوزية الذي حمل لواء شيخه من بعده ، وواصل مسيرته في المناداة بالاستنباط والاجتهاد، والفتيا، وفتح أبواب الغوص في تفهم معاني القرآن والسنة وما يرشدان إليه من الأحكام ، وكان – رحمه الله – يستنبط

---

(1) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ، ج٥، ط٤، ١٤١٧هـ ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ص١٨، ١٩ .

(2) المرجع السابق، ص٢١ ، وذكر المحرر أن كل واحد من الفريقين قد جاء بأدلته .

ويستنتج ويجتهد ويفتي ، وجادل المقلدين، واحتج عليهم بنصوص الكتاب والسنة[1].

وقد استند الشيخ محمد الأمين اليعقوبي الجكني إلى هذه المناظرة مع المقلدة بقوله بعد أن ذكر حججهم: هذا هو غاية ما يحتج به المقلدون، وقد ذكره ابن القيم - رحمه الله - في إعلام الموقعين، وبين بطلانه من واحد وثمانين وجهاً. وسنذكر هنا - إن شاء الله - جملاً مختصرة من كلامه الطويل تكفي المصنف. وتزيد المسألة - إن شـاء الله - إيضاحاً وإقناعاً [٢] .

وأيضاً من نتائج مناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في العقيـدة البرزخيـة. إضافة أدلة قوية تثبت المسألة، وقد اعتمد عليها بعض العلماء المتأخرين في ردهم علـى أهل الشرك والإلحاد . نجد ذلك في مثل ما عمد إليه الشيخ صالح بن فوزان الفوزان في كتابه (الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد)؛ حيث اعتمد على ما قاله ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في هذه المسألة بقوله: أنكرت الملاحدة والزنادقة عذاب القبر ونعيمه، قالوا: إنا نكشف القبر، فلا نجد فيه ملائكة يضربون المـوتى ولا حيات ولا ثعابين ولا نيران تتأجج، وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله ونجد مساحته على حد ما حفرناه لـه ولم يزد ولم ينقص؟ وكيف يصير القـبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟

وجوابنا على ذلك من وجوه، ذكر منها :

أن حال البرزخ من الغيوب التي أخبرت ا الأنبياء ، ولا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلاً؛ فلابد من تصديق خبرهم... [٣] .

---

(1) المدخل للفقه الإسلامي ، عبدالله الدرعان، ط١، ١٤١٣هـ ، مكتبة التوبة ، الرياض، ص١٩٩ .

(2) عقود الجمان من أضواء البيان، محمد اليعقوبي الجكني، إعداد وتجميع : عبدالله بن محمد بابا الشنقيطي، ج٢، ط١، ١٤١٣هـ ، دار روضة الصغير ، مركز أبا نمي، الرياض، ص١٤١.

(3) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، صالح الفوزان، ط١، ١٤٢٤هـ ، لم يذكر مكان الطباعة، ص٢٧٨-٢٨٠ .

وفي (مسألة الحسن والقبح) أضاف – رحمه الله – أدلة قوية تثبت ماهية الحسن والقبح الشرعي، وترد على معتقد الفرق الضالة من معتزلة وكلابية [١] ، واستفاد منها بعض العلماء في الرد على الفرق الضالة ، منهم الشيخ شاه الدهلوي في الـرد علـى مذهب الإمامية [٢] في وجوب معرفة الله – تعالى – هل هو واجب عقلي و شرعي؟ بقوله -رحمه الله-:واعلم أن تحقيق هذه المسألة وبيان الاختلاف الواقع فيها يتوقف على تحقيق مسألة الحسن والقبح والاختلاف الواقع فيها، فلابد حينئذ من بيان ذلك...[٣] .

---

(1) الكلابية : هم أتباع أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب (انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠٣/٣).

(2) هم الشيعة الإمامية الإثنا عشرية، هم تلك الفرقة من المسلمين الذين تمسكوا بحق علي في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان – رضي الله عنهم - ، وقالوا باثني عشر إماماً دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم، إ م القسيم المقابل لأهل السنة والجماعة في فكرهم وآرائهم المتميزة، وهم يتطلعون إلى نشر مذهبهم ليعم العالم الإسلامي. (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص٢٩٩) .

(3) مختصر التحفة الإثني عشرية ، شاه عبدالعزيز الدهلوي ، تعريب غلام الأسلمي، تحقيق محـب الـدين الخيطب ، ط١، ١٤٠٤هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والـدعوة والإرشـاد ، الرياض، ص٧٠ .

المبحث الثاني
قضايا المناظرات عند ابن قيم الجوزية – رحمه الله –
وطرق الاستدلال عليها

المطلب الأول: القضايا العقدية وطرق الاستدلال عليها .

المطلب الثاني: القضايا الفقهية وطرق الاستدلال عليها.

تعريفات ومفاهيم :

تعريف القضية : هي قول يحتمل الصدق والكذب ، وقد يكون في المنطق الرياضي رمزاً [١] .

تعريف الاستدلال : هو طلب الدلالة ، وقد يكون ذلك بالنظر والرؤية ، وقد يكون بالسؤال عنها [٢] .

أو هو إيراد الدليل لدعم القضية ، سواء أكان بطلب من المخالف أم استطراد من المستدل [٣] .

أو هو فعل الذهن الذي يلمح علاقة مبدأ ونتيجة بين قضية وأخرى أو بين عدة قضايا وينتهي إلى الحكم بالصدق أو الكذب ، أو إلى حكم بالضرورة أو الاحتمال [٤] .

أو هو تفكر الناظر في حال المنظور فيه، طلباً للعلم بما هو ناظر فيه ، أو لغلبة الظن إن كان مما طريقه غلبة الظن [٥] .

أو هو استنتاج قضية مجهولة من قضية أو من عدة قضايا معلومة [٦] .

ما المراد بطرق الاستدلال :

الحجة وهيئة تأليفها ، والحجة عبارة عما يتألف من قضايا يتجه بها إلى مطلوب يستحصل بها ، وإنما سميت حجة ؛ لأنه يحتج بها على الخصم لإثبات المطلوب ، وتسمى

---

(1) المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ط١ ، ١٣٩٩هـ ، القاهرة ، ص١٤٧ .

(2) الكافية في الجدل ، الجويني ، تقديم وتحقيق فوقية حسين محمود ، ط١ ، ١٣٩٩هـ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ص٣٧ .

(3) مناهج الجدل في القرآن الكريم ، زاهر عوض الألمعي ، ط٣، ١٤٠٤هـ ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ص٧١ .

(4) المعجم الفلسفي ، ص١١ .

(5) المنهاج في ترتيب الحجاج ، ص١١ .

(6) ضوابط المعرفة ، ص١٤٩ .

دليلاً ؛ لأ ا تدل على المطلوب . و يئتها وتأليفها لأجل الدلالة يسمى استدلالاً [1] .

طرق الاستدلال العقلي :

هناك عدة صور لطرق الاستدلال ، وسأذكر الطرق المتناولة في هذا المبحث .

الاستدلال ينقسم قسمين :

القسم الأول: الاستدلال المباشر ، وهو الذي لا يحتاج فيه الباحث إلى أكثر من قضية واحدة .

وهذا يكون فيما يسمى بأحكام القضايا (التقابل – العكس – تلازم الشرطيات) ويتم ذا القسم الاستدلال بصدق قضية على صدق قضية أخرى أو كذ ا .

أو الاستدلال بكذب قضية على صدق قضية أخرى أو كذ ا ، وذلك بمقتضى التقابل العقلي ، أو بمقتضى أحكام عكس القضية التي يستلزمها هـذا العكـس ، أو بمقتضى التلازم العقلي الذي يكون في القضايا الشرطية .

القسم الثاني : الاستدلال غير المباشر ، وهو الذي يحتاج فيه الباحث إلى أكثر من قضية واحدة حتى يتوصل إلى النتيجة المطلوبة [2] . وهو على ثلاثة أنواع رئيسة :

- القياس : هو قول مؤلف من قضايا متى سلمت لزم عنه لذاته قول آخر [3] .

وهو ينقسم قسمين رئيسين : القسم الأول ، القياس الاقتراني، وهو قـسمان : حملي وشرطي .

القسم الثاني : القياس الاستثنائي .

ويمتاز القياس الاقتراني بأن عناصره فيها اقتران ، وبأن نتيجتـه موجـودة في مقدمتيه بالقول لا بالفعل ، أي بالمادة لا بالصورة والهيئة .

ويمتاز القياس الاستثنائي بوجود حرف الاستثناء بين مقدمتيه ، وبأن نتيجتـه أو

---

(1) المنطق ، محمد رضا المظفر ، ط٤ ، ١٣٩٢هـ ، مطبعة النعمان ، النجف ، ص٢١٧ .

(2) ضوابط المعرفة ، ص١٥٠ .

(3) المنطق ، ص٢١٩ .

نقيضها موجودة بالفعل فيهما ، دون حاجة إلى تعديل في الصيغة ، إلا أن حكمها في المقدمتين شرطي ، وفي النتيجة مجزوم به [١] .

- التمثيل : هو أن ينتقل الذهن من حكم أحد الشيئين إلى الحكم على الآخر لجهة مشتركة بينهما . وبعبارة أخرى هو : إثبات الحكم في جزئي لثبوته في جزئي آخر مشابه له [٢] .

- الاستقراء : هو تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً.

أو هو انتقال الفكر من الحكم على الجزئي إلى الحكم على الكلي الذي يدخل الجزئي تحته [٣] .

ووجوه الاستدلالات كثيرة، إلا أن الذي يتكرر منها بين المتناظرين ويكثر خمسة:

أحدها : الاستدلال بالأولى : وهو أن يبين في الفرع المعنى الذي علّق عليه الحكم في الأصل وزيادة .

الثاني: الاستدلال بالتقسيم وهو على ضربين :

أحدها : أن يذكر الأقسام التي يمكن أن يعلق عليها الخصم الحكم ويبين فسادها جميعاً ، فيثبت أن الحق في خلافها .

الثاني : أن يذكر الأقسام التي يمكن تعليق الحكم عليها ، فيبين فسادها . إلا واحدة منها ، فيثبت أن الحق في ذلك الواحد .

الثالث : الاستدلال ببيان العلة ، وهو على ضربين :

أحدها : أن يبين علة الحكم ، ثم يستدل بوجودها في موضع الخلاف على

---

(1) ضوابط المعرفة ، ص٢٢٨ .

(2) المنطق ، ص٢٨٤ .

(3) ضوابط المعرفة ، ص١١٨ .

ثبات الحكم .

والثاني : أن يبين العلة ويستدل بعدمها على انتفاء الحكم .

الرابع : الاستدلال بشهادة الأصول ، وهو مثل استدلال المالكي على الحنفي فيمن قذف زوجته ثم أبانها أنه يلاعن ، أن ما ذهب إليه أبو حنيفة في هذا خلاف الأصول ؛ فإنه أهدر قذفه فلم يوجب حداً ولا لعاناً ، وهذا خلاف الأصول ؛ لأن الأصول مبنية على أن من قذف حرة عفيفة فلابد من الحد أو اللعان .

الخامس : الاستدلال بالعكس ، نحو : استدلال المالكي في أن الشعر لا ينجس بالموت ؛ لأنه لو كان ينجس بالموت لما جاز أخذه في حال الحياة كاللحم والعظم [1] .

(1) المنهاج في ترتيب الحجاج ، ص٢٧ – ٢٩ .

المطلب الأول: القضايا العقدية وطرق الاستدلال عليها :

لقد حوت مناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – على قضايا عقدية ، وعقدية فقهية ، وفقهية . وكان التصنيف لها على حسب القضايا الرئيسة فيها ، مع إيضاح القضايا المتفرعة منها .

القضايا العقدية :

تعريف العقيدة : العقيدة واحدة العقائد ، وهو ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل (1) .

انتهج ابن قيم الجوزية – رحمه الله – طريقين في الاستدلال على القضايا العقدية: الاستدلال النقلي المعتمد على كتاب الله وسنة نبيه وأقوال الصحابة ، والاستدلال العقلي .

ويتضح ذلك من خلال تناول بعضها فيما يلي :

مناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في تقرير نبوة النبي محمد ﷺ .

القضية الرئيسة فيها : هي إثبات نبوة النبي محمد ﷺ .

قال – رحمه الله – وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة ، فقلت له في أثناء الكلام : أنتم بتكذيبكم محمداً ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة ، فعجب من ذلك وقال : مثلك يقول هذا الكلام ! فقلت له : اسمع الآن تقريره ، إذا قلتم : إن محمداً ملك ظالم ، قهر الناس بسيفه ، وليس برسول من عند الله ، وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة يدعي أنه رسول الله أرسله على الخلق كافة ، ويقول: أمرني الله بكذا ، و ناني عن كذا ، وأوحى إلي كذا ، ولم يكن من ذلك شيء ، ويقول : إنه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني ، ونساءهم ، وغنيمة أموالهم ، وقتل رجالهم ، ولم يكن من ذلك شيء. وهو يدأب في تغيير دين الأنبياء ،

---

(1) التعريفات ، الجرجاني ، ص196 .

ومعاداة أممهم ، ونسخ شرائعهم ، فلا يخلو إما أن تقولوا: إن الله - سبحانه - كـان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه ، أو تقولوا إنه خفي عنه ولم يعلم به.

فإن قلتم لم يعلم به نسبتموه إلى أقبح الجهل ، وكان من علم ذلك أعلم منـه ، وإن قلتم بل كان ذلك كله بعلمه ، ومشاهدته ، واطلاعه عليه ، فلا يخلو إما أن يكون قادراً على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك ، أو لا ، فإن لم يكن قـادراً فقـد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافي للربوبية ، وإن كان قادراً وهو مع ذلك يعزه ، وينصره ، ويؤيده ، ويعليه، ويعلي كلمته ، ويجيب دعاءه ، ويمكنه من أعدائه ، ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف ، ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به ، ولا يدعوه بدعوة إلا استجا بها لـه ؛ فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليـق نسبته إلى آحاد العقلاء ، فضلاً عن رب الأرض والسماء ، فكيف وهو يشهد لـه بإقراره على دعوته ، وبتأييده ، وبكلامه ، وهذه عندكم شهادة زور وكذب . فلمـا سمع ذلك قال معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر ، بل هو نبي صادق ، من اتبعـه أفلح وسعد ، قلت : فمالك لا تدخل في دينه ؟ قال : إنما بعث إلى الأميين الـذين لا كتاب لهم ، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه . قلت لـه : غلبت كل الغلب ، فإنه قـد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق ، وأن من لم يتبعه ، فهو كافر من أهل الجحيم ، وقاتل اليهود والنصارى ، وهم أهل كتاب ، وإذا صحت رسـالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به؛ فأمسك ولم يحر جواباً [(1)] .

استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بالاستدلال العقلـي ، طريـق القيـاس الاقتراني الحملي ؛ فقد قاس – رحمه الله – تكذيب الرسـول ﷺ بـشتم الله أعظـم شتيمة . ويمكن توضيح ذلك بما يلي :

أنتم بتكذيبكم النبي ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة ، ويتعالى الله عـن الـسب

---

(1) هداية الحيارى ، ص٢٦٥ ، ٢٦٦ .

والشتم ، فالنبي صادق .

إذن : المقدمة الأولى : أنتم بتكذيبكم النبي ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة ...

المقدمة الثانية : تعالى الله عن السب والشتم .

النتيجة : النبي صادق .

فالإيمان بصدق نبوة النبي ﷺ من الإيمان بالله – سبحانه وتعالى - .

مناظرة ابن قيم الجوزية –رحمه الله– في إيثار عرض الدنيا والرئاسة عن اتباع الحق.

القضية الرئيسة فيها: قضية عقدية في إيثار عرض الدنيا والرئاسة عن اتباع الحق .

القضايا المتفرعة منها : قضية عقدية أخرى ، وهي قضية الاحتجاج بالقدر.

وقال – رحمه الله – في مناظرته في إيثار عرض الدنيا والرئاسة عن اتباع الحق :

ولقد ناظرت بعض علماء النصارى معظم يوم ، فلما تبين لـه الحق؛ بهت ، فقلـت لـه وأنا وهو خاليين : ما يمنعك الآن من اتباع الحق ؟ فقال لي : إذا قـدمت علـى هؤلاء الحمير – هكذا لفظه – فرشوا لنا الشقاق تحت حوافر دابتي ، وحكمـوني في أموالهم ، ونسائهم ، ولم يعصوني فيما آمرهم به ، وأنا لا أعرف صنعة ، ولا أحفـظ قرآناً ، ولا نحواً ، ولا فقهاً ، فلو أسلمت لدرت في الاسواق أتكفف النـاس ، فمـن الذي يطيب نفساً بهذا ؟ فقلت هذا لا يكون ، وكيف تظن بالله أنك إذا آثرت رضاه على هواك ، يخزيك ، ويذلك ، ويحوجك ؟

ولو فرضنا أن ذلك أصابك ، فما ظفرت به من الحق ، والنجاة من النار ، ومن سخط الله ، وغضبه ، فيه أتم العوض عما فاتك ، فقال : حتى يـأذن الله ، فقلـت : القدر لا يحتج به ، ولو كان القدر حجة لكان لليهود على تكذيب المسيح ، وحجـة للمشركين على تكذيب الرسل ، ولا سيما أنتم تكذبون بالقدر ، فكيف تحتج بـه ؟ فقال : دعنا الآن وأمسك [1] .

---

(1) المصدر السابق ، ص٣٣٨ .

استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في المناظرة السابقة بالاستدلال العقلي (قياس اقتراني شرطي) .

القضية : ما يمنعك من اتباع الحق ؟

المقدمة الأولى : إذا أسلمت درت في الأسواق أتكفف الناس ...

المقدمة الثانية : هذا لا يكون ! إذا أسلمت درت في الأسواق تتكفف الناس؟

النتيجة : إذا آثرت رضاه على هواك ؛ لا يخزيك الله ويذلك ، ويحوجك فما ظفرت به من الحق والنجاة من النار ، ومن سخط الله ، وغضبه ، فيه أتم العوض عما فاتك .

مناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في **موانع دخول أهل الكتاب** في **الإسلام ، وطرح التساؤلات والبشارات حول صدق نبوة النبي** ﷺ **وشرعيتها .**

القضية الرئيسة فيها : قضية عقدية في موانع دخول أهل الكتاب في الإسلام ، وتقرير نبوة النبي ﷺ وشرعيتها .

القضايا المتفرعة منها قضية عقدية ، وهي : مناقشة مسألة ألوهية المسيح [(١)] .

وشملت مناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في موانع دخول أهل الكتاب في الإسلام ، وطرح التساؤلات والبشارات حول صدق نبوة النبي ﷺ وشرعيتها ، عدة تساؤلات :

السؤال الأول : قال السائل : قد اشتهر عندكم بأن أهل الكتابين ما منعهم من الدخول في الإسلام إلا الرئاسة والمأكلة لا غير [(٢)] .

السؤال الثاني : قال السائل : هب أ م اختاروا الكفر لذلك، فهلا اتبع الحق من لا رئاسة له ولا مأكلة، إما اختياراً وإما قهراً [(٣)] .

---

(1) المصدر السابق ، ص٤٠٢ - ٤٢٤ .

(2) المصدر نفسه ، ص٦٧ .

(3) المصدر نفسه ، ص١٠٠ .

السؤال الثالث : قال السائل : مشهور عندكم في الكتاب والسنة أن نبيكم كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، لكنهم محوه عنهما ؛ لسبب الرئاسة والمأكلة . والعقل يستشكل ذلك ، أفكلهم اتفقوا على محو اسمه من الكتب المنزلة من ربهم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ؟ هذا أمر يستشكله العقل أعظم من نفيهم بألسنتهم ؛ لأنه يمكن الرجوع عما قالوا بألسنتهم ، والرجوع عما محوا أبعد [١] .

السؤال الرابع : قال السائل: إن قلتم إن عبدالله بن سلام ، وكعب الأحبار ونحوهما شهدوا لنا بذلك من كتبهم ، فهلا أتى ابن سلام ، وأصحابه الذين أسلموا بالنسخ التي لهم؛ كي تكون شاهدة علينا [٢] .

السؤال الخامس : قال السائل : إنكم نسبتم الأمتين العظيمتين المذكورتين إلى اختيار الكفر على الإيمان للغرض المذكور ، فابن سلام وأصحابه أولى بذلك الغرض ؛ لأنهم قليلون جداً ، وأضداده كثيرون لا يحصيهم عدد [٣] .

السؤال السادس : قال السائل : تدخل علينا الريبة من جهة عبدالله بن سلام وأصحابه ، وهو أنكم قد بنيتم أكثر أساس شرائعكم في الحلال والحرام والأمر والنهي على أحاديث عوام من الصحابة ، ليس لهم بحث في علم ولا دراسة ولا كتابة قبل مبعث نبيكم ، فابن سلام هو وأصحابه أولى أن يؤخذ بأحاديثهم ورواياتهم ؛ لأنهم كانوا أهل علم وبحث ودراسة وكتابة قبل مبعث نبيكم وبعده ، ولا نراكم تروون عنهم من الحلال والحرام والأمر والنهي إلا شيئاً يسيراً جداً ، وهو ضعيف عندكم[٤].

---

(1) المصدر السابق ، ص١٤١ .

(2) المصدر نفسه ، ص٣٣٢ .

(3) المصدر نفسه ، ص٣٣٦ .

(4) المصدر نفسه ، ص٣٣٩ .

السؤال السابع : قال السائل : نرى في دينكم أكثر الفواحش فيمن هـو أعلـم وأفقه في دينكم ، كالزنا ، واللواط ، والخيانـة ، والحـسد ، والبخـل ، والغـدر ، والتجبر ، والتكبر ، والخيلاء ، وقلة الورع واليقين ، وقلة الرحمة والمروءة والحميـة ، وكثرة الهلع ، والتكالب على الدنيا ، والكسل في الخيرات. وهذا الحال يكذب لـسان المقال [١] .

استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في رده على التساؤلات السابقة بالأدلـة النقلية والأدلة العقلية. وسأذكر نماذج منها :

الأدلة النقلية :

قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله – : بل أكثر الأمم دخلوا في الإسلام طوعـاً ورغبة واختياراً لا كرهاً ، ولا اضطراراً ، فإن الله – سبحانه وتعالى – بعث محمداً ﷺ رسولاً إلى أهل الأرض. وهم خمسة أصناف قد طبقوا الأرض: يهود[٢]، ونصارى[٣]،

---

(1) المصدر السابق ، ص٣٦٣ .

(2) يمكن أن تكون اليهودية مأخوذة من اليهود بمعنى التوبة على حد قول موسى عليه السلام ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾، ويمكن أن تكون مأخوة من التهود، وهو الترجيع بالصوت في لين وتطريب، وقد كان أحبار اليهود إذا قرأوا على العامة أتوا بنغمات صوتية خاصة مع غنة شديدة ومد بالخياشيم على حد قولـه تعالى فيهم: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، ويمكن أن يكون لفظ اليهود منسوباً إلى يهوذا أخي يوسف الصديق - عليهم السلام - وأحد أبناء إسرائيل، ويكون إطلاقه على جميع بني إسرائيل على سبيل التغليب، ويمكن أن يكون من المهاودة وهو المواعدة على حد قولـه تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ . واليهود هم الزاعمون بأنهم أتباع موسى - عليه السلام - (الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، عبدالقادر شيبة الحمد، ط١، د.ت، مطابع الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة، ص١٥).

(3) النصرانية في الأصل:نسبة إلى نصرانه وهي قرية المسيح - عليه السلام - من أرض الجليل، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية، والنصرانية والنصرانة كذلك واحدة النصارى. أما في الاصطلاح فالنصرانية دين النصارى وهم المنتسبون للإنجيل.وقد يفهم من القرآن أنهم أحدثوا هذا الاسم، إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾. أما المسيحية فهي كذلك تطلق على أتباع المسيح - عليه السلام-، على أنه لا ينبغي إطلاقها الآن على النصارى؛ لأن هؤلاء في الواقع لا يتبعون المسيح - عليه =

ومجوس[١]، وصابئة[٢]، ومشركون[٣] ... وهذه الأديان الستة مذكورة في آية الفصل

السلام - ، ولذلك لم نجد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ تسميتهم مسيحيين، وقد أطلق عليهم القرآن أنهم نصارى، كما سماهم كذلك أهل كتاب، وأهل الإنجيل. (الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، ص٣٠).

(1) المجوسية : هي كلمة فارسية تطلق على أتباع الديانة المجوسية. والديانة المجوسية ديانة وثنية ثنوية تقول بإلهين اثنين، أحدهما إله للخير، والآخر إله للشر، وبينهما صراع دائم إلى قيام الساعة، التي تقوم حسب زعمهم الفاسد نتيجة لانتصار إله الخير على إله الشر. وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها إلى أقوال عديدة، منها أنها نسبة إلى رجل اسمه مجوس، أو أنه وصف لرجل انتسب إليه المجوسية أو أنها نسبة لقبيلة من قبائل الفرس، أو أنها وصف لعبادة النار كما اختلف أهل العلم في المجوس هل هم أهل كتاب ولهم رسول ولكنهم بدلوا وحرفوا أم لا؟ وذلك على قولين: ذهب الجمهور إلى أنهم ليسوا بأهل كتاب كما ذكر ابن القيم وابن قدامة والقرطبي، وهو ما عليه أغلب السلف، وإنما يعاملون معاملاتهم فيما يتعلق بالجزية فقط. والقول الثاني: قال به بعض أهل العلم من أنهم أهل كتاب، لكنهم بدلوا وحرفوا واستدلوا بما ورد في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال:"سنوا بهم سنة أهل الكتاب" كما استدلوا بأخذ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- الجزية منهم، واستدلوا بغير ذلك من الأدلة التي رد عليها الجمهور.(الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص١١٥٠،١١٤٩).

(2) الصائبة قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين ولا عمل ولا كتاب ولا نبيٌّ إلا قول: لا إله إلا الله؛ فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي ﷺ وأصحابه : هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم يعني في قول: لا إله إلا الله. وقال الخليل: هم قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون أنهم على دين نوح - عليه السلام - قال القرطبي : والذي تحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض العلماء أنهم موحدون ويعتقدون تأثير النجوم وأنها فاعلة، ولهذا أفتى أبو سعيد الاصطخري بكفرهم للقادر بالله حين سأله عنهم، واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء، أو بمعنى أن الله فوض تدبير أمر هذا العالم إليها. وأظهر الأقوال: أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه؛ ولهذا كان المشركون ينبذون من أسلم بالصابئ، أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك . (مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، ج١، ط٧، ١٤٠٢هـ، دار القرآن الكريم، بيروت ص٧٢).

(3) المشركون هم العادلون بالله غيره، الذين يزعمون أن له شركاء يستحقون أن يعبدوا، وينفعون ويضرون. (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، قدم له الشيخ عبدالله عقيل والشيخ محمد العثيمين، تحقيق عبدالرحمن اللويحق، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٦٢٣).

في قولـه تعـالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ (١) فلما بعث الله رسوله ﷺ ، استجاب لـه ولخلفائه بعده أكثر الأديان طوعاً واختياراً ، ولم يكره أحد قط على الدين ...(٢) قال تعالى: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ (٣) .

وقال – رحمه الله – فقول هذا الجاهل : "إن هاتين الأمتين لا يحصي عددهم إلا الله كفروا بمحمد ﷺ " كذب ظاهر وبهت مبين ، حتى لو كانوا كلهم قد أجمعوا على اختيار الكفر؛ لكانوا في ذلك أسوة قوم نوح ، وقد أقام فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى الله ويريهم من الآيات ما يقيم حجة الله عليهم، وقد أطبقوا على الكفر إلا قليلاً منهم كما قال تعالى : ﴿**وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ**﴾ (٤) وهم كانوا أضعاف أضعاف هاتين الأمتين الكافرتين أهل الغضب وأهل الضلال (٥) .

وأيضاً ، فيقال للنصارى : هؤلاء اليهود مع كثرتهم في زمن المسيح حتى كانوا ملء بلاد الشام كما قال تعالى : ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾ (٦) وكانوا قد أطبقوا على تكذيب المسيح وجحدوا نبوته ، وفيهم الأحبار والعباد والعلماء حتى آمن به الحواريون ، فإذا جاز على اليهود - وفيهم الأحبار العباد والزهاد وغيرهم - الإطباق على جحد نبوة المسيح والكفر به مع ظهور آيات صدقه كالشمس ؛ جاز عليهم إنكار نبوة محمد ﷺ . ومعلوم أن جواز ذلك على أمة الضلال الذين هم أضل من الأنعام ، وهم

---

(1) سورة الحج ، الآية ١٧ .
(2) هداية الحيارى ، ص٧٠ .
(3) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .
(4) سورة هود ، الآية ٤٠ .
(5) هداية الحيارى ، ص٧٤ .
(6) سورة الأعراف ، الآية ١٣٧ .

النصارى أولى وأحرى [١] .

وقال – رحمه الله – : "وقد بيّنا أن الذين أسلموا من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين أكثر من الذين لم يسلموا ، وأنه إنما بقي منهم أقل القليل .

وقد دخل في دين الإسلام من ملوك الطوائف ورؤسائهم في حياة رسول الله ﷺ خلق كثير ، وهذا ملك النصارى على إقليم الحبشة [٢] في زمن النبي ﷺ لما تبين له أنه رسول الله ؛ آمن به ، ودخل في دينه ، وآوى أصحابه ومنعهم من أعدائه ، ولما مات أعلم رسول الله ﷺ أصحابه بالساعة التي توفي فيها وبينهما مسيرة شهر ، ثم خرج بهم إلى المصلى وصلّى عليه . وعن أم سلمة [٣] زوج النبي ﷺ قالت : "لما

(1) هداية الحيارى ، ص٧٦ .

(2) اسمه أصحمة ، معدود في الصحابة ﷺ وكان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر - ولا له رؤية؛ فهو تابعي من وجه، صاحب من وجه، عرف بصلابته في دينه وعدله، فعن أم سلمة - رضي الله عنها قالت - لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، ومن محاسن النجاشي أن الرسول ﷺ لما بعث يخطب أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بعد وفاة زوجها عبيدالله بن جحش الأسدي، نهض في ذلك النجاشي، وشهد زواجها بالنبي ﷺ وأعطاها الصداق عن النبي ﷺ من عنده أربع مئة دينار. ولما توفي قال النبي ﷺ : "إن أخاً لكم قد مات بأرض الحبشة" فخرج بهم إلى الصحراء وصفهم صفوفاً ثم صلى عليه، وقيل ذلك كان في شهر رجب سنة تسع من الهجرة (سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، حقق نصوصه، وخرج أحاديثه وعلق عليه، شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد،ج١، ط١، ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت ص٤٢٨-٤٤٣).

(3) أم سلمة زوج النبي ﷺ ، هي هند بنت أبي أمية المعروف بزاد الراكب، ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم، كانت تحت أبي سلمة بن عبدالأسد، توفي عنها بالمدينة بعد وقعة أحد، فخلف عليها رسول الله ﷺ وقيل إنها أول ظغينة دخلت المدينة مهاجرة، روى عنها ابن عباس ، وعائشة ، وأبو سعيد الخدري ، وعمر بن أبي سلمة، وأنس ، وبريدة، وأبو رافع، وأبو الطفيل، وغيرهم. عمرت بعد النبي ﷺ دهراً، وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتاً، توفيت في أيام يزيد بن معاوية سنة ثنتين وستين ، وصلى عليها سعيد بن زيد وقيل: أبو هريرة (معرفة الصحابة، أحمد بن عبدالله الأصبهاني، تحقيق عادل بن يوسف العزا، ج٦، ط١، ١٤١٩هـ، دار الوطن للنشر ، الرياض، ص٣٢١٨؛ وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عمر يوسف بن عبدالبر، تحقيق، علي محمد البجاوي ، ق٤، ط١، د.ت ، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ص١٩٣٩).

نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله ، لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه ..." (١) .

وقال ابن إسحاق : ووفد على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بالمدينة ، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال: لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد العصر ، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده ، فأراد الناس منعهم ، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم، وكانوا ستين راكباً ، منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم ، منهم ثلاثة نفر إليهم أمرهم ... وكان أبو حارثة بن علقمة قد شرف فيهم ، ودرس كتبهم ، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ، ومولوه ، وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات لما بلغهم من علمه واجتهاده في دينهم ، فلما وجهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران جلس أبو حارثة على بغلة متوجهاً إلى رسول الله ﷺ وإلى جنبه أخ له يقال له كرز بن علقمة يسايره، إذ عثرت بغلة أبي حارثة ، فقال له كرز: تعس الأبعد ، يريد رسول الله ﷺ ، فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست ، فقال : ولم يا أخي ؟ فقال : والله إنه للنبي الذي كنا ننتظره ، فقال له كرز: فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا ، فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم؛ شرفونا ، ومولونا ، وأكرمونا وقد أبو إلا خلافه ، ولو فعلت؛ نزعوا منا كل ما ترى ، فأصر عليها أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك (٢).

فهذا وأمثاله من الذين منعتهم الرئاسة والمأكلة من اختيار الهدى وآثروا دين قومهم .

وفي صحيح البخاري (٣) من حديث حميد بن أنس ، قال : سمع عبدالله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض له ، فأتى النبي ﷺ فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : "أخبرني بهن جبريل آنفاً" قال : جبريل ؟ قال : "نعم" قال: ذاك عدو

---

(1) هداية الحيارى، ص١٠٠ ، ١٠١ .

(2) هداية الحيارى ، ص١٠٩، ١١٠ .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء (٦٠)، باب خلق آدم (١) ٤/١٠٢ .

اليهود من الملائكة ، قال : "ثم" قرأ هذه الآية : ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ (١) "أما أول أشراط الساعة ، فنار تخرج على الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة ، فزيادة كبد حوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة ، نزع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل ، نزع الولد إلى أمه" فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني . فجاءت اليهود إليه ، فقال : "أي رجل فيكم عبدالله بن سلام " ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا ، وابن سيدنا ، قال : "أرأيتم إن أسلم عبدالله بن سلام" قالوا أعاذه الله من ذلك ، فخرج عبدالله فقال أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله ، قالوا : شرنا ، وابن شرنا وانتقصوه ، قال : هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله (٢) .

وقال – رحمه الله تعالى – : فالصفات والنعوت والعلامات المذكورة عندهم منطبقة عليه حذو القذة بالقذة ، بحيث لا يشك من عرفها ورآه أنه هو كما عرفه قيصر ، وسلمان (٣) ، بتلك العلامات المذكورات التي كانت عندهما من بعض علمائهما وكذلك هرقل عرف نبوته بما وصف له من العلامات التي سأل عنها أبا سفيان (٤) فطابقت ما

---

(1) سورة البقرة ، الآية ٩٧ .

(2) هداية الحيارى ، ص١٣٥ .

(3) هو: سلمان الفارسي، أبو عبدالله ، ويعرف بسلمان الخير، مولى رسول الله ﷺ . أصله من فارس من رامَهُرْمز، وقيل إنه من جَيّ، وهي مدينة أصفهان، وكان اسمه قبل الإسلام مابه بن بوذخشان بن مورسلان بهيوذان، أول مشاهده مع الرسول ﷺ الخندق، ولم يتخلف عن مشهد بعد الخندق، كان سلمان من خيار الصحابة وزهادهم وفضلائهم وذوي القرب من رسول الله ﷺ ، وهو الذي أشار على الرسول ﷺ بحفر الخندق لما جاءت الأحزاب، روى عنه ابن عباس وأنس وعقبة بن عامر وأبو سعيد وكعب بن عُجْرة وأبو عثمان الفهري وشرحبيل بن السمط وغيرهم، توفي سنة ٣٥هـ في آخر خلافة عثمان، وقيل أو سنة ٣٦هـ (أسد الغابة في معرفة الصحابة، اعتنى بتصحيح هذه الطبعة الشيخ عادل أحمد الرفاعي،ج٢، ط١، ١٤١٧هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص٤٨٧-٤٩٢؛ وانظر: سير أعلام النبلاء، ١/٥٠٥).

(4) هو: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أبو سفيان وأبو حنظلة القرشي، الأموي، والد معاوية ﷺ ، أسلم يوم الفتح، روى عنه ابن عباس وابن =

عنده ، فقال : إن يكن ما تقول حقاً ؛ فإنه نبي وسيملك ما تحت قدميَّ هاتين... قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [1] وقال في موضع آخر:﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [2] ومعلوم أن هذه المعرفة إنما هي بالنعت والصفة المكتوبة عندهم التي هي منطبقة عليهم ، كما قال بعض المؤمنين منهم : والله لأحدنا أعرف به من ابنه ، إن أحدنا ليخرج من عند امرأته ، وما يدري ما يحدث بعده [3] .

ولهذا أثنى الله – سبحانه وتعالى – على من عرف الحق منهم ولم يستكبر عن اتباعه ، فقال : ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ [4] قال ابن عباس : لما حضر أصحاب النبي ﷺ بين يدي النجاشي ، وقرؤوا القرآن ، سمع ذلك القسيسون والرهبان ، فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق ، فقال الله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً**

معاوية ، وابنته أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ ، توفي النبي ﷺ وهو عامله على نجران، وقيل بل كان بمكة ، وشهد مع النبي ﷺ حنيناً والطائف، وأمه عمة ميمونة زوج النبي ﷺ . وكان من أشراف قريش ، توفي سنة ٣٢هـ، وصلى عليه ابنه معاوية ، وقيل بل صلى عليه عثمان بموضع الجنائز، ودفن بالبقيع وهو ابن ٨٨سنة، وقيل بضع وتسعين (الوافي بالوفيات، الصفدي، اعتناء وداد القاضي، ج١٦، ط٢، ١٤١١هـ، دار فرانزشتايز، بيروت، ص٢٨٤-٢٨٦).

(1) سورة البقرة ، الآية ١٤٦ .

(2) سورة الأنعام ، الآية ٢٠ .

(3) هداية الحيارى ، ص١٤٤ ، ١٤٥ .

(4) سورة المائدة ، الآية ٨٢-٨٦ .

وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [1] .

وقال أيضاً – رحمه الله – إنه من الممتنع أن تخلو الكتب المتقدمة عن الإخبار بهذا الأمر العظيم الذي لم يطرق العالم من حين خلق إلى قيام الساعة أمر أعظم منه ، ولا شأن أكبر منه ؛ فإنه قلب العالم ، وطبق مشارق الأرض ومغاربها ، واستمر على العالم على تعاقب القرون وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومثل هذا النبأ العظيم لابد أن تتطابق الرسل على الإخبار به ... وما بعث الله – سبحانه وتعالى – نبيّاً ، إلا أخذ عليه الميثاق بالإيمان بمحمد وتصديقه ، [2] كما قال تعالى : **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾** [3] .

وقال – رحمه الله – في الرد على اليهود بقولهم : فهلا أتى ابن سلام وأصحابه الذين أسلموا بالنسخ التي لهم؛ كي تكون شاهدة علينا بقوله – رحمه الله – : إنه لو أتاكم عبدالله بن سلام بكل نسخة متضمنة لغاية البيان والصراحة ، لكان في بهتكم وعنادكم وكذبكم ما يدفع في وجوهها ويحرفها أنواع التحريف ، ما وجد إليه سبيلاً ، فإذا جاءكم بما لا قبل لكم به ؛ قلتم : ليس هو ، ولم يأت بعد ، وقلتم : نحن لا نفارق حكم

---

(1) هداية الحيارى، ص١٤٥-١٤٧، والآية من سورة المائدة، رقمها ٨٢. وروى عن ابن أبي الحاتم عن حامية بن رتاب، قال: سمعت سلمان سئل عن قوله تعالى :﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً ﴾ فقال: هم الرهبان الذين هم في الصوامع والخرب فدعوهم فيها، قال سلمان: وقرأت على النبي ﷺ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ ﴾ فأقرأني ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ صديقين وَرُهْبَاناً﴾ فقوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ تضمن وصفهم . بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف، فقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ أي ما عندهم من البشارة ببعثة محمد ﷺ ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي مع من يشهد بصحة هذا ويؤمن به (المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، إعداد جماعة من العلماء، إشراف الشيخ صفي الدين المباركفوري، ط٢، ١٤٢١هـ، دار السلام، الرياض، ص٣٩٥، ٣٩٦ .

(2) هداية الحيارى ، ص١٧٩ .

(3) سورة آل عمران ، الآية ٨١.

التوراة ، ولا نتبع نبي الأميين ، وقد صرح أسلافكم الذين شاهدوا رسول الله ﷺ وعاينوه أنه رسول حقاً ، وأنه المبشر به ، الموعود به على ألسنة الأنبياء المتقدمين ، وقال من قال منهم في وجهه : نشهد أنك نبي ، فقال : "ما يمنعك من اتباعي" ؟ قال: إنَّا نخاف أن يقتلنا يهود ، وقد قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ**﴾ (١) وقد جاءكم بآيات هي أعظم من بشارات الأنبياء به وأظهر ، بحيث أن كل آية منها يصلح أن يؤمن على مثلها البشر ، فما زادكم ذلك إلا نفوراً ، وتكذيباً ، وإباء لقبول الحق ، فلو نزَّل الله إليكم ملائكته ، وكلمكم الموتى ، وشهد له بالنبوة كل رطب ويابس ، لغلبت عليكم الشقوة ، وصرتم إلى ما سبق لكم في أم الكتاب (٢) .

وقال – رحمه الله – في الرد على قول السائل (إن المسلمين بنوا أكثر شرائعهم في الحلال والحرام على أحاديث عوام من الصحابة) : إن هذا بهت من قائله ، فإنا لم نبن أساس شريعتنا في الحلال والحرام والأمر والنهي إلا على كتاب ربنا المجيد الذي: ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ (٣) الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ الذي تحدّى به الأمم كلها على اختلاف علومها وأجناسها وطبائعها وهو في غاية الضعف. وأعداؤه طبقوا الأرض أن يعارضوه بمثله؛ فعجزوا ، فتحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله؛ فعجزوا . هذا وأعداؤه الأدنون إليه أفصح الخلق ، وهم أهل البلاغة والفصاحة واللسن والنظم والنثر والخطب وأنواع الكلام ، فما منهم من فاه في معارضته ببنت شفه ، وكانوا أحرص الناس على تكذيبه ، وأشدهم أذى له بالقول والفعل والتنفير عنه بكل طريق ، فما نقل عن أحد منهم سورة واحدة عارضه بها ... فالمسلمون إنما بنوا أساس دينهم ومعالم حلالهم على الكتاب الذي لم ينزل من السماء كتاب أعظم منه ؛ فيه بيان كل شيء ، وتفصيل كل شيء ، وهدى ورحمة ، وشفاء لما في الصدور، به هدى

---

(1) سورة يونس ، الآية ٩٦ ، ٩٧ .

(2) هداية الحيارى ، ص٣٣٥ .

(3) سورة فصلت ، الآية ٤٢.

الله رسوله وأمته، فهو أساس دينهم (١) .

وقال – رحمه الله – في رده على قول السائل : (نرى في دينكم أكثر الفواحش...) يقال لمورد هذا السؤال: إن كان من الأمة الغضبية إخوان القردة ، ألا يستحي من إيراد هذا السؤال من آباؤه وأسلافه كانوا يشاهدون في كل يوم من الآيات ما لم يره غيرهم من الأمم ؟ وقد فلق الله لهم البحر ، وأنجاهم من عدوهم ، وما جفت أقدامهم من ماء البحر حتى قالوا لموسى : ﴿**اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ (٢) ولما ذهب لميقات ربه لم يمهلوه أن عبدوا بعد ذهابه العجل المصوغ ، وغُلب أخوه هارون معهم ، ولم يقدر على الإنكار عليهم ، وكانوا مع مشاهدتهم تلك الآيات والعجائب يهمون برجم موسى وأخيه هارون في كثير من الأوقات والوحي بين أظهرهم ! ولما ندبهم إلى الجهاد قالوا : ﴿**فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ (٣) ... فلو بلغت ذنوب المسلمين عدد الحصا ، والرمال ، والتراب والأنفاس ما بلغت مبلغ قتل نبي واحد ، ولا وصلت إلى قول إخوان القردة: ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**﴾ (٤) وقولهم: ﴿**عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ**﴾ (٥) وقولهم: ﴿**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ (٦) .. فلو بلغت ذنوب المسلمين ما بلغت لكانت إلى جنب ذلك كتفلة في بحر (٧) .

الأدلة العقلية :

استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بقياس الأولى ، في قوله : فمن بَهَتَ نبيهم بما بهته به ، وجحد نبوته ورسالته التي هي للبصائر أظهر من الشمس للأبصار ؛ لم ينكر له أن يبهت أصحابه ﷺ ويجحد

---

(1) هداية الحيارى ، ص٣٤٠ ، ٣٤١ .
(2) سورة الأعراف ، الآية ١٣٨.
(3) سورة المائدة ، الآية ٢٤ .
(4) سورة آل عمران ، الآية ١٨١ .
(5) سورة التوبة ، الآية ٣٠ .
(6) سورة المائدة ، الآية ١٨ .
(7) هداية الحيارى ، ص ٣٦٧ ، ٣٦٨، ٣٧٠ ، ٣٧١ .

فضلهم ومعرفتهم ، وينكر ما خصهم الله به وميزهم على من قبلهم ومن هو كائن من بعدهم إلى يوم القيامة (١) .

فمعنى ذلك : أن من بَهَت نبيه وجحد نبوته ورسالته أولى له وأحرى أن يبهت أصحاب النبي ﷺ ويجحد فضلهم .

واستدل – رحمه الله تعالى – بطريق الاستدلال الغير مباشر وهو التمثيل بقوله : فأما طائفة شبه الله علماءهم بالحمير التي تحمل أسفاراً ، وطائفة علماؤها يقولون في الله ما لا ترضاه أمة من الأمم فيمن تعظمه وتجله ، وتأخذ دينها عن كل كاذب ومفتر على الله وعلى أنبيائه ، فمثلها مثل عريان يحارب شاكي السلاح ، ومن سقف بيته زجاج وهو يزاحم أصحاب القصور بالأحجار ، ولا يستكثر على من قال في الله ورسوله ما قال أن يقول في أعلم الخلق أنهم عوام (٢) .

وكذلك استدل بقياس الأولى في قوله : ولا يستكثر على من قال في الله ورسوله ما قال أن يقول في أعلم الخلق أنهم عوام .

واستدل أيضاً – رحمه الله – بقياس الأولى في رده على من قال : إن هاتين الأمتين لا يحصى عددهم إلا الله ، كفروا بمحمد ﷺ بقوله : فهذا السؤال الذي أورده هذا السائل وارد بعينه في حق كل نبي كذبته أمة من الأمم ، فإن صوّب هذا السائل رأي تلك الأمم كلها فقط كفر بجميع الرسل ، وإن قال إن الأنبياء كانوا على الحق وكانت تلك الأمم مع كثرتها ووفور عقولها على الباطل ؛ فلأن يكون المكذبون بمحمد ﷺ وهم الأقلون الأذلون الأرذلون من هذه الطوائف على الباطل أولى وأحرى ، وأي أمة من الأمم اعتبرتها وجدت المصدقين بنبوة محمد ﷺ جمهورها وأقلها وأراذلها الجاحدون لنبوته (٣) .

وعلى ذلك فإن الأنبياء كانوا على حق وكانت أممهم مع كثرتها ووفور عقولها على الباطل ؛ فمن الأولى أن يكون المكذبون بمحمد ﷺ وهم الأقلون الأذلون من هذه الطوائف على الباطل .

مناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في العقيدة البرزخية :

---

(1) المصدر نفسه، ص٣٤٢ .

(2) المصدر السابق ، ص٣٦٢ .

(3) المصدر نفسه ، ص٧٦ .

القضية الرئيسة فيها : قضية عقدية في البرزخ ومناقشة منكري عذاب القبر . يتضح ذلك في جوابه – رحمه الله – على قول السائل : ما جوابنا للملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وكون الميت لا يجلس ولا يقعد فيه . قالوا فإنا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عمياً صمّاً يضربون الموتى بمطارق من حديد، ولا نجد هناك حيات ولا ثعابين ولا نيراناً تأجج، ولو كشفنا حاله في حالة من الأحوال؛ لوجدناه لم يتغير، ولو وضعنا على عينيه الزئبق وعلى صدره الخردل؛ لوجدناه على حاله، وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله ، ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم تزد ولم تنقص ، وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة وللصورة التي تؤنسه أو توحشه ؟ قال إخوانهم من أهل البدع والضلال : وكل حديث يخالف مقتضى المعقول والحس يقطع بتخطئة قائله. قالوا : ونحن نرى المصلوب على خشبة مدة طويلة لا يسأل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه ناراً . ومن افترسته السباع ونهشته الطيور وتفرقت أجزاؤه في أجواف السباع وحواصل الطيور وبطون الحيتان ومدارج الرياح ؛ كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقها ، وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه ، وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، وكيف يضيق عليه حتى تلتئم أضلاعه ؟ [1] .

استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في الرد على السائل بأدلة نقلية وأدلة عقلية . نذكر منها ما يلي :

الأدلة النقلية :

قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله – : إن الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته، بل إخبارهم قسمان :

أحدهما : ما تشهد به العقول والفطر .

الثاني : ما لا تدركه العقول بمجردها ، كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر وتفاصيل الثواب والعقاب. ولا يكون

---

(1) الروح ١/٣٠٧ ، ٣٠٨ .

خبرهم محالاً في العقول أصلاً ، وكل خبر يظن أن العقل يحيله لا يخلو من أحد أمرين ، إما أن يكون الخبر كذباً عليهم أو يكون ذلك العقل فاسداً ، وهو شبهة خيالية يظن صاحبها أنها معقول صريح. قال تعالى : ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى**﴾[2] وقال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ** ﴾[3] والنفوس لا تفرح بالمحال، وقال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا** ﴾ [4] والمحال لا يشفى ولا يحصل به هدى ولا رحمة ولا يفرح به ؛ فهذا أمر من لم يستقر في قلبه خير ، ولم يثبت له على الإسلام قدم ، وكان أحسن أحواله الحيرة والشك [5] .

واستدل – رحمه الله – بآيات العزيز العليم بقوله : إن الله – سبحانه وتعالى – جعل أمر الآخرة وما كان متصلاً بها غيبياً ، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار ، وذلك من كمال حكمته ، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم ، فأول ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر ، وتجلس قريباً منه ، ويشاهدهم عياناً ويتحدثون عنده ومعهم الأكفان والحنوط ، إما من الجنة ، وإما من النار ، ويؤمّنون على دعاء الحاضرين بالخير ، أو الشر وقد يسلمون على المحتضر ، ويرد عليهم تارة بلفظه وتارة بإشارته بقلبه حيث لا يتمكن من نطق ولا إشارة [6] .

والآثار في ذلك أكثر من أن تحصر وأبلغ ، ويكفي من ذلك كله قول الله – عز وجل - ﴿**فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ ***

---

(1) سورة سبأ ، الآية ٦ .

(2) سورة الرعد ، الآية ١٩.

(3) سورة الرعد ، الآية ٣٦ .

(4) سورة يونس ، الآية ٥٧ .

(5) الروح ٣٠٩/١ .

(6) الروح ٣١٣/١ .

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾ [1] أي أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا ولكنكم لا ترونهم ، فهذا أول الأمر وهو غير مرئي لنا ولا مشاهد وهو في هذه الدار ، ثم يمد الملك يده إلى الروح فيقبضها ويخاطبها الحاضرون لا يرونه ولا يسمعونه ، ثم تخرج ، فيخرج لها نور مثل شعاع الشمس ورائحة أطيب من رائحة المسك ، والحاضرون لا يرون ذلك ، ولا يشمونه ، ثم تصعد بين سماطين من الملائكة ، والحاضرون لا يرونه ، ثم تأتي الروح فتشاهد غسل البدن وتكفينه ، وحمله وتقول قدموني قدموني ، أو إلى أين تذهبون ولا يسمع الناس ذلك فإذا وضع في لحده وسوي عليه التراب ، لم يحجب التراب الملائكة عن الوصول إليه ... [2].

وقال أيضاً – رحمه الله – في الرد على السائل بقوله : إنه غير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب والغريق والمحرق ونحن لا نشعر بهم ؛ لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود فهذا المغمي عليه والمسكوت والمبهوت أحياء وأرواحهم معهم لا تشعر بحياتهم ومن تفرقت أجزاؤه لا يمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يحصل للروح اتصالاً بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقربه ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم ، واللذة ، وإذا كان الله – سبحانه وتعالى – قد جعل في الجمادات شعوراً وإدراكاً تسبح ربها به وتسقط الحجارة من خشيته ، وتسجد له الجبال ، والشجر ، وتسبحه الحصى والمياه والنبات. قال تعالى : ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾[3] ولو كان التسبيح هو مجرد دلالتها على صانعها لم يقل: ﴿**وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ فإن كل عاقل يفقه دلالتها على صانعها وقال تعالى : ﴿**إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ**﴾ [4] والدلالة على الصانع لا تختص بهذين الوقتين ، وكذلك قوله تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ**

---

(1) سورة الواقعة ، الآية ٨٣ .

(2) الروح ٣١٤/١ ، ٣١٥ .

(3) سورة الإسراء ، الآية ٤٤ .

(4) سورة ص ، الآية ١٨.

وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ﴾ [1] والدلالة على الصانع لا تختص بكثير من الناس وقد قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾ [2] فهذه صلاة وتسبيح حقيقة يعلمها الله وإن جحدها الجاهلون المكذبون[3] .

وقال – رحمه الله – في موضع آخر : وينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه ، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى : ﴿**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [4]. وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة ، وسمي عذاب القبر ونعيمه وأنه روضة أو حفرة نار باعتبار غالب الخلق ؛ فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله ، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتها [5] .

الأدلة العقلية :

استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بالقياس الاقتراني الشرطي في قوله : إن الله – سبحانه وتعالى – جعل الدور ثلاثة : دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار ، وجعل لكل دارٍ أحكاماً تختص بها ، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس ، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان ، والأرواح تبعاً لها ، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح ، وإن اضمرت النفوس خلافه ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح ، والأبدان تبعاً لها ؛ فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها ، والتذت براحتها ، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب؛ تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لها والأرواح هناك ظاهرة ، والأبدان خفية في قبورها ، تجري أحكام البرزخ على الأرواح ؛ فتسري إلى أبدانها نعيماً

---

(1) سورة الحج ، الآية ١٨ .
(2) سورة النور ، الآية ٤١ .
(3) الروح ٣٢٩/١ ، ٣٣٠ .
(4) سورة المؤمنون ، الآية ١٠٠.
(5) الروح ٣٣٢/١ .

أو عذاباً ، ... وقد أرانا الله – سبحانه وتعالى – بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجاً في الدنيا من حال النائم فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجري على روحه أصلاً والبدن تبع لـه، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً ، فيرى النائم في نومه أنه ضرب ، فيصبح وأثر الضرب في جسمه، ويرى أنه قد أكل أو شرب، فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه، ويذهب عنه الجوع والظمأ ، وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان ، وهو نائم لا شعور لـه بشيء من ذلك ، وذلك أن الحكم لما جرى على الروح، استعانت بالبدن من خارجه، ولو دخلت فيه؛ لاستيقظ وأحس ، فإذا كانت الروح تتألم وتنعم ، ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع ، فهكذا في البرزخ، بل أعظم ؛ فإن تجرد الروح هناك أكمل وأقوى وهي متعلقة ببدنها ، لم تنقطع عنه كل الانقطاع ، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم ؛ صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً بادياً أصلاً. ومتى أعطيت هذا الموضوع حقه ؛ تبين لك أن ما أخبر به الرسول ﷺ من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ؛ مطابق للعقل وأنه حق لا مرية فيه [1] .

وملخص ذلك :

إذا كانت روح النائم تتألم وتنعم ، ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع ؛ فإن روح الميت تتألم وتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع .

إذن : أحكام البرزخ تجري على الأرواح والأبدان تبعٌ لها .

مناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في دلالة أدلة الكتاب والسنة اللفظية ومشروعيتها :

القضية الرئيسة فيها: قضية عقدية في دلالة أدلة الكتاب والسنة اللفظية ومشروعيتها: حيث ناقش – رحمه الله – قول القائل : إن الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة : عصمة رواة الألفاظ ، وإعرابها وتصريفها ، وعدم الاشتراك ، والمجاز ، والنقل ، والتخصيص

(1) الروح ٣١١/١ ، ٣١٢ .

بالأشخاص والأزمنة ، وعدم الإضمار ، والتقديم والتأخير ، والنسخ ، وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح عليه ؛ إذ ترجيح النقل على العقل ، يقتضي القدح في العقل المستلزم للقدح في النقل ، لافتقاره إليه ، فإذا كان المنتج ظنيّاً فما ظنك بالنتيجة ؟ [١] .

استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بالأدلة النقلية والأدلة العقلية .

الأدلة النقلية :

استدل – رحمه الله – بالدليل النقلي في مواضع من هذه المناظرة، منها قوله - رحمه الله - : معرفة مراد المتكلم تحصل بالنقل المتواتر كما حصل العلم بأنه قال ذلك اللفظ بالنقل المتواتر ، فإنا نعلم أن قوله تعالى : ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ**﴾[٢] متواتر نقل لفظه ، ونقل معناه عن الرسول ... وكذلك نعلم بالتواتر أن قوله تعالى : ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [٣] المراد به : هذا الشهر الذي بين شعبان وشوال ، وأن القرآن هذا الكتاب الذي بين دفتي المصحف ، وكذلك عامة ألفاظ القرآن نعلم قطعاً مراد الله ورسوله منها ، كما نعلم قطعاً أن الرسول بلغها عن الله [٤] .

وقال – رحمه الله – : إن ألفاظ القرآن والسنة ثلاثة أقسام : نصوص لا تحتمل إلا معنى واحداً ، وظواهر تحتمل غير معناها احتمالاً بعيداً مرجوحاً ، وألفاظ تحتاج إلى بيان ، فهي بدون البيان عرضة الاحتمال .

فأما القسم الأول : فهو يفيد بمدلوله قطعاً ، كقوله تعالى : ﴿**فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إلا خَمْسِينَ عَاماً**﴾ [٥] فلفظ الألف لا يحتمل غير مسماه ، وكذلك لفظ الخمسين ، وكذلك لفظ نوح ، ولفظ قومه ، وكقوله تعالى : ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**﴾ [٦] وقوله تعالى : ﴿**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**﴾ [١]

---

(1) الصواعق المرسلة ٦٣٣/٢ ، ٦٣٤ .

(2) سورة آل عمران ، الآية ٩٧ .

(3) سورة البقرة ، الآية ١٨٥.

(4) الصواعق المرسلة ٦٣٥/٢، ٦٣٦ .

(5) سورة العنكبوت ، الآية ١٤ .

(6) سورة الأعراف ، الآية ١٤٢.

وقولـه تعـالى : ﴿**فَصِيَامُ ثَلاثَـةِ أَيَّـامٍ فِـي الْحَـجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ**﴾[2] وقوله تعالى : ﴿**يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً**﴾ [3] وعامة ألفاظ القرآن من هذا الضرب ، هذا شأن مفرداته ، وأما تركيبه فجاء على أصح وجوه التركيب ، وأبعدها من اللبس ، وأشدها مطابقة للمعنى، فمفرداته نصوص أو كالنصوص في مسماها ، وتراكيبه صريحة في المعنى الذي قصد بها ، والمخاطبون به تلك اللغة سجيتهم وطبيعتهم غير متكلفة لهم ، فهم يعلمون بالاضطرار مراده منها[4] .

وقال – رحمه الله – إذا تأملت الألفاظ المتضمنة لمعاني القرآن وجدتها ثلاثة أنواع :

أحدها : ألفاظ في غاية العموم ، فدعوى التخصيص فيها يبطل مقصودها وفائدة الخطاب بها .

الثاني : ألفاظ في غاية الخصوص ؛ فدعوى العموم فيها لا سبيل إليه .

الثالث : ألفاظ متوسطة بين العموم والخصوص [5] .

فالنوع الأول كقوله تعالى : ﴿**وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[6] وقال تعالى : ﴿**عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[7]، و﴿**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾[8]، وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ** ﴾[9] و﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾[10] و﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [11] وأمثال ذلك .

---

(1) سورة ا ادلة ، الآية ٤ .
(2) سورة البقرة ، الآية ١٩٦ .
(3) سورة البقرة ، الآية ٢٣٤ .
(4) الصواعق المرسلة ٦٧٠/٢ ، ٦٧١ .
(5) المصدر نفسه ٦٨٦/٢ .
(6) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .
(7) سورة البقرة ، الآية ١٠٩ .
(8) سورة الأنعام ، الآية ١٠٢ .
(9) سورة فاطر ، الآية ١٥ .
(10) سورة البقرة ، الآية ٢١ .
(11) سورة النساء ، الآية ١ .

والنوع الثاني كقوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** ﴾ [١] وقوله: ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا**﴾[٢] وقوله: ﴿**وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[٣].

والنوع الثالث : كقوله تعالى : ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا** ﴾ [٤] وقوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [٥] و﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَاب**﴾ [٦] و﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ** ﴾ [٧] .

وقال أيضاً : – رحمه الله – وقد يقع في كلام السلف تفسير اللفظ العام بصورة خاصة على وجه التمثيل لا على تفسير معنى اللفظة في اللغة بذلك ، فيغير به المعنى ، فيجعله معنى اللفظة في اللغة ، كما قال بعضهم في قوله تعالى : ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ [٨] إنه الماء في الصيف ، فلم يرد به أن النعيم المسؤول عنه هو هذا وحده . وكما قيل في قوله : ﴿**وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾ [٩] أنه القدر والفأس والقصعة، فالماعون اسم جامع لجميع ما ينتفع به، فذكر بعض السلف هذا للسائل تمثيلاً وتنبيهاً بالأدنى على الأعلى، فإذا كان الويل لمن منع هذا؛ فكيف بمن منع ما الحاجة إليه أعظم، وإذا كان العبد يسأل عن شكر الماء البارد؛ فكيف بما هو أعظم نعيماً منه ... فإن أراد القائل أن الأدلة اللفظية موقوفة على عدم التخصيص ، أنها موقوفة على عدم قصرها على هذا وأشباهه ؛ فنعم هي غير مقصورة عليه ولا مختصة به ، ولا يقال لفهم هذه الأنواع منها تخصصاً ... وكذلك الحال في أحكام وقعت في القرآن كان بدوء

---

(1) سورة المائدة ، الآية ٦٧ .
(2) سورة الأحزاب ، الآية ٣٧ .
(3) سورة الأحزاب ، الآية ٥٠.
(4) سورة الحج ، الآية ٣٩ .
(5) سورة البقرة ، الآية ١٠٤ .
(6) سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .
(7) سورة الزمر ، الآية ٥٣.
(8) سورة التكاثر ، الآية ٨ .
(9) سورة الماعون ، الآية ٧ .

افتراضها أفعال ظهرت من أقوام ، فأنزل الله بسببها أحكاماً صارت شرائع عامة إلى يوم القيامة ، فلم يكن من الصواب إضافتها إليها ، وأنهم هم المرادون بها إلا على وجه ذكر سبب النزول فقط ، وأن تناولها لهم ولغيرهم تناول واحد ، فمن التقصير القبيح أن يقال في قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ** ﴾ (١) أن المراد بالناس أهل مكة، فيأتي إلى لفظ من أشمل ألفاظ العموم ، أريد به الناس كلهم عربهم وعجمهم ، قرناً بعد قرن إلى أن يطوي الله الدنيا فيقول : المراد به أهل مكة ، نعم هم أسبق وأول من أريد به إذا كانوا هم المواجهين بالخطاب أولاً ، وهذا كثير في كلامهم (٢) .

وقال - رحمه الله - : وليس يوجد في الكتب المنزلة من عند الله كتاب جمعت ألفاظه من الإيجاز والاختصار والإحاطة بالمعاني الجليلة والجزالة والعذوبة وحسن الموقع من الأسماع والقلوب ما تضمنته ألفاظ القرآن ، وقد شهد له بذلك أعداؤه ، وسمع بعض الأعراب قارئاً يقرأ : ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ** ﴾ (٣) فسجد ، فقيل له : ليست بآية سجود ، فقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام (٤) .

وقال – رحمه الله – أيضاً في موضع آخر : إن الله – سبحانه وتعالى – قد أخبر في كتابه أن على الرسول البلاغ المبين ، فقال تعالى : ﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ (٥) وقد شهد الله له – وكفى به شهيداً – بالبلاغ الذي أمر به ، فقال : ﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ**﴾ (٦) وشهد له أعقل الخلق وأفضلهم وأعلمهم بأنه قد بلغ ، فأشهد الله عليهم بذلك في أعظم مجمع وأفضله ، فقال في خطبته بعرفات في حجة الوداع : "إنكم مسؤولون عني فماذا أنتم قائلون؟ " قالوا : نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت؛ فرفع إصبعه إلى السماء مستشهداً بربه الذي فوق

(1) سورة البقرة ، الآية ٢١ .
(2) الصواعق المرسلة ٦٩٩/٢ – ٧٠١ .
(3) سورة الحجر ، الآية ٩٤ .
(4) الصواعق المرسلة ٧٠٩/٢ .
(5) سورة النور ، الآية ٥٤ .
(6) سورة الذاريات ، الآية ٥٤.

سمواته ، وقال: "اللهم اشهد"[1] فلو لم يكن قد عرف المسلمون وتيقنوا ما أرسل به وحصل لهم منه العلم اليقين ؛ لم يكن قد حصل منه البلاغ المبين ، ولما رفع الله عنه اللوم ، ولما شهد لـه أعقل الأمة بأنه قد بلغ وبين ، وغاية ما عند النفاة أنه بلغهم ألفاظاً لا تفيدهم علماً ولا يقيناً ، وأحالهم في طلب العلم واليقين على عقولهم ونظرهم وأبحاثهم ، لا على ما أوحي إليه ، وهذا معلوم البطلان بالضرورة [2] .

وإن الله – سبحانه وتعالى – قد أقام الحجة على خلقه بكتابه ورسله ، فقال : ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**﴾ [3] وقال تعالى : ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**﴾ [4] فكل من بلغه هذا القرآن فقد أنذر به ، وقامت عليه حجة الله به ، وقال تعالى : ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ [5] وقال تعالى : ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [6] وقال: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا**﴾ [7] فلو كان كلام الله ورسوله لا يفيد اليقين والعلم ، والعقل معارض للنقل ، فأي حجة تكون قد قامت على المكلفين بالكتاب والرسول ؟ وهل هذا القول إلا مناقض لإقامة حجة الله على خلقه بكتابه من كل وجه ؟ وهذا ظاهر لكل من فهمه [8] .

وقال – رحمه الله – : إن القائل بأن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين ، إما أن يقول : إنها تفيد ظناً أو لا تفيد علماً ولا ظناً ، فإن قال : لا تفيد علماً ، ولا ظناً فهو مع مكابرته للعقل والسمع والفطرة الإنسانية من

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الحج (١٥) باب حجة النبي ﷺ (١٩) ، رقم الحديث (١٢١٨)، ص٨٨٦ .
(2) الصواعق المرسلة ٧٣٣/٢، ٧٣٤ .
(3) سورة الفرقان ، الآية ١ .
(4) سورة الأنعام ، الآية ١٩.
(5) سورة النساء ، الآية ١٦٥.
(6) سورة الإسراء ، الآية ١٥.
(7) سورة الأنعام ، الآية ١٣٠.
(8) الصواعق المرسلة ٧٣٥/٢-٧٣٧ .

أعظم الناس كفراً وإلحاداً ، وإن قال: بل تفيد ظناً غالباً ، وإن لم تفد يقيناً ، قيل لـه : فالله – سبحانه وتعالى – قد ذم الظن المجرد وأهله ، فقال تعالى : ﴿**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً**﴾ (١) فأخبر أنه ظن لا يوافق الحق ولا يطابقه . وقال تعالى : ﴿**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**﴾ (٢) وقال أهل النار : ﴿**إِنْ نَظُنُّ إِلا ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ**﴾ (٣) ولكان قوله - تعالى - عنهم : ﴿**وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ (٤) خبراً غير مطابق ، فإن علمهم بالآخرة إنما استفادوه من الأدلة اللفظية ، لا سيما وجمهور المتكلمين يصرحون بأن المعاد إنما علم بالنقل ، فإذا كان النقل لا يفيد يقيناً ، لم يكن في الأمة من يوقن بالآخرة ، إذ الأدلة العقلية لا مدخل لها فيها وكفى بهذا بطلاناً وفساداً ؛ فإنه سبحانه لم يكتف من عباده بالظن ، بل أمرهم بالعلم ، كقوله : ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ**﴾ (٥) ، وقوله : ﴿**اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (٦) وقوله : ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ**﴾ (٧) ونظائر ذلك (٨) .

الأدلة العقلية :

من الأدلة العقلية التي استدل بها ابن قيم الجوزية – رحمه الله – قياس الأولى ، حيث قال: إنا نعلم بالاضطرار أن مصنفي العلوم على اختلاف أنواعها ، علم الناس مرادهم من ألفاظهم علماً يقينيّاً، وإنما يقع الشك في قليل من كلامهم . ويقل ذلك ويكثر بحسب القابل وقوة إدراكه وجودة تصوره وإلفه لكلامهم وغرائبه منه ، ومعلوم قطعاً أن علم الرسول بما يقوله وحرصه على إفهامه وتعليمه وشدة بيانه له وحرص

---

(1) سورة النجم ، الآية ٢٨ .

(2) سورة النجم ، الآية ٢٣ .

(3) سورة الجاثية ، الآية ٣٢ .

(4) سورة البقرة ، الآية ٤ .

(5) سورة محمد ، الآية ١٩.

(6) سورة المائدة ، الآية ٩٨.

(7) سورة البقرة ، الآية ٢٢٣ .

(8) الصواعق المرسلة ٧٤٠/٢ .

أمته على فهمه ، أعظم من حرص هؤلاء المصنفين ومن يتعلم منهم ، فإذا حصل لأولئك اليقين بمعرفة مراد أرباب التصانيف ، فحصول اليقين لأهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله أولى وأحرى [1] .

أي أن حصول اليقين لأهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله أولى من حصول اليقين بمعرفة مراد أرباب التصانيف .

واستدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بالتقسيم في قوله : إن من يقول إن كلام الله ورسوله لا يستفاد منه علم ولا يقين ، إما أن يريد به نفي اليقين في باب الأسماء والصفات فقط دون باب المعاد والأمر والنهي، أو في باب الصفات وباب المعاد فقط دون الأمر ، أو في الجميع ؛ فإن أراد الأول وهو مراد الجهمية ، قيل له : فما جوابك للفلاسفة المنكرين لمعاد الأبدان ؛ حيث احتججت عليهم بأنا نعلم بالضرورة أن الرسل جاءوا به، فرده عليهم تكذيب لهم فقالوا : الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين ! فإن قلت : الفرق بيننا وبينهم أن آيات الصفات وأخبارها قد عارضتها قواطع عقلية تنفيها بخلاف نصوص المعاد ، قيل : أما أهل القرآن والسنة فيجيبونك بأن تلك المعارضات هذيانات لا حقيقة لها، وشبهات خيالية:﴿**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [2] وأما أشباهك من الفلاسفة فيقولون : نصوص المعاد قد عارضها قواطع عقلية تنفيها... [3] .

واستدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بالقياس الحملي الاقتراني في قوله : إن حاصل كلام أرباب القانون يدور على ثلاث مقدمات :

الأولى : أن العلم بمراد المتكلم موقوف على حصول العلم بما يدل على مراده .

الثانية : أنه لا سبيل إلى العلم بمراده إلا بانتفاء هذه الأمور العشرة .

الثالثة: أنه لا سبيل إلى العلم بانتفائها [4] .

---

(1) المصدر نفسه ٦٥١/٢ .

(2) سورة النور ، الآية ٣٩.

(3) الصواعق المرسلة ٦٧٧/٢، ٦٧٨ .

(4) المصدر نفسه ٧٧٩/٢ .

فالمقدمة الأولى : كلية موجبة حملية (ك م) .
والمقدمة الثانية : كلية سالبة حملية (ك س) .
والثالثة : كلية سالبة حملية (ك س) [١] .

فهذه ثلاث مقدمات : الأولى صادقة والأخريان كاذبتان ، أما المقدمة الأولى فصحيحة ، والعلم بمراد المتكلم كثيراً ما يكون علماً اضطرارياً ، كالعلم بمخبر الأخبار المتواترة ، فإن الإنسان إذا سمع مخبراً يخبر بأمر حصل عنده ظن ، ثم يقوى بالمخبر الآخر حتى يصير علماً ضرورياً ، فكذلك إذا سمع كلام المتكلم فقط يعلم مراده ابتداءً بالضرورة ، وقد يظنه ، ثم يتكرر كلام المتكلم أو يتكرر سماعه له ولما يدل على مراده؛ فيصير علمه بمراده ضرورياً ، وقد يكون الكلام بالمراد استدلالاً نظرياً ، وحينئذ فقط يتوقف على مقدمة واحدة ، وقد يتوقف على مقدمتين أو أكثر بحسب حاجة السامع وما عنده من القوة القريبة والبعيدة وسرعة إدراكه وبطئه وقلة تحصيله وكثرته وحضور ذهنه وغيبته وكمال بيان المتكلم وضعفه ، فدعوى المدعي أن كل استدلال بدليل لفظي يتوقف على عشر مقدمات باطل قطعاً ، وأبطل منه دعواه أن كل مقدمة هي ظنية ، فإن عامة المقدمات التي يتوقف عليها فهم مراد المتكلم قطعية في الغالب وأبطل من ذلك دعواه أنه لا يعلم المراد إلا بعد العلم بانتفاء الدليل الدال على نقيضه ، فإن هذا باطل قطعاً ؛ إذ من المعلوم أن العلم بثبوت أحد الضدين ينفي العلم بثبوت الضد الآخر ، فنفي العلم بالمراد ينفي كل احتمال يناقضه [٢] ... وأن العلم بمدلول كلام الله ورسوله علم يقيني قطعي لا يحتمل النقيض، فنحن نستدل على بطلان كل ما يخالفه ويناقضه بثبوت العلم به [٣] .

مناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في الرد على نفاة الحسن والقبح :

القضية الرئيسة فيها : قضية عقدية في تفنيد شبه نفاة الحسن والقبح .

(1) انظر : ضوابط المعرفة ، ص٣٣٨ .
(2) الصواعق المرسلة ٧٧٩/٢ ، ٧٨٠ .
(3) المصدر نفسه ٧٨١/٢ .

القضايا المتفرعة منها : قضية عقدية وهي قضية المعاد [١] . وفيها اعتراض الملاحدة والفلاسفة على المعاد الذي عليه طائفة من المتكلمين أن الرسل جاؤوا به ، وهو أن الله يعدم أجزاء العالم العلوي والسفلي كلها ، فيجعلها عدماً محضاً ، ثم يعيد ذلك العدم وجوداً ... أما المعاد الذي أخبرت به الرسل فبريءٌ من ذلك كله ، مصون عنه ، فقد أخبر سبحانه أنه يحيى العظام بعد ما صارت رميماً ، وأنه قد علم ما تنقص الأرض من لحوم بني آدم وعظامهم ، فيرد ذلك إليهم عند النشأة الثانية ، وأنه ينشئ تلك الأجساد بعينها بعدما بليت نشأة أخرى ، ويرد إليها تلك الأرواح .

وتفرعت قضية الرد على نفاة الحسن والقبح إلى فرعين :

أحدهما : الرد على فضلاء الحسن والقبح منهم ابن الخطيب ...

والفرع الثاني : عرض أدلة نفاة الحسن والقبح وتفنيد معتقدهم ...

واستدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في المناظرة السابقة بالاستدلال النقلي والعقلي. وهذا ما سوف أوضحه فيما يلي :

في الرد على ابن الخطيب استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بالاستدلال العقلي ، كقوله – رحمه الله – : فهذا الدليل [٢] - الذي استدل به ابن الخطيب – هو الذي يصول به ويجول ، ويثبت به الجبر ، ويرد على القدرية ، وينفي به التحسين والتقبيح ، وهو فاسد من وجوه متعددة :

أحدها : أنه يتضمن التسوية بين الحركة الضرورية والاختيارية ، وعدم التفريق بينهما ! وهو باطل بالضرورة والحسّ والشرع ، فالاستدلال على أن فعل العبد غير اختياري استدلال على ما هو معلوم البطلان ضرورة وحساً وشرعاً ، فهو بمنزلة الاستدلال على الجمع بين النقيضين ، وعلى وجود المحال إلا به [٣] !

---

(1) مفتاح دار السعادة ٣٩١/٢ – ٣٩٣ .

(2) قول ابن الخطيب : أن فعل العبد غير اختياري ، وما ليس بفعل اختياري لا يكون حسناً ولا قبيحاً عقلاً بالاتفاق .

(3) مفتاح دار السعادة ٣٦٩/٢ .

استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – من خلال التمثيل ، وهو أحد طرق الاستدلال غير المباشر ، إذ يقول : فالاستدلال على أن فعل العبد غير اختياري استدلال على ما هو معلوم البطلان ضرورة وحساً وشرعاً ، فهو بمنزلة الاستدلال على الجمع بين النقيضين وعلى وجود المحال إلا به .

واستدل أيضاً – رحمه الله – عن طريق القياس الاقتراني الشرطي ، وهو أيضاً أحد طرق الاستدلال غير المباشر ، حيث قال: إذا كانت الأفعال اضطرارية غير اختيارية ؛ لم يتصور تعلق التكليف والأمر والنهي بها ، فلو صح الدليل المذكور ؛ لبطلت الشرائع جملة[١].

فالمقدمة الأولى : إذا كانت الأفعال اضطرارية غير اختيارية لم يتصور تعلق التكليف والأمر والنهي .

المقدمة الثانية : لو صح الدليل المذكور؛ لبطلت الشرائع جملة ، والشرائع لم تبطل.

النتيجة : إذن الأفعال اختيارية .

وفي الرد على الآمدي استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بالاستدلال العقلي.

ومن طرق الاستدلال العقلي : الاستدلال المباشر ، ومنه التناقض ، وهو أحد وجوه التقابل ، يتضح ذلك فيما يلي :

القضية : إن حسن الفعل لو كان أمراً زائداً على ذاته ؛ لزم قيام المعنى بالمعنى .

مقابلتها : إن حسن الفعل وقبحه شرعاً أمر زائد عليه .

هاتان قضيتان متقابلتان تقابل تناقض ، ولما كانت الثانية منهما هي الصادقة؛ حتماً يكون المفهوم الشرعي من حسن الفعل وقبحه زائداً على المفهوم من نفس الفعل ، وهما وجوديان لا عدميان ؛ لأن نقيضهما يحمل على العدم ، فهو عدميٌّ ، فهما إذاً وجوديان ، لأن كون أحد النقيضين عَدميًّا يستلزم كون نقيضه وجوديًّا ، فلو صح دليل الآمدي؛ لزم أن لا يوصف بالحسن والقبح شرعاً .

ولا خلاص عن هذا إلا بإلزام كون الحسن والقبح الشرعيين

---

(١) مفتاح دار السعادة ٣٧٢/٢ .

عـدميين ، ولا سـبيل إليـه ؛ لأن الثـواب والعقـاب والمـدح والـذَّمّ مرتَّـبٌ عليهمـا ترتُّـب الأثـر علـى مؤثره ، والمقتـضى علـى مقتـضيه ، ومـا كـان كذلك لـم يكـن عدماً محضاً ، إذ العَدَمُ المحضُ لا يترتـب عليـه ثـواب ولا عقاب ، ولا مدح ولا ذم [(١)] .

وفـي الـرد علـى القاضـي استدل ابـن قـيم الجوزيـة – رحمـه الله – بالاستدلال النقلي والاستدلال العقلي ، ومن ذلك ما يلي :

المسلك الذي سلكه القاضي هو : أن الحسن والقبح لـو كانـا ذاتيين ، لمـا اختلفـا بـاختلاف الأحـوال والمتعلقـات والأزمـان ، ولاسـتحال ورود النسخ على الفعل ؛ لأن ما ثبت للذات باق ببقائها لا يزول، وهي باقية .

ومعلوم أن الكذب يكون حسناً إذا تضمن عصمة دم نبـيٍّ أو مسلم ، ولو كان قبحه ذاتيّاً لـه ؛ لكان قبيحاً أين وجد ؟

وكذلك ما نسخ من الشريعة لو كان حسنه لذاتـه ؛ لـم يَسْتَحِلْ قبيحًـا ، ولو كان قبحه لذاته لم يَسْتَحِلْ حَسَناً بالنسخ .

قالوا : وأيضاً لـو كـان ذاتيًّـا لاجتمـع النقيضـان فـي صـدق مـن قـال : لأكذِبنَّ غداً ؛ فإنه لا يخلو إمَّا أن يكذب في الغد أو يصدق ، فإن كذب لزم قبحه؛ لكونه كذبًا ، وحسنه، لاستلزامه صدق الجزء الأول .

والمستلزم للحسن حسن ، فيجمع فـي الجـزء الثـاني الحسن والقبح ، وهما نقيضـان ، وإن صدق لـزم حسن الجـزء الثـاني مـن حيث إنـه صـدق فـي نفـسه ، وقبحـه مـن حيـث إنـه مـستلزم لكـذب الجـزء الأول ؛ فلـزم النقيضـان .

قالوا : وأيضاً فلـو كـان القتـل والجلد وقطـع الأطـراف قبيحًـا لذاتـه أ ولصفة لازمةٍ للذات ، لم يكن حسناً في الحدود والقصاص ؛ لأن مقتـضى الذات لا يتخلف عنها ، فإذا تخلف فيما ذكرنـاه مـن الـصور وغيرهـا ؛ دل على أنه ليس ذاتيّاً [(٢)] .

الاستدلال النقلي :

واستدل ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ نقليّاً علـى فساد هذا المسلك بقولـه : وظهـرت حكمته ـ تعالى ـ في أنه اختار لهم أفضل قبلـة وأشرفها،

---

(1) انظر: مفتاح دار السعادة ٣٧٢/٢ ، ٣٧٣ .

(2) انظر: المصدر السابق ٣٧٤/٢ ، ٣٧٥ .

لتتكامل جهات الفضل في حقهم بالقبلة والرسول والكتاب والشريعة، ثم نبه - سبحانه - على حكمته البالغة في أن جعل القبلة أولاً هي بيت المقدس ليعلَمَ - سبحانه - واقعاً في الخارج ما كان معلوماً له قبل وقوعه ممن يتبع الرَّسول في جميع أحواله وينقاد له ولأوامر الرب تعالى ويدين بها كيف كانت وحيث كانت ؛ فهذا هو المؤمن حقًّا الذي أعطى العبودية حقها. ومن ينقلب على عقبيه ممن لم يرسخ في الإيمان قلبه ، ولم يستقر عليه قدمه ، فعارض وأعرض ورجع على حافرته وشك في النبوة ، وخالط قلبه شبهه الكفار الذين قالوا : إن كانت القبلة الأولى حقاً فقد خرجتم عن الحق ، وإن كانت باطلاً ، فقد كنتم على باطل وضاق عقله المنكوس عن القسم الثالث الحق، وهو أنها كانت حقًّا ومصلحة في الوقت الأول ، ثم صارت مفسدة باطلة الاستقبال في الوقت الثاني ، ولهذا أخبر - سبحانه - عن عظم شأن هذا التحويل والنسخ في القبلة ، فقال : ﴿**وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**﴾ [1] ... ولما قرر - سبحانه - ذلك كله وبين حسن هذه الجهة بعظمة البيت وعلو شأنه وجلالته ، قال - جل شأنه -: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾[2] فتدبر هذا الاعتناء وهذا التقرير وبيان المصالح الناشئة من هذا الفرع من فروع الشريعة ، وبيان المفاسد الناشئة من خلافه، وأن كلَّ جهة فهي في وقتها، كان استقبالها هو المصلحة، وأن للرب - تعالى - الحكمة البالغة في شرع القبلة الأولى وتحويل عباده عنها إلى المسجد الحرام ، فهذا معنى كون الحُسْنِ والقُبح ذاتِيًّا للفعل ناشئاً من ذاته [3] .

الاستدلال العقلي :

استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – عن طريق التمثيل ، وهو أحد طرق الاستدلال غير المباشر ؛ إذ قال: ومن هُهُنا غلط علينا المنازعون لنا في المسألة ، وألزمونا ما لا يلزمُنا وإنما نعني بكونه حسناً أو قبيحاً – لذاته أو لصفته – أنه في نفسه منشأ للمصلحة والمفسدة ،

---

(1) سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .

(2) سورة البقرة ، الآية ١٤٤ .

(3) مفتاح دار السعادة ٣٨١/٢ – ٣٨٣ .

وترتبهما عليه كترتب المسببات على أسبابها المقتضية لها ، وهذا كترتب الرِّيِّ على الشرب ، والشبع على الأكل ، وترتب منافع الأغذية والأدوية ومضارها عليها . فحسن الفعل أو قبحه هو من جنس كون الدواء الفلاني حسنًا نافعًا أو قبيحًا ضارًّا [١] .

ثم نأتي إلى الفرع الثاني من المناظرة في الرد على أدلة النفاة وتفنيد معتقدهم ، بعرض طرق الاستدلال فيها ، حيث استدل – رحمه الله – في الرد عليهم بأدلة نقلية وأدلة عقلية .

الأدلة النقلية :

استدل – رحمه الله – نقليّاً في الرد على النفاة الذين قالوا : إن غاية هذا أن يدل على قبح الكذب وحسن الصدق شاهداً ، ولا يلزم منه حسنه وقبحه غائباً إلا بطريق قياس الغائب على الشاهد، وهو باطل ؛ لوضوح الفرق ، واستنادُكم في الفرق إلى ما ذكرتم من تخلية الله بين عباده يموج بعضهم في بعض ظلماً وإفساداً، وقبح ذلك شاهد[٢] .

ورد ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بقوله : فيا لله العجب كيف يُجوِّزُ العقل التزام مذهب ملتزم معه جواز الكذب على رب العالمين وأصدق الصادقين ؟ وأنه لا فرق أصلاً بالنسبة إليه بين الصدق والكذب، بل جواز الكذب عليه - سبحانه وتعالى - عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا – كجواز الصدق ، وحسنه كحسنه ! وهل هذا إلا من أعظم الإفك والباطل؟! ونسبته إلى الله تعالى جوازاً كنسبة ما لا يليق بجلاله إليه من الولد والزوجة والشريك ، بل كنسبة أنواع الظلم والشر إليه جوازاً - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا - قال تعالى : ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّـهِ حَدِيثاً**﴾ [٣] وقال تعالى : ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّـهِ قِيلاً**﴾ [٤] وهل هذا الإفك المفترى إلا رافع للوثوق بأخباره ووعده ووعيده ، وتجويز عليه وعلى كلامه ما هو من أقبح القبائح التي يتنزه عنها بعض عبيده، ولا يليق به فضلاً عنه – سبحانه - ، فلو التزمتم كل إلزام بلزوم مسمى الحسن والقبح العقليين؛ لكان أسهل من التزام هذا الإدِّ التي تكاد

(1) المصدر نفسه ٣٧٥/٢ .
(2) المصدر نفسه ٤٧٦/٢ .
(3) سورة النساء ، الآية ٨٧.
(4) سورة النساء ، الآية ١٢٢.

السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا [١] .

وكذلك استدل – رحمه الله – نقليّاً في الرد على قول النفاة : إن الله خلَّى بين العباد وظلم بعضهم بعضاً ، وأن ذلك ليس بقبيح منه ، فإنه قبيح منا [٢] .

ورد ابن قيم الجوزية – رحمه الله – على ذلك بقوله : إن هذا كذب عليه ؛ فإنه لم يخل بينهم شرعاً ولا قدراً ، بل حال بينهم وبين ذلك شرعاً أتم حيلولة ، ومنعهم قدراً بحسب ما تقتضيه حكمته الباهرة وعلمه المحيط ، وخلَّى بينهم وبين ذلك بحسب ما تقتضيه حكمته وشرعه ودينه ، فمنعُهُ – سبحانه – لهم حيلولته بينهم وبين الشر أعظم من تخليته ، والقدر الذي خلاه بينهم في ذلك هو ملزوم أمره وشرعه ودينه ، فالذي فعله في الطرفين غاية الحكمة والمصلحة ، ولا نهاية فوقه لاقتراح عقل ... وأنه – سبحانه – لا يسأل عما يفعل ؛ لكمال حكمته وعلمه ، ووقوع أفعاله كلّها على أحسن الوجوه وأتمِّها ، على الصواب والسداد ومطابقة الحكم ، والعباد يسألون ؛ إذ ليست أفعالهم كذلك ، ولهذا قال خطيب الأنبياء شعيب – عليه السلام - : ﴿**إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [٣] فأخبر عن عموم قدرته تعالى ، وأن الخلق كلهم تحت تسخيره وقدرته ، وأنه آخذ بنواصيهم ، فلا محيص لهم عن نفوذ مشيئته وقدرته فيهم ، ثم عقب ذلك بالإخبار عن تصرفه فيهم ، وأنه بالعدل لا بالظلم ، وبالإحسان لا بالإساءة ، وبالصلاح لا بالفساد ، ... ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [٤] فالمثل الأول للصنم وعابديه ، والمثل الثاني ضربه الله تعالى لنفسه ، وأنه يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ، فكيف يُسوَّى بينه وبين الصنم الذي له مثل السوء ؟

---

(1) مفتاح دار السعادة ٤٧٧/٢ .

(2) المصدر نفسه ٤٨٣/٢ .

(3) سورة هود ، الآية ٥٦ .

(4) سورة النحل ، الآية ٧٦ .

فما فعله الرب تبارك وتعالى مع عباده هو غاية الحكمة والإحسان والعدل في إقدارهم ، وإعطائهم ، ومنعهم ، وأمرهم ، ونهيهم [١] .

وقد نبه البارئ – جلت قدرته – على هذه الحكمة في كتابه في غير موضع ، كقوله تعالى : ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾ [٢] وهذه الآية من كنوز القرآن ، نبَّه فيها الخالق – جل وعلا – على حكمته المقتضية تمييز الخبيث من الطيب ، وأن ذلك التميز لا يقع إلا برسله ، فاجتبى منهم من شاء وأرسله إلى عباده ، فيتميز برسالتهم الخبيث من الطيب ، والولي من العدوِّ ، ومن يصلح لمجاورته وقربه وكرامته ممن لا يصلح إلا للوقود [٣] .

واستدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – نقليّاً في الرد على النفاة حين قالوا : إنه - سبحانه - لا يتضرر بمعصية العبد ، ولا ينتفعُ بطاعته ، ولا تتوقف قدرته في الإحسان على فعل يصدر من العبد ، بل كما أنعم عليه ابتداءً فهو قادرٌ على أن يُنعم عليه بلا توسط [٤] .

وقال – رحمه الله – : هذا حق ، ولكن لا يلزم فيه أن لا تكون الشريعة والأمر والنهي معلومة الحسن عقلاً وشرعاً ، ولا يلزم منه أيضاً عدم حسن التكليف عقلاً وشرعاً ، فذكركم هذا عديم الفائدة ؛ فإنه لم يقل منازعوكم ولا غيرهم : إن الله - سبحانه – يتضرر بمعاصي العباد وينتفع بطاعتهم ! ولا إنه غير قادر على إيصال الإحسان إليهم بلا واسطة ! ولكن ترك التكليف وترك العباد هملاً كالأنعام لا يؤمرون ولا ينهون منافٍ لحكمته وحمده وكمال ملكه وإلهيته ، فيجب تنزيهه عنه ، ومن نسبه إليه فما قدره حق قدره ، وحكمتُهُ البالغة اقتضت الإنعام عليهم ابتداءً ، وبواسطة الإيمان ، والواسطة من إنعامه عليهم أيضاً ، فهو المنعم بالوسيلة والغاية ، ... وإنعامه على العبد ابتداءً بالإيجاد وإعطاء الحياة والعقل والسمع والبصر والنِّعم التي سخرها له إنَّما فعلها به لأجل

---

(1) مفتاح دار السعادة ٤٨٤/٢ – ٤٨٧ .

(2) سورة آل عمران ، الآية ١٧٩ .

(3) مفتاح دار السعادة ٤٨٨/٢ .

(4) المصدر نفسه ٤٩٤/٢ .

عبادته إياه وشكره لـه ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ ﴾ (٢) وأصحُّ الأقوال في الآية أن معناها : ما يصنع بكم ربِّي لولا عبادتكم إياه ، فهو – سبحانه – لم يخلقكم إلا لعبادته ، فكيف يقال بعد هذا : إن تكليفه إياهم عبادته غير حسن في العقل ؛ لأنه قادر على الإنعام عليهم بالجزاء من غير توسط العبادة (٣) .

الاستدلال العقلي :

استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بقياس الأولى في رده على قول النفاة : أن مستند الحكم بقبح الكذب غائبٌ على الشاهد ، وهو فاسد.

ورد – رحمه الله – بقوله : الرب تعالى لا يدخل مع خلقه في قياس تمثيل ولا قياس شمول يستوي أفراده ، فهذان النوعان من القياس يستحيل ثبوتهما في حقه ، وأما قياس الأولى فهو غير مستحيل في حقه ، بل هو واجب لـه ، وهو مستعملٌ في حقه عقلاً ونقلاً ، أما العقل فكاستدلالنا على أن معطي الكمال أحق بالكمال فمن جعل غيره سميعًا، بصيرًا، عالمًا، متكلمًا، حكيمًا، قادرًا، مريدًا، رحيمًا، محسنًا، فهو أولى لذلك وأحق منه ، ويثبت لـه من هذه الصفات أكملها وأتمها ، وهذا مقتضى قولهم : كمال المعلول مستفاد من كمال علته ، ولكن نحن ننزه الله – عز وجل – عن إطلاق هذه العبارة في حقه ، بل نقول : كل كمال ثبت للمخلوق غير مستلزم للنقص ، فخالقه ومعطيه إياه أحق بالاتصاف به ، وكل نقص في المخلوق فالخالق أحق بالتنزه عنه، كالكذب والظلم والسفه والعيب ، بل يجب تنزيه الرَّب – تعالى – عن النقائص والعيوب مطلقاً ، وإن لم يتنزه عنها بعض المخلوقين ، وكذلك إذا استدللنا على حكمته – تعالى – بهذه الطرائق نحو أن يقال: إذا كان الفاعل الحكيم الذي لا يفعل فعلاً إلا لحكمةٍ وغاية مطلوبة من فعله في الشاهد ، ففي حقه – تعالى – أولى وأحرى ، فإذا كان العقل للحكمة كمالاً فينا فالرَّبُّ تعالى أولى به وأحق ، وكذلك إذا كان التنزه عن الظلم والكذب كمالاً في حقّنا فالرَّبُّ تعالى أولى وأحقُّ

(1) سورة الذاريات ، الآية ٥٦ .

(2) سورة الفرقان ، الآية ٧٧ .

(3) مفتاح دار السعادة ٤٩٥/٢ .

بالتنزه عنه [1] .

مناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – مع مبتدعة السامرة في القبلة :

القضية الرئيسة فيها : قضية عقدية في مناقشة مبتدعة السامرة في القبلة .

قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله – : وأما السامرة ؛ فإنهم يصلون إلى طور لهم بأرض الشام يعظمونه ويحجون إليه ورأيته أنا وهو في بلد نابلس ، وناظرت فضلاءهم في استقباله ، وقلت : هو قبلة باطلة مبتدعة ، فقال مشارٌ إليه في دينهم: هذه هي القبلة الصحيحة ، واليهود أخطؤها ؛ لأن الله تعالى أمر في التوراة باستقباله عيناً ، ثم ذكر نصّاً يزعمه من التوراة في استقباله ، فقلت له : هذا خطأ قطعاً على التوراة ؛ لأنها إنما أنزلت على بني إسرائيل ، فهم المخاطبون بها ، وأنتم فرع عليهم فيها ، وإنما تلقيتموها عنهم ، وهذا النص ليس في التوراة التي بأيديهم ، وأنا رأيتها ، وليس هذا فيها ، فقال لي : صدقت ، إنما هو في توراتنا خاصة ، قلت له : فمن المحال أن يكون أصحاب التوراة المخاطبون بها ، وهم الذين تلقوها عن الكليم ، وهم متفرقون في أقطار الأرض ، قد كتموا هذا النص ، وأزالوا ، وبَدَّلوا القبلة التي أمروا بها ، وحفظتموها أنتم ، وحفظتم النص بها – فلم يرجع إليَّ بجواب – [2] .

استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في المناظرة السابقة بالاستدلال العقلي ، بقياس الأوْلى ، بقوله : قلت له : فمن المحال أن يكون أصحاب التوراة المخاطبون بها ، وهم الذين تلقوها عن الكليم ، وهم متفرقون في أقطار الأرض ، قد كتموا هذا النص ، وأزالوا ، وبَدَّلوا القبلة التي أمروا بها ، وحفظتموها أنتم ، وحفظتم النص بها .

ومعنى ذلك : أن حفظ أوامر الله في التوراة أولى بها بنو إسرائيل الذين تلقوها عن الكليم منكم أيها السامرة .

---

(1) المصدر نفسه ٤٧٩/٢، ٤٨٠ .

(2) بدائع الفوائد ١٦٠٦/٤ ، ١٦٠٧ .

المطلب الثاني : القضايا الفقهية وطرق الاستدلال عليها :

تعريف الفقه : هو الفهم ، نقول منه فِقِه الرجل ، وفلانٌ لا يفقـه ولا ينقـه ، وأفقهتك الشيء ، ثم خص به علم الشريعة ، والعالم به فقيه [1] .

ورد لابن قيم الجوزية – رحمه الله – ثلاث قضايا فقهية : قـضيتان في التقليـد وقضية في شرعية وقوع طلاق الثلاث بكلمة واحدة . وقد ناظر ابن قـيم الجوزيـة – رحمه الله – فيهما الخصوم ، وأفحم المعاندين بالأدلة النقلية والعقلية .

وهذا المنهج الذي استخلصته من كتاباته ، خاضع للهدف الأساسي الذي كان ينشده ، وهو دعوته للاجتهاد وإعمال الفكر ، وعرض الآراء وتفنيدها .

مناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في **مناقشة شرعية آراء المقلـدين لأئمـة المبتدعة :**

القضية الرئيسة فيها : قضية فقهية في مناقشة شرعية آراء المقلدين لأئمة المبتدعة.

القضايا المتفرعة منها : قضية عقدية في وجوب اتباع الرسول ﷺ .

وفي قضية التقليد استدل – رحمه الله – بالأدلة النقلية ، والأدلة العقلية ، ويظهر ذلك من قولـه – رحمه الله – وقد أطلنا الكلام في القياس والتقليد ، وذكرنـا مـن مآخذهما وحجج أصحا ما ومالهم وعليهم من المنقول والمعقول ما لا يجده النـاظر في كتاب من كتب القوم من أولها إلى آخرها ، ولا يظفر بـه في غـير هـذا الكتـاب أبداً ...[2] .

ومن الشواهد على الأدلة النقلية :

قول ابن قيم الجوزية – رحمه الله – إن الله – سبحانه وتعالى – ذم الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ، والزبر : الكتب المصنفة التي رغبوا ا

(1) الصحاح ، مادة فقه .

(2) إعلام الموقعين ٢٣٦/٢ .

عن كتاب الله وما بعث الله به رسوله ، فقال تعـالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [(١)] فأمر – تعالى – الرسل بما أمر بـه أممهم : أن يـأكلوا من الطيبات ، وأن يعملوا صالحاً ، وأن يعبدوه وحده ، وأن يطيعوا أمره وحده ، وأن لا يتفرقوا في الدين ، فمضت الرسل وأتباعهم على ذلك ، ممتثلين لأمر الله ، قابلين لرحمته ، حتى نشأت خلوف قطعوا أمرهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ، فمن تدبر هذه الآيات ونزلها على الواقع ؛ تبين لـه حقيق الحال وعلم من أي الحزبين هو [(٢)] .

وإن الله – سبحانه وتعالى – قال : ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [(٣)] فخص هؤلاء بالفلاح دون من عداهم ، والداعون إلى الخير هم الداعون إلى كتاب الله وسنة رسوله ، لا الداعون إلى رأي فلان وفلان [(٤)] .

وإن الله – سبحانه وتعالى – ذم من إذا دعي إلى الله ورسوله أعرض ورضي بالتحاكم إلى غيره ، وهذا شأن أهل التقليد : قال تعالى : ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً**﴾ [(٥)] فكل من أعرض عن الداعي إلى ما أنزل الله ورسوله إلى غيره فله نصيب من الذم ، فمستكثر ومستقل[(٦)] .

وإن النبي ﷺ قال : "بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ" [(٧)]

---

(1) سورة المؤمنون ، الآية ٥١-٥٣ .

(2) إعلام الموقعين ١٩٦/٢ .

(3) سورة آل عمران ، الآية ١٠٤.

(4) إعلام الموقعين ١٩٦/٢ .

(5) سورة النساء ، الآية ٦١ .

(6) إعلام الموقعين ١٩٦/٢ ، ١٩٧ .

(7) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب بين أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً (٦٥) ، رقم الحديث (١٤٦) ص١٣١ .

. وأخبر أن العلم يقل ، فلابد من وقوع ما أخبر به الصادق ، ومعلوم أن كتب المقلدين قد طبقت شرق الأرض وغربها ، ولم تكن في وقت قط أكثر منها في هذا الوقت ، ونحن نراها في كل عام في ازدياد وكثرة ، والمقلدون يحفظون منها ما يمكن حفظه بحروفه ، وشهرتها في الناس خلاف الغربة ، بل هي المعروف الذي لا يعرفون غيره ، فلو كانت هي العلم الذي بعث الله به رسوله ؛ لكان الدين كل وقت في ظهور وزيادة ، والعلم في شهرة وظهور ، وهو خلاف ما أخبر به الصادق (١) .

وإن الاختلاف كثير في كتب المقلدين وأقوالهم ، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ، بل هو حق يصدق بعضه بعضاً ، ويشهد بعضه لبعض (٢) . وقد قال تعالى : ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾ (٣) .

واستدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في موضع آخر ، في نفس الآية التي استدل بها المقلدة على جواز التقليد ، بقوله – رحمه الله – : إن ما ذكرتم بعينه حجة عليكم فإن الله – سبحانه وتعالى – أمر بسؤال أهل الذكر ، والذكر هو القرآن والحديث الذي أمر الله نساء نبيه أن يذكرنه بقوله : ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾ (٤) فهذا هو الذكر الذي أمرنا الله باتباعه ، وأمر من لا علم عنده أن يسأل أهله ، وهذا هو الواجب على كل أحد أن يسأل أهل العلم بالذكر الذي أنزله على رسوله ، ليخبروه به ، فإذا أخبروه به ، لم يسعه غير اتباعه ، وهذا كان شأن أئمة أهل العلم ، لم يكن لهم مقلد معين يتبعونه في كل ما قال ، فكان عبدالله بن عباس يسأل الصحابة عما قاله رسول الله ﷺ أو فعله أو سنَّه ، لا يسألهم عن غير ذلك، وكذلك الصحابة كانوا يسألون أمهات المؤمنين ، خصوصاً عائشة (٥) عن فعل رسول الله ﷺ في بيته ، وكذلك التابعون

(1) إعلام الموقعين ١٩٨/٢ .

(2) المصدر نفسه ١٩٨/٢ .

(3) سورة النساء ، الآية ٨٢ .

(4) سورة الأحزاب ، الآية ٣٤ .

(5) هي: حبيبة حبيب الله عائشة بنت أبي بكر الصديق، المبرأة من فوق سبع سموات، عقد عليها النبي ﷺ بمكة وهي بكر، وبنى بها بالمدينة ولم يتزوج بكراً غيرها، تزوجها =

كانوا يسألون الصحابة عن شأن نبيهم فقط ، وكذلك أئمة الفقه كما قال الشافعي لأحمد (١) : يا أبا عبدالله ، أنت أعلم بالحديث مني ، فإذا صح الحديث فأعلمني حتى أذهب إليه شاميًّا كان أو كوفيًّا أو بصريًّا ، ولم يكن أحد من أهل العلم فقط يسأل عن رأي رجل بعينه ومذهبه ، فيأخذ به وحده ويخالف له ما سواه (٢) .

وكذلك استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بنفس الحديث الذي استدل به المقلدة بقوله – رحمه الله – إن النبي ﷺ إنما أرشد المستفتين ، كصاحب الشجة بالسؤال عن حكمه وسنته ، فقال : "قتلوه قتلهم الله" (٣) ، فدعا عليهم لما أفتوا بغير علم ، وفي هذا تحريم الإفتاء بالتقليد ؛ فإنه ليس

النبي ﷺ بنت ست، ودخل بها وهي بنت تسع على رأس سبعة أشهر بعد مقدمه المدينة ، توفي عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة، وتوفيت في أيام معاوية سنة ثمان وخمسين ، وقيل، سبع، وأوصت أن تدفن بالبقيع مع صواحباتها، كناها النبي ﷺ بأم عبدالله، أمها أم رومان . (معرفة الصحابة ٣٢٠٨/٦).

(1) هو: أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبدالله، الشيباني، إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة . أصله من مرو، ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ، ونشأ بها ، ورحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام. طلب العلم على كثير من العلماء ، منهم : هشيم وسفيان بن عيينة وإبراهيم بن سعد وغيرهم. وهو إمام في الحديث وضروبه والفقه ودقائقه، روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم. وكان - رحمه الله - شيخاً أسمر ، مديد القامة، حليماً، كثير التواضع ، تعلوه السكينة والوقار. صنف المسند (في الحديث) ، وألف في علوم مختلفة؛ إذ إن له كتباً في التاريخ والناسخ والمنسوخ والتفسير وفضائل الصحابة والمناسك والزهد والعلل والرجال وغيرها. توفي - رحمه الله - في بغداد سنة ٢٤١هـ. (انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، حققه وضبط نصه، وعلق عليه، بشار عواد معروف ، ج٥، ط١، ١٤٢٤هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص١٠١٠-١٠٦٨؛ وشذرات الذهب ١٨٥/٣-١٩٠؛ والأعلام ، خير الدين الزركلي، ج٥، ط٧، ١٩٨٦م، دار العلم للملايين ، بيروت ص٢٠٣) .

(2) إعلام الموقعين ٢٠٠/٢ .

(3) نص الحديث هو : (عن عطاء عن جابر قال خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال : هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: (قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا؛ فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب شك موس على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب المجروح يتيم، ج١ رقم الحديث ٣٣٦، ص٥٩، ٦٠ .

علماً باتفاق الناس، فإن ما دعا رسول الله ﷺ على فاعله فهو حرام ، وذلك أحد أدلة التحريم ، فما احتج به المقلدون هو من أكبر الحجج عليهم [1].

واستدل ابن قيم الجوزية بأقوال الصحابة – رضوان الله عليهم – ومن ذلك رده على المقلدة في قولهم: إن ابن مسعود كان يأخذ بقول عمر، حيث قال – رحمه الله –: والعجب أن المحتجين بهذا لا يرون تقليد ابن مسعود ولا تقليد عمر . وتقليد مالك[2] وأبي حنيفة [3] ، والشافعي ، أحب إليهم وآثر عندهم ، ثم كيف ينسب إلى ابن مسعود تقليد الرجال ، وهو يقول : لقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني أعلمهم بكتاب الله ، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني لرحلت إليه. وكان يقول : والذي لا إله إلا هو ما من كتاب الله سورة إلا وأنا أعلم حيث نزلت ، وما من آية إلا وأنا أعلم فيما

---

(1) إعلام الموقعين ٢/٢٠٠ .

(2) الإمام مالك : هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، الإمام، الحافظ، أبوعبدالله الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة وإليه تنسب المالكية، صاحب (الموطأ) وله أيضاً (رسالة في الوعظ) و(المناسك) و(التفسير المسند) و(رسالة إلى ابن وهب في القدر والرد على القدرية). ولد في المدينة سنة ٩٣هـ، حدَّث عن نافع والزهري وعامر بن عبدالله بن الزبير وعبدالله بن دينار وجعفر الصادق وخلق كثير، وحدَّث عنه أمم لا يكادون يحصون، منهم: الشافعي وابن المبارك والقطان وابن مهدي وابن وهب ويحيى النيسابوري وأبو مصعب الزهري. (تذكرة الحفاظ، أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي، ج١، ط١، ١٣٧٤هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص٢٠٧-٢١٣؛ وانظر: طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن علي الداودي، ج٢، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢٩٤).

(3) الإمام أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت التيمي الكوفي، أبو حنيفة، فقيه العراق وإمام الحنفية وأصحاب الرأي، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد في الكوفة سنة ٤٨هـ، ونشأ فيها، وكان إماماً، ورعاً، عاملاً، متعبداً، كبير الشأن ، لا يقبل جوائز السلطان، بل يتجر ويتكسب. أكره على القضاء فأبى أن يكون قاضياً. حدَّث عن حماد بن أبي سليمان وعاصم بن أبي النجود والزهري وعطاء وعبدالرحمن ابن هرمز الأعرج وعمرو بن دينار وغيرهم، وحدَّث عنه داود الطائي والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن ووكيع ويزيد بن هارون وسعد بن الصلت وعبدالرزاق وخلق. (تذكرة الحفاظ ١/١٦٨، ١٦٩؛ وانظر: طبقات الحفاظ ، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٨٠، ٨١).

أنزلت، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل؛ لركبت إليه[1].

وابن عباس ينكر على من يعارض ما بلغه من السنة بقوله : قال أبو بكر وعمر ، ويقول : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ؛ أقول : قال رسول الله ﷺ وتقولون : قال أبوبكر وعمر [2] .

الاستدلال العقلي:

وإذا أتينا على الاستدلال العقلي في هذه القضية ، وجدنا أن ابن قيم الجوزية – رحمه الله – قد بدأ في مقدمة مناظرته بالنظر في أصل القضية ؛ حيث سأل عن مذهب المقلدة ، ومن ثم تصحيحه وبيان فساده [3] ومن ذلك قوله – رحمه الله –: كيف أبطلتم مذهبكم بنفس دليلكم ؟ فما للمقلد وما للاستدلال ؟ وأين منصب المقلد؟...[4] ومن ثم كشف عري المذهب بقوله : والعجب أن كل طائفة من الطوائف، وكل أمة من الأمم تدعي أنها على حق، حاشا فرقة التقليد لا يدعون ذلك ، ولو ادعوه لكانوا مبطلين ! فإنهم شاهدون على أنفسهم بأنهم لم يعتقدوا تلك الأقوال لدليل قادهم إليه ، وبرهان دلهم عليه ، وإنما سبيلهم محض التقليد ، والمقلد لا يعرف الحق من الباطل ، ولا الحالي من الباطل ، وأعجب من هذا أن أئمتهم نهوهم عن تقليدهم فعصوهم وخالفوهم ، وقالوا : نحن على مذاهبهم ، وقد دانوا بخلافهم في أصول المذهب الذي بنوا عليه ، فإنهم بنوا على الحجة ، ونهوا عن التقليد ، وأصولهم إذا ظهر الدليل أن يتركوا أقوالهم ويتبعوه ، فخالفوهم في ذلك كله ، وقالوا : نحن من أتباعهم ، تلك أمانيهم ، وما أتباعهم إلا من سلك سبيلهم ، واقتفى آثارهم في أصولهم وفروعهم [5] .

واستدل – رحمه الله – في كشف عري مذهبهم باستدلالات عديدة، منها :

الاستدلال بالتقسيم ؛ وذلك في الرد على المقلدة في احتجاجهم بقول

---

(1) إعلام الموقعين ٢٠٣/٢ .

(2) المصدر نفسه ٢٠٤/٢ .

(3) هذا من أقسام السؤال الجدلي (انظر: الكافية في الجدل ، ص٧٧).

(4) إعلام الموقعين ١٧٨/٢ .

(5) إعلام الموقعين ١٧٩/٢ .

عبدالله بن مسعود – رحمه الله – في جواز التقليد إذ خاطبهم ابن قيم الجوزية – رحمه الله – قائلاً : قولكم : قال عبدالله بن مسعود – رحمه الله – من كان مستنّاً منكم فليستن بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد ، فهذا من أكبر الحجج عليكم من وجوه ؛ الأول: أنه نهى عن الاستنان بالأحياء ، وأنتم تقلدون الأحياء والأموات .

الثاني : أنه عين المستن بهم بأنهم خير الخلق وأبر الأمة وأعلمهم ، وهم الصحابة – رضي الله عنهم – وأنتم معاشر المقلدين لا ترون تقليدهم ولا الاستنان بهم ، وإنما ترون تقليد فلان وفلان ممن هو دونهم بكثير .

الثالث : أن الاستنان بهم هو الاقتداء بهم ، وهو أن يأتي المقتدي بمثل ما أتوا به ، ويفعل كما فعلوا ، وهذا يبطل قبول قول أحد بغير حجة كما كان الصحابة عليه .

الرابع : أن ابن مسعود قد صح عنه النهي عن التقليد وأن يكون الرجل إمعة لا بصيرة لـه ، فعلم أن الاستنان عنده غير التقليد (1) .

ومن الاستدلال بالتقسيم أيضاً ، قول ابن قيم الجوزية – رحمـه الله – مخاطبـاً المقلدة : قولكم : منع عمر من بيع أمهات الأولاد وتبعه الصحابة ، وألـزم بـالطلاق الثلاث وتبعوه أيضاً ؛ جوابه من وجوه :

أحدها : أ م لم يتبعوه تقليداً لـه ، بل أداهم اجتهادهم في ذلك إلى ما أداه إليه اجتهاده ، ولم يقل أحد منهم قط : إني رأيت ذلك تقليداً لعمر .

الثاني : أ م لم يتبعوه كلهم فهذا ابن مسعود يخالفه في أمهات الأولاد ، وهـذا ابن عباس يخالفه في الإلزام بالطلاق الثلاث ، وإذا اختلف الصحابة وغيرهم فالحاكم هو الحجة .

الثالث: أنه ليس في اتباع قول عمر رضي الله عنه في هاتين المسألتين وتقليد الصحابة لـه فرض لـه في ذلك ما يسوغ تقليد من هو دونه بكثير في كل ما يقوله ، وترك قول من

(1) المصدر نفسه ٢٠٨/٢ .

هو مثله ومن هو فوقه وأعلم منه ، فهذا من أبطل الاستدلال ، وهـو تعلـق ببيـت العنكبوت ، فقلدوا عمر واتركوا تقليد فلان وفلان ، فأما وأنتم تصرحون بأن عمر لا يقلد ، وأبو حنيفة والشافعي ومالك يقلدون فلا يمكنكم الاستدلال بما أنتم مخـالفون لـه ، فكيف يجوز للرجل أن يحتج بما لا يقول به ؟ (1) .

ومما احتج به ابن قيم الجوزية في رده على المقلدة : الاستدلال بالتناقض (2) ، وهو من وجوه التقابل ، حيث جاء الاستدلال مباشراً في رده حينما قال : إنه لا يجب على العبد أن يقلد زيداً دون عمر ، بل يجوز لـه الانتقال من تقليد هذا إلى تقليد الآخـر عند المقلدين ؛ فإن كان قول من قلده أولاً هو الحق لا سواه فقد جوزتم لـه الانتقال عن الحق إلى خلافه ، وهذا محال ، وإن كان الثاني هو الحق وحده فقد جوزتم الإقامة على خلاف الحق ، وإن قلتم : القولان المتضادان المتناقضان حق فهو أشـد إحالـة ، ولابد لكم من قسم من هذه الأقسام الثلاثة (3) .

وخلاصة هذا الاستدلال أنه إن كان قول من قلده هو الحق لا سواه ، فلا يجوز الانتقال عن الحق إلى خلافه وإن كان الثاني هو الحق وحده ، فلا يجوز الإقامة علـى خلاف الحق فالقولان المتضادان المتناقضان ليسا بحق .

ومن الاستدلال بالتناقض أيضاً قول ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في رده على قول المقلدة : إن التقليد من لوازم الشرع والقدر : إن ما كان من لـوازم الـشرع ، فبطلان ضده من لوازم الشرع ، فلو كان التقليد الذي وقع فيه النزاع مـن لـوازم الشرع؛ لكان بطلان الاستدلال واتباع الحجة في موضع التقليد من لوازم الشرع ، فإن

---

(1) المصدر السابق ٢١٢/٢، ٢١٣ .

(2) معنى التناقض : إن صدق إحدى القضيتين ينقض احتمال صدق الأخرى ويجعلها كاذبة حتمـاً ، وإن كذب إحداهما ينقض احتمال كذب الأخرى ، ويجعلها صادقة حتماً ، فهما على هذا لا يصدقان معاً بحال من الأحوال ، ولا يكذبان معاً بحال من الأحوال (انظر ، ضوابط المعرفة ، ص١٥٥، ١٥٦) .

(3) إعلام الموقعين ١٩٨/٢ .

ثبوت أحد النقيضين يقتضي انتفاء الآخر ، وصحة أحد الضدين يوجب بطلان الآخر ، ونحرره دليلاً فنقول : لو كان التقليد من الدين، لم يجز العدول عنه إلى الاجتهاد والاستدلال؛ لأنه يتضمن بطلانه ... والمقصود أن الذي هو من لوازم الشرع المتابعة والاقتداء ، وتقديم النصوص على آراء الرجال ، وتحكيم الكتاب والسنة في كل ما تنازع فيه العلماء ، وأما الزهد في النصوص والاستغناء عنها بآراء الرجال وتقديمها عليها والإنكار على من جعل كتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة نصب عينيه وعرض أقوال العلماء عليها ، ولم يتخذ من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة فبطلانه من لوازم الشرع ، ولا يتم الدين إلا بإنكاره وإبطاله ، فهذا لون والاتباع لون[1] .

واستدل – رحمه الله – بأحد طرق الاستدلال الغير مباشر وهو الاستدلال التمثيلي في رده على المقلدة الذين ردوا على المانعين من التقليد بقولهم : أنتم منعتموه خشية وقوع المقلد في الخطأ بأن يكون من قلده مخطئاً في فتواه ، ثم أوجبتم عليه النظر والاستدلال في طلب الحق ، ولا ريب أن صوابه في تقليده للعالم أقرب من صوابه في اجتهاده هو لنفسه ، وهذا كمن أراد شراء سلعة لا خبرة له بها ؛ فإنه إذا قلد عالماً بتلك السلعة ، خبيراً بها ، أميناً ، ناصحاً ، كان ثوابه وحصول غرضه أقرب من اجتهاده لنفسه ، وهذا متفق عليه بين العقلاء [2] . وقد جاء رده – رحمه الله – بقوله : إن المثال الذي مثلتم به من أكبر الحجج عليكم ؛ فإن من أراد شراء سلعة أو سلوك طريق حين اختلف عليه اثنان أو أكثر ، وكل منهم يأمره بخلاف ما يأمره به الآخر ؛ فإنه لا يقدم على تقليد واحد منهم ، بل يبقى متردداً طالباً للصواب من أقوالهم ، فلو أقدم على قبول قول أحدهم مع مساواة الآخر له في المعرفة والنصيحة والديانة أو

(1) المصدر نفسه ٢٢٧/٢ .

(2) المصدر السابق ١٧٨/٢ .

كونه فوقه في ذلك؛ عد مخاطراً مذموماً ولم يمدح إن أصاب ، وقد جعل الله في فطر العقلاء في مثل هذا أن يتوقف أحدهم ويطلب ترجيح قول المختلفين عليه من خارج حتى يستبين له الصواب ، ولم يجعل في فطرهم الهجم على قبول قول واحد واطراح قول من عداه [1] .

مناظرة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في مسألة وقوع طلاق الثلاث بكلمة واحدة :

القضية الرئيسة فيها: قضية فقهية في مسألة وقوع طلاق الثلاث بكلمة واحدة.

القضايا المتفرعة منها : قضية فقهية مسألة تحريم جمع الثلاث .

واستدل – رحمه الله – في قضية وقوع طلاق الثلاث بكلمة واحدة بالاستدلال النقلي والاستدلال العقلي .

الاستدلال النقلي :

اعتمد ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في وقوع الطلاق بكلمة واحدة على الأدلة النقلية من الكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة ، والإجماع ؛ وذلك لاستناد المعارضين له على الأدلة النقلية ، فكانت المناظرة تدور على عرض الأدلة وتفنيدها ، ويمكن أن نتناول نماذج من استدلالاته – رحمه الله – في خطابه إياهم؛ إذ إنه: استدل بالقرآن الكريم في قوله: وقد قال تعالى: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾[2] فقد تنازعنا نحن وأنتم في هذه المسألة ، فلا سبيل إلى ردها إلى غير الله ورسوله ألبته ... [3] .

واستدل – رحمه الله – بحديث عائشة – رضي الله عنها – بقوله : وأما استدلالكم بحديث عائشة – رضي الله عنها - : أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً فتزوجت ، فسئل رسول الله ﷺ هل تحل للأول ؟ قال: "لا ، حتى

(1) المصدر نفسه ٢٣٢/٢ .
(2) سورة النساء ، الآية ٥٩ .
(3) جامع الفقه ٥١٨/٥ .

تذوق العسيلة" (١) ، فهذا لا ننازعكم فيه ، نعم هو حجة على من اكتفى بمجرد عقد الثاني ، ولكن أين في الحديث أنه طلق الثلاث بفم واحد ، بل الحديث حجة لنا ؛ فإنه لا يقال : فعل ذلك ثلاثاً ، وقال ثلاثاً إلا من فعل ، وقال : مرة بعد مرة ، هذا هو المعقول في لغات الأمم عربهم وعجمهم ، كما يقال : قذفه ثلاثاً ، وشتمه ثلاثاً ، وسلم عليه ثلاثاً (٢) .

واستدل – رحمه الله – بأقوال الصحابة بقوله : إن المطلق في زمن النبي ﷺ وزمن خليفته أبي بكر وصدراً من خلافة عمر ، كان إذا جمع الطلقات الثلاث بفمٍ واحد ، جعلت واحدة ، كما ثبت ذلك في الصحيح، عن ابن عباس قال: كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم(٣). وفي صحيحه أيضاً عن طاوس : أن أبا الصهباء قال لابن عباس : ألم تعلم أن الثلاث كانت تجعل واحدة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وثلاثاً من إمارة عمر ؟ فقال ابن عباس : نعم (٤) (٥) .

واستدل – رحمه الله تعالى – بالإجماع بقوله : فهذا كتاب الله ، وهذه سنة رسول الله ﷺ ، وهذه لغة العرب ، وهذا عرْف التخاطب ، وهذا خليفة رسول الله ﷺ والصحابة كلهم معه في عصره وثلاث سنين من عصر عمر على هذا المذهب ، فلو عدهم العاد بأسمائهم واحداً واحداً ، لوجد أنهم كانوا يرون الثلاث واحدة إما بفتوى ، وإما بإقرار عليها ، ولو فرض من لم يكن يرى ذلك ؛ فإنه لم يكن منكراً للفتوى به ، بل كانوا ما بين مفت ، ومقر بفتيا وساكت غير منكر ... ولهذا ادعى بعض أهل

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، (١٦) باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره ويطأها ثم يفارقها وتنقضي عد ا (١٧) ، رقم الحديث (١٤٣٣) ١٠٥٥/٢ .

(2) جامع الفقه ٥١٩/٥ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الطلاق (١٨) باب طلاق الثلاث (٢) ، رقم الحديث (١٤٧٢) ١٠٩٩/٢ .

(4) صحيح مسلم ، كتاب الطلاق (١٨) باب طلاق الثلاث (٢) ، رقم الحديث (١٤٧٢) ١٠٩٩/٢ .

(5) جامع الفقه ٥٢٦/٥ .

العلم أن هذا إجماع قديم ، ولم تجمع الأمة ، ولله الحمد ، على خلافه [١] .

الاستدلال العقلي :

استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في قضية الطلاق بكلمة واحدة ، من خلال التمثيل ، وهو من الاستدلال غير المباشر ، حيث قال : وما كان مرة بعد مرة ، لم يملك المكلف إيقاع مرآته كلها جملة واحدة ، كاللعان ، فإنه لو قال : أشهد بالله أربع شهادات أني لمن الصادقين كان مرة واحدة ، ولو حلف في القسامة ، وقال أقسم بالله خمسين يميناً أن هذا قاتله، كان ذلك يميناً واحدة، ولو قال المقر بالزنا: أنا أقر أربع مرات أني زنيت، كان مرة واحدة، فمن يعتبر الأربع لا يجعل ذلك إلا إقراراً واحداً[٢].

فيكون التماثل في ذلك بقولنا : من قال أنت طالق ثلاثاً كانت واحدة، ومن قال: أشهد بالله أربع شهادات أني من الصادقين، كانت واحدة .

مناظرة في تقديم متابعة الرسول ﷺ على آراء الناس وعقولهم :

القضية الرئيسة فيها : قضية فقهية ، في مناقشة المقلدة في تقديم اتباع الرسول ﷺ على آراء الناس .

القضية المتفرعة منها : قضية عقدية وهي : وجوب اتباع الرسول ﷺ .

قال – رحمه الله – في مناظرته في تقديم متابعة الرسول ﷺ على آراء الناس : ولقد خاطبت يوماً بعض أكابر هؤلاء المقلدة – فقلت له : سألتك بالله لو قدر أن رسول الله ﷺ حي بين أظهرنا وقد واجهنا بكلامه وبخطابه ، أكان فرضاً علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه ، أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم ، فقال : بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه ، فقلت : فما الذي نسخ هذا الفرض عنا ؟ وباي شيء نسخ ؟ فوضع إصبعه على فيه وبقي باهتاً متحيراً ، وما نطق بكلمة [٣] .

استدل ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بالاستدلال العقلي ، التمثيلي

---

(1) المصدر نفسه ٥/٥٢٩ ، ٥٣٠ .

(2) المصدر نفسه ٥/٥٢٨ .

(3) مدارج السالكين ٣/٢٠٥ .

، حيث نقل الذهن من الحكم بوجوب اتباع أوامر الرسول ﷺ لو قدر أن الرسول ﷺ حي بين أظهرنا دون عرض كلامه على رأي غيره . إذن فما المانع من الامتثال إلى أوامره – عليه الصلاة والسلام – المنقول إلينا بالرواية من غير الالتفات إلى سواه .

وخلاصة ذلك أن الحكم باتباع الرسول ﷺ لو قدر أنه حي بين أظهرنا ملزم باتباع أوامر الرسول – عليه الصلاة والسلام – المنقولة إلينا .

الفصل الثالث

الدروس الدعوية المستفادة من المناظرة عند ابن قيم الجوزية – رحمه الله –

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بضوابط المناظرة .

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بآداب المناظرة .

المبحث الثالث: الدروس الدعوية المتعلقة بموضوعات المناظرة ، وطـرق الاستدلال عليها .

تمهيد :

هذا التمهيد يتكلم على مفهوم الدعوة عند ابن قيم الجوزية – رحمه الله – من حيث : موضوعها ، وطرقها ، ومراتبها ، وثمرا ا .

موضوع الدعوة عند ابن قيم الجوزية – رحمه الله – :

إن أساس دعوة الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – معرفة الله – سبحانه – بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان :

أحدهما : تعريف الطرق الموصلة إليه ، وهي شريعته المتضمنة لأمره و يه .

الثاني : تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم الذي لا ينفد وقرة العين التي لا تنقطع .

وهذان الأصلان تابعان للأصل الأول ، ومبنيان عليه ، فأعرف الناس بالله أتبعهم للطريق الموصل إليه ، وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه ؛ ولهذا سمى الله – سبحانه – ما أنزل على رسوله روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه ، ونوراً لتوقف الهداية عليه ، قال الله -تبارك وتعالى -: ﴿**يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾[1] في موضعين من كتابه [2] وقال – عز وجل - : ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾ [3] فلا روح إلا فيما جاء به ، ولا نور إلا في الاستضاءة به ، فهو الحياة ، والنور ، والعصمة ، والشفاء ، والنجاة ، والأمن ، والله – سبحانه وتعالى – أرسل رسوله بالهدى ، ودين الحق ، فلا هدى إلا فيما جاء به ، ولا يقبل الله من أحد ديناً يدينه به إلا أن يكون موافقاً لدينه ... [4] .

---

(1) سورة غافر ، الآية ١٥.

(2) الموضع الآخر : قوله تعالى : ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾ [النحل: الآية٢] .

(3) سورة الشورى ، الآية ٥٢ .

(4) الصواعق المرسلة ١٥١/١، ١٥٢ .

تعريف الداعي عند ابن قيم الجوزية – رحمه الله – :

قال – رحمه الله تعالى – في تعريف الدعاة :

الدعاة : جمع داعٍ ، كقاضٍ وقضاة ، ورامٍ ورماة ، وإضافتهم إلى الله للاختصاص ، أي : الدعاة المخصوصون به ، الذين يدعون إلى دينه وعبادته ، ومعرفته ومحبته ، وهؤلاء هم خواص خلق الله وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدراً ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾(١) ، وقال الحسن (٢) : هو المؤمن أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحاً في إجابته ، فهذا حبيب الله ، هذا ولي الله (٣) .

أقسام الخلق في قبول الدعوة النبوية :

ذكر النبي ﷺ أقسام الخلائق بالنسبة إلى دعوته وما بعثه الله به من الهدى في قوله ﷺ : "إن مثل ما بعثني الله - عز وجل - به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ؛ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء ؛ فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تُنبِت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه بما بعثني الله به ، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به " (٤) .

فشبه ﷺ العلم الذي جاء به بالغيث ؛ لأن كلاً منهما سبب الحياة ، فالغيث سبب حياة الأبدان ، والعلم سبب حياة القلوب ، وشبه القلوب القابلة للعلم بالأرض القابلة للغيث ، كما شبه – سبحانه – القلوب بالأودية

---

(1) سورة فصلت ، الآية ٣٣ .

(2) لعله يقصد الحسن البصري

(3) مفتاح دار السعادة ٤٧٤/١ ، ٤٧٥ .

(4) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل (٤٣) باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم (٥) ، رقم الحديث (٢٢٨٢) ١٧٨٧/٤ .

في قولـه تعالى : ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** ﴾ [1] .

فاستوعب الحديث أقسام الخلق في الدعوة النبوية، وهي :

الأول : عـالم مُعَلِّمٌ ، داع إلـى الله علـى بـصيرة ، فهـذا مـن ورثـة الرسل .

والثاني : حافظ مؤدٍّ لما سمعه ، فهذا يحمل إلى غيره ما يتَّجرُ بـه المحمول إليه ويستثمر.

والثالث : لا هذا ولا هذا ، فهو الذي لم يقبل هدى الله ، ولا رفع بـه رأساً فقسمان سعيدان ، وقسم شقي[2].

طرق الدعوة عند ابن قيم الجوزية – رحمه الله – :

طرق الدعوة تنقسم إلى قسمين ، قولية ، وفعلية .

ويوضـح ذلـك ابـن قـيم الجوزيـة – رحمـه الله – بقولـه : بُعـث ﷺ بالكتاب الهادي ، والسيف الناصر بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك لـه؛ فإنـه -سبحانه- أقام ديـن الإسلام بالحجـة والبرهان والسيف والسنان، فكلاهما فـي نـصره إخـوان شقيقان، وكلاهمـا شـجيع لا يـتم إلا بشجاعة القلب وثبات الجنان [3] .

مراتب الدعوة عند ابن قيم الجوزية – رحمه الله – :

يوضـحها قولـــه – رحمـه الله –: إن مقـام الـدعوة إلـى الله أفـضل مقامات العبد ، قال تعالى : ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً**﴾ [4] وقـال تعـالى : ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [5] .

جعل – سبحانه وتعالى – مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق :

---

(1) سورة الرعد ، الآية ١٧ .

(2) الرسالة التبوكية، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد غريد شمس، إشراف: بكر أبوزيد، ط١ ، ١٤٢٥هـ ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ص٦١، ٦٢، ٦٤ .

(3) الفروسية ، ص٨٣، ٨٤ .

(4) سورة الجن ، الآية ١٩ .

(5) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

المستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه : يدعى بطريق الحكمة .

القابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر : يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة .

المعاند الجاحد : يجادل بالتي هي أحسن [١] .

ثمرات الدعوة عند ابن قيم الجوزية – رحمه الله – :

وضح – رحمه الله – ثمرات الدعوة بأقوال عديدة ، منها قوله – رحمه الله – : فالدعوة تجمع شمل الأمة وتلم شعثها وتحيط بها ، فمن دخل في جماعتها أحاطت به وشملته. والنبي ﷺ أمر بتبليغ العلم عنه ، فعن عبدالله بن عمر [٢] قال : قال رسول الله ﷺ : "بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" [٣] وقال ﷺ :"ليبلغ الشاهد منكم الغائب" [٤] فأمر ﷺ بالتبليغ عنه؛ لما في ذلك من حصول الهدى بالتبليغ، وله ﷺ أجر من بلغ عنه، وأجر من قبل ذلك البلاغ ، وكلما كثر التبليغ عنه تضاعف له الثواب ، فله من الأجر بعدد كل مبلغ ، وكل مهتد بذلك البلاغ ، سوى ما له من أجر عمله المختص به ، فكل من هُدي واهتدى بتبليغه له الأجر ؛ لأنه هو الداعي إليه ، ولو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصول ما يحبه ﷺ

---

(1) مفتاح دار السعادة ٤٧٤/١، ٤٧٥ .

(2) عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو عبدالرحمن المكي، أسلم قديماً وهو صغير وهاجر مع أبيه واستصغر في أحد ثم شهد الخندق والمشاهد كلها بعدها، روى عن النبي ﷺ وعن أبيه . قالت حفصة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن عبدالله رجل صالح، وقال ابن المسيب: مات يوم مات وما في الأرض أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منه، وقال الزهري: لا نعدل برأيه أحداً، وقال مالك: أفتى الناس ستين سنة، وقال الزبير: هاجر وهو ابن عشر سنين ومات سنة ثلاث وسبعين. (تهذيب التهذيب ٣٢٨/٥-٣٣١).

(3) صحيح البخاري، كتابا لأنبياء (٦٠)، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٥٠) ، ١٤٥/٤ .

(4) صحيح مسلم ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (٩) كتاب القسامة (٢٨) رقم الحـديث ١٦٧٩ ، ص١٣٠٦ .

لكفى به فضلاً . فعلامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوب محبوبه ، ويبذل جهده ، وطاقته فيها ، ومعلوم أنه لا شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من إيصاله الهدى إلى جميع الأمة ، فالمبلغ عنه ساعٍ في حصول محابه ، فهو أقرب الناس منه وأحبهم إليه ، وهو نائبه وخليفته في أمته ، وكفى بهذا فضلاً وشرفاً للعلم وأهله [(١)] .

وإن الله – سبحانه وتعالى – جعل أشرف مراتب الناس ، مرتبة خلافة الرسل ونيابتهم في أممهم ؛ فإنهم يخلفونهم على منهاجهم وطريقهم ، من نصيحتهم للأمة ، وإرشادهم الضال ، وتعليمهم الجاهل ، ونصرهم المظلوم ، وأخذهم على يد الظالم ، وأمرهم بالمعروف وفعله ، ونهيهم عن المنكر وتركه [(٢)] .

ويرى ابن قيم الجوزية –رحمه الله– أن الدعوة إلى الله أفضل الأعمال على الإطلاق حتى من الجهاد ، فيقول : والجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان، ولهذا أمر به تعالى في السور المكية حيث لا جهاد باليد إنذاراً وتعذيراً ، فقال تعالى: ﴿**فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً**﴾[(٣)] وأمر تعالى بجهاد المنافقين والغلظة عليهم مع كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير ، فقال تعالى :﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [(٤)] فالجهاد بالعلم والحجة جهاد أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق[(٥)] .

وخص الله – سبحانه وتعالى – الداعين إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ بالفلاح دون غيرهم بقوله تعالى : ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [(٦)] .

---

(1) انظر: مفتاح دار السعادة ٢٧٩/١ .
(2) المصدر نفسه ٢٩٢/١، ٢٩٤ .
(3) سورة الفرقان ، الآية ٥٢.
(4) سورة التوبة ، الآية ٧٣ .
(5) شرح قصيدة الإمام ابن قيم الجوزية ٢٦/١-٢٧ .
(6) إعلام الموقعين ١٩٦/٢ ، والآية من سورة آل عمران ، رقمها ١٠٤.

المبحث الأول

الدروس الدعوية المتعلقة بضوابط المناظرة

الدروس الدعوية المتعلقة بضوابط المناظرة :

لقد اهتم ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بضرورة تحلي الداعية إلى الله – سبحانه وتعالى – بضوابط المناظرة ودعا إليها في مواطن كثيرة من كتبه ، منها:

- **ضرورة تأهب الداعية إلى الله ، وإعداد نفسه بملكة الضوابط السابقة ؛ ليرتقي للمقام الذي أعد له ، فهو المبلغ عن الله ، حامل شعار حزب الله المفلحين وأتباعه من العالمين:**

وقد دعا إلى ذلك ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بقوله : ولما كان التبليغ عن الله – سبحانه وتعالى – يعتمد العلم بما يبلغ ، والصدق فيه ؛ لم تصح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق ، فيكون عالماً بما يبلغ ، صادقاً فيه ، ويكون مع ذلك حسن الطريقة ، مرضيَّ السيرة ، عدلاً في أقواله وأفعاله ، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله ، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله ، ولا يجهل قدره ، وهو من أعلى المراتب السنيات ، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات ؟ فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يُعِدَّ له عدته ، وأن يتأهب له أهبته ، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه ، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصَّدع به ؛ فإن الله ناصرهُ وهاديه [1] .

- **الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – ببصيرة وبرهان حتى لا يَضِل أو يُضِل . قال تعالى : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [2] :**

والدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – ببصيرة تكون في أمرين هما :

أولاً: أن يكون على بصيرة في حال الدعوة والدعاة السابقين .

ثانياً: أن يكون على بصيرة في حال من يدعوه .

فلا بد أن يكون الداعية على بصيرة من أمره حتى يستطيع أن يعطي كل واحد حقه من هؤلاء الأصناف المتباينة من الناس ، ويقتضي

---

(1) إعلام الموقعين ١٩/١ .

(2) سورة يوسف ، الآية ١٠٨ .

هذا أن يعرف ما يدعو إليه ، وما هدفه ، وما غايته ، وما منهجه ووسائله ؟ إذا عرف كل هذا؛ استطاع أن يدعو وهو على بصيرة [1] .

ونجد ذلك جليًّا في مناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – مثل مناظرته في تقرير نبوة النبي محمد ﷺ ؛حيث خاطب مناظره من خلال فهمه لما يعتقده ، إذ بدأها ابن قيم الجوزية – رحمه الله – قائلاً : أنتم بتكذيبكم محمداً ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة، فعجب من ذلك ، وقال : مثلك ... [2] .

– التزام الداعية بمراتب العلم الأربع :

قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله – : وهذه هي مراتب العلم ، أولها وثانيها : سماعه وعقله ، فإذا سمعه وعاه بقلبه ، أي : عقله واستقر في قلبه كما يستقر الشيء الذي يُوعى في وعائه ولا يخرج منه ، وكذلك عقله هو بمنزلة عقل البعير والدابة ونحوها حتى لا تشرد وتذهب ، ولهذا كان الوعي والعقل قدراً زائداً على مجرد إدراك المعلوم .

المرتبة الثالثة : تعاهده وحفظه؛ حتى لا ينساه فيذهب .

المرتبة الرابعة : تبليغه وبثه في الأمة ؛ ليحصل به ثمرته ومقصوده ، وهو ببثه في الأمة ، بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا ينفق منه وهو معرض لذهابه ؛ فإن العلم ما لم ينفق منه ويعلم فإنه يوشك أن يذهب ، فإذا أنفق منه نما وزكا على الإنفاق [3] .

ومناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – التي بين أيدينا نتيجة طبعية لعلمه الواسع وعقله الراجح الذي وعى ما تلقاه فأدى حق العلم بتبليغه ، حيث ظهر من خلالها سعة عقله وقدرته على التفصيل والإحاطة بالمسألة .

وإن المتأمل في الترتيب المنطقي في إجابته؛ ليدرك قدرة هذا العالم الجليل على التفكير المنظم النابع من عقلية علمية ، فهو ذو قدرة على استنباط الحجة من القرآن الكريم والحديث الشريف ، كما أنه على وعي

---

(1) منهج ابن قيم في الدعوة إلى الله تعالى ، أحمد الخلف ، ج١ ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، مكتبة أضواء السلف ، الرياض ، ص٢٥٢ .

(2) انظر : هداية الحيارى ، ص٢٦٥ .

(3) مفتاح دار السعادة ٢٧٦/١ .

بأحوال السابقين ؛ حيث نجد الاستشهاد بما جرى لسلف الأمة.

- تيسير الخطاب الدعوي ، بوضوح الألفاظ ، وتيسير المعاني للفهم :

أوضح ابن قيم الجوزية – رحمه الله – معنى البيان في تفسير قوله تعالى : ﴿ **الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾ (1) بقوله : يتناول البيان مراتب ثلاثاً، كل منها يسمى بياناً .

إحداها : البيان الذهني الذي يميز فيه بين المعلومات .

الثانية : البيان اللفظي الذي يعبر به عن تلك المعلومات ويترجم عنها فيه لغيره .

الثالثة : البيان الرسمي الخطي الذي ترسم به تلك الألفاظ، فيتبين للناظر معانيها كما يتبين للسامع معاني الألفاظ، فهذا بيان للعين وذلك بيان للسمع ، والأول بيان للقلب ، وكثيراً ما يجمع سبحانه بين هذه الثلاثة، كقوله : ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ (2) .

وقال – رحمه الله – في بيان كيفية تيسير الخطاب الدعوي للمدعوين : إن الله – سبحانه – أنزل الكتاب شفاء لما في الصدور ، وهدى ، ورحمة للمؤمنين ، ولذلك كانت معانيه أشرف المعاني ، وألفاظه أفصح الألفاظ ، وأبينها ، وأعظمها مطابقة لمعانيها المرادة منها ... ولهذا لا تجد كلاماً أحسن تفسيراً ، ولا أتم بياناً من كلام الله – سبحانه وتعالى – ولهذا سماه بياناً وأخبر أنه يسره للذكر . وتيسيره للذكر يتضمن أنواعاً من التيسير :

أحدها : تيسير ألفاظه للحفظ .

الثاني : تيسير معانيه للفهم .

الثالث : تيسير أوامره ونواهيه للامتثال .

ومعلوم أنه لو كان بألفاظ لا يفهمها المخاطب ، لم يكن ميسراً له ، بل كان معسراً عليه ، فهكذا إذا أريد من المخاطب أن يفهم من ألفاظه ما لا يدل عليه من المعاني ، و يدل على خلافه، فهذا من أشد التفسير (3) .

---

(1) سورة الرحمن ، الآية ١-٣ .

(2) بدائع التفسير ٣٢١/٤ ، ٣٢٢ ، والآية من سورة الإسراء ، الآية ٣٦.

(3) الصواعق المرسلة ٣٣٠/١ – ٣٣٢ .

فيجب أن يكون الخطاب الدعوي واضحاً لا غموض فيه ، ولا إيهام ، ومقياس الوضوح ليس نفس الداعي وفهمه ، فقد يكون الكلام واضحاً بالنسبة لـه، غامضاً بالنسبة إليهم ، فالمقياس هو أن يكون واضحاً عندهم ، وهذا هو الذي يشير إليه قوله تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ (1) فالبيان لهم ، لا للداعي ولا للكلام بذاته ، فعن عائشة – رحمها الله – قالت: كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً ، يفهمه كل من سمعه(2) .

فعلى الداعية أن يحرص على استعمال الألفاظ الشرعية المستعملة في القرآن والسنة ، وعند علماء المسلمين ؛ لأن هذه الألفاظ تكون محددة المعنى، واضحة المفهوم، خالية من أي معنى باطل قد يعلق في ذهن المدعو . وقد أشار القرآن الكريم إلى ضرورة هذا المنهج في الكلام، قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا**﴾(3) ؛ لأن كلمة (راعنا) (4) في لسان اليهود معنى باطلاً كانوا يقصدونه عند مخاطبتهم رسول الله ﷺ بهذه الكلمة، فأمر الله المسلمين أن يتركوها ويستعملوا كلمة (انظرنا) بدلاً منها؛ حتى لا يتحجج اليهود بهم، فيستعملوا كلمة (راعنا) يريدون الشتيمة والتنقيص (5).

وتميز أسلوب ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في مناظراته بوضوح ألفاظه ومعانيه ؛ إذ لا نكاد نجد الكلمات الغريبة التي لم يألفها

---

(1) سورة إبراهيم ، الآية ٤ .

(2) سنن أبي داود، كتاب الأدب (٣٥)، باب الهدي في الكلام (٢١)، ص٧٢٦ .

(3) سورة البقرة ، الآية ١٠٤.

(4) كان المسلمون يقصدون بها معنىً صحيحاً أي: راع أحوالنا، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسداً ، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة سدّاً لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائز إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب واستعمال الألفاظ، التي لا تحتمل إلا الحسن، وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة أو التي فيها تشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن.(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٦١).

(5) أصول الدعوة ، عبدالكريم زيدان ، ط٩، ١٤٢٠هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص٤٧١ .

الناس، كما أنه لم يلجأ إلى التراكيب التي يلفها الغموض؛ مراعاة لحال المخاطبين . وكان في أداء أفكاره بعيداً عن التعقيد المعنوي ؛ حيث إن الذهن ينتقل إلى المعنى بسهولة ؛ لأن الفكرة واضحة في ذهن الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله – . ولا شك أن لتمكن المعنى في ذهن الملقي الأثر الكبير في وضوحه في ذهن المتلقي ، يتضح ذلك في جل مناظراته ، مثل قوله – رحمه الله – : "ولقد ناظرت بعض علماء النصارى معظم يوم ، فلما تبين له الحق بهت ، فقلت له وأنا وهو خاليين : ما يمنعك الآن من اتباع الحق ؟ فقال لي : إذا قدمت على هؤلاء الحمير – هكذا لفظه - فرشوا لنا الشقاق تحت حوافر دابتي ، وحكموني في أموالهم ، ونسائهم ، ولم يعصوني فيما آمرهم به ، وأنا لا أعرف صنعة، ولا أحفظ قرآناً ، ولا نحواً ، ولا فقهاً ، فلو أسلمت لدرت في الأسواق أتكفف الناس، فمن الذي يطيب نفساً بهذا ؟ ! فقلت هذا لا يكون ، وكيف تظن بالله أنك إذا آثرت رضاه على هواك ، يخزيك ، ويذلك ، ويحوجك ؟ ! ولو فرضنا أن ذلك أصابك ، فما ظفرت به من الحق ، والنجاة من النار ومن سخط الله وغضبه ، فيه أتم العوض عما فاتك ، فقال: حتى يأذن الله ، فقلت: القدر لا يحتج به ، ولو كان القدر حجة ، لكان حجة لليهود على تكذيب المسيح ، وحجة للمشركين على تكذيب الرسل ، ولاسيما أنتم تكذبون بالقدر؛ فكيف تحتج به ؟! فقال: دعنا الآن من هذا وأمسك[1].

وقد يلحظ المتابع لمناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – أن ثمة ألفاظاً غير واضحة ، بل إننا قد نحتاج إلى الرجوع إلى المعجم لفهمها ، ولكنها قليلة جداً ، وهي إن وجدت في بعض المناظرات فإنها لا تحجب المعنى ؛ لأنها تفهم من خلال السياق .

- إخلاص العمل الدعوي لله – سبحانه وتعالى – رغبة في الله ، وإرادة لوجهه :

والإخلاص : هو تصفية العمل من كل شوب ، أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس : إما طلب التزين في قلوب الخلق ، وإما طلب مدحهم ، والهرب من ذمهم ، أو طلب تعظيمهم ، أو طلب أموالهم ، أو خدمتهم ومحبتهم ، وقضائهم حوائجه ، أو غير ذلك من

(1) هداية الحيارى ، ص٣٣٨ .

العلل والشوائب التي عَقْدُ متفرقاتها هو إرادة ما سوى الله بعمله ، كائناً ما كان [١].

ولا شك أنه يجب على الداعية المحتسب أن يخلص العمل لله – سبحانه - ؛ لأن أي غفلة عن الإخلاص ، قد تحول القصد وتفسد النية ، وتحبط العمل والأجر ، وقد أمر الله – سبحانه وتعالى – نبيه إبراهيم بالإخلاص بقوله تعالى : ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [٢] . قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : إن الله أمره بالإخلاص له والاستسلام والانقياد ، فأجاب إلى ذلك شرعاً وقدراً [٣].

وقد ذكر ابن قيم الجوزية – رحمه الله – أن ملاك دعوة الرسل – عليهم الصلاة والسلام – أربعة أمور : نية صحيحة وقوة غالبة ، يقارنهما رغبة ورهبة . فهذه الأربعة هي قواعد الدعوة إلى الله ، ومهما دخل على الداعية من النقص في إيمانه وأحواله وظاهره وباطنه فهو من نقصان هذه الأربعة أو نقصان بعضها .

فليتأمل الداعية هذه الأمور الأربعة ، وليجعلها سيرته وسلوكه ، ويبني عليها علومه وأعماله وأقواله وأحواله ، فما نتج من نتج إلا منها ، ولا تخلف من تخلف إلا من فقدها[٤] .

ولم تكن مناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – انتصاراً لذاته ، بل كان يصدع بالحق، معرضاً عن أغراض الدنيا ، نائياً عن السلاطين ، ولم يكن – رحمه الله – يتطلع لثناء حاكم أو محكوم ، بل إن المتابع لحياته ؛ يدرك أنه زهد في المناصب الدنيوية، مخلصاً عمله في سبيل الدعوة إلى الله وإعلاء كلمته ، وقد جاءت المناظرات وسيلة من وسائل إبلاغ كلمة الحق، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة، والمساهمة في نشرها بين الناس .

- استواء أحوال الداعية في دينه ، واعتدال أقواله وأفعاله :

---

(1) مدارج السالكين ٣١٥/٢ .

(2) سورة البقرة ، الآية ١٣١ .

(3) تفسير ابن كثير ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، دار السلام ، الرياض ، ص١٢٨ .

(4) رسالة ابن قيم الجوزية إلى أحد إخوانه (بتصرف)، ص٥٤ .

يجب على الداعية أن يكون عدلاً في أقواله وأفعاله "وتكون العدالة بالاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور في دينه" [1] .

والآيات القرآنية التي تأمر بذلك ، أو تشير إليه كثيرة ، منها : قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** [2] قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية : أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، بل استعملوا العدل في كل أحد صديقاً كان أو عدوّاً [3] .

ومن علامات الإنصاف: قبول ما يظهره الخصم من الحق والفرح به وإذاعة ذلك وإشاعته [4] .

وقد كان ذلك نهج ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في مناظراته ، فكان هدفه – رحمه الله – إحقاق الحق . ومن ذلك قوله - رحمه الله - في مناظرته حول النظر في شرعية وقوع طلاق الثلاث : "ونحن نناظركم فيما طعنتم به تلك الأدلة ، وفيما عارضتمونا به على أنا لا نحكم على أنفسنا إلا نصّاً عن الله ، أو نصّاً ثابتاً عن رسول الله ﷺ أو إجماعاً متيقناً لا شك فيه ، وما عدا هذا فعرضة للنزاع ، وغايته أن يكون سائغ الاتباع لا لازمه [5] .

وقوله – رحمه الله – في موضع آخر : وأما استدلالكم بحديث عائشة – رضي الله عنها - : أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً، فتزوجت ، فسئل رسول الله ﷺ : هل تحل للأول ؟ قال : "لا ، حتى تذوق العسيلة" [6] فهذا لا ننازعكم فيه ، نعم هو حجة على من اكتفى بمجرد عقد الثاني

---

(1) التعريفات ، الجرجاني ، ص١٤٧ .

(2) سورة المائدة ، الآية ٨ .

(3) تفسير ابن كثير ، ص٤٠٦ .

(4) منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ، عثمان حسن ، ج٢ ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ، دار = إشبيليا ، المملكة العربية السعودية ، ص٧٦٠ .

(5) جامع الفقه ٥١٧/٥ .

(6) سبق تخريجه .

الثاني ، ولكن أين في الحديث أنه طلق الثلاث بفم واحد ، بل الحديث حجة لنا ؛ فإنه لا يقال : فعل ذلك ثلاثاً ، وقال ثلاثاً إلا من فعل وقال مرة بعد مرة ، هذا هو المعقول في لغات الأمم عربهم وعجمهم كما يقال : قذفه ثلاثاً، شتمه ثلاثاً ، وسلم عليه ثلاثاً [1] .

ولقد نصح ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في قصيدته النونية المجادل بالتزام الإنصاف بقوله :

وتحل بالإنصاف أفخر حلة زينت بها الأعطاف والكتفان
واجعل شعارك خشية الرحمن نصح الرسول فحبذا الأمران
وتمسكن بحبله وبوحيه وتوكلن حقيقة التكلان
فالحق وصف الرب وهو هادي إليه لصاحب الإيمان [2]

ولا يختلف عاقلان على أن الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله – قد حقق ذلك في سيرته ، فقد تصدى للمناظرين وجاهد في سبيل ربه من خلال الكلمة بلسان رطب من ذكر الله ، مدركاً لما عليه من حقوق تجاه خالقه .

- ضرورة امتلاك الداعية القدرة على الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى - :

إن من قواعد الشريعة العامة هي : عدم تكليف المسلم ما لا يطيق ، وهذا من سماحة الدين الإسلامي وعظمته وواقعيته في مراعاة ظروف الناس وأحوالهم. قال تعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلا وُسْعَهَا** ﴾ [3] قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : أي لا يكلف أحداً فوق طاقته ، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم [4] . وقال تعالى : ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [5] وقال ﷺ : "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما

---

(1) جامع الفقه ٥١٩/٥ .
(2) شرح قصيدة الإمام ابن قيم الجوزية ١٢٤/١ .
(3) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ .
(4) تفسير ابن كثير ، ص٢٢٦ .
(5) سورة التغابن ، الآية ١٦ .

استطعتم وإذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه" [1] فهذه نصوص صريحة الدلالة في أن الإنسان لا يفعل أمراً فوق طاقته وأن الشرع لا يأمره بذلك [2].

وضابط الاستطاعة ليس لـه ميزان دقيق ؛ فالأشخاص يختلفون، فهذا يقدر على أمور لا يستطيعها شخص آخر ، وهذا قد أعطاه الله قوة في العلم والجسم ، وآخر قد فقدهما أو أحدهما ، فالضابط الحقيقي متروك لضمير الشخص نفسه، ولكن مع ذلك ينبغي أن يكون هناك حد أدنى يقف عنده الناس؛ حتى لا يكون مبدأ عدم القدرة وسيلة لترك الأمر والنهي، فهناك أمور يجب ألا تصد الناس عن الأمر والنهي [3] . فالواجب إذاً طلب الحق ، وبذل الاجتهاد في الوصول إليه بحسب الإمكان ؛ لأن الله – سبحانه – أوجب على الخلق تقواه بحسب الاستطاعة ، وتقواه : فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، فلابد أن يعرف العبد ما أمر به؛ ليفعله ، وما نهى عنه؛ ليجتنبه ، وما أبيح لـه؛ ليأتيه ، ومعرفة هذا لا تكون إلا بنوع اجتهاد وطلب وتحر للحق ، فإذا لم يأت بذلك؛ فهو في عهدة الأمر ، ويلقى الله ولما يقض ما أمره [4] .

ويقرر ذلك – رحمه الله – في مقدمة مناظرته مع اليهود والنصارى بقولـه : "ومن بعض حقوق الله على عبده رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه، ومجاهدتهم بالحجة والبيان والسيف والسنان والقلب والجنان ، وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان"[5].

وقد اتضح لنا من دراسة مناظرات ابن قيم الجوزية - رحمه الله - مدى ما يتمتع به من علم أهله للتصدي للمناظرين والدعوة إلى سبيل الله على بصيرة ، بل إنه قد وُهب – رحمه الله – البديهة الحاضرة ؛ مما أهله

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، ج٤ ، حديث ٧٢٨٨، ص٣٦١ .

(2) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة ، عبدالعزيز المسعود، ج١، ط٢ ، ١٤١٤هـ ، دار الوطن ، الرياض ، ص١٨٧ .

(3) المرجع نفسه ، ص٥٠٧ .

(4) إعلام الموقعين ١٩٧/٢ .

(5) هداية الحيارى ، ص٦٤ .

لإسكات مناظريه بالحجة القاطعة التي كثيراً ما ألجمت الخصم ، وكان واعياً للواجبات المنوطة به ، وما يترتب على سلوكه بوصفه داعية لدين الله الحق ؛ لذلك لم يكن مكابراً متعالياً على خصومه ، عاجزاً عن جدالهم ، ومن بعض أقواله في ذلك – رحمه الله – : "انتهى إلينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض المسلمين فلم يصادف عنده ما يشفيه، ولا وقع دواؤه على الداء الذي فيه ، وظن المسلم أنه بضربة يداويه ، فسطا به ضرباً وقال هذا هو الجواب ! فقال الكافر : صدق أصحابنا في قولهم : إن دين الإسلام إنما قام بالسيف لا بالكتاب ! فتفرقا وهذا ضارب وهذا مضروب ، وضاعت الحجة بين الطالب والمطلوب ، فشمر المجيب ساعد العزم ، ونهض على ساق الجد وقام لله قيام مستعين به ، مفوض إليه، متكل عليه في موافقة مرضاته ، ولم يقل مقالة العجزة الجهال: إن الكفار إنما يعاملون بالجلاد دون الجدال ، وهذا فرار من الزحف ، وإخلاد إلى العجز والضعف ، وقد أمر الله بمجادلة الكفار بعد دعوتهم إقامة للحجة وإزاحة للعذر ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾ (1) والسيف إنما جاء منفذاً للحجة ، مقوماً للمعاند ، وحدّاً للجاحد (2) .

---

(1) سورة الأنفال ، الآية ٤٢ .

(2) هداية الحيارى ، ص٦٤ .

المبحث الثاني

الدروس الدعوية المتعلقة بآداب المناظرة

حقيقة الأدب :

قبل أن نتناول الدروس الدعوية المتعلقة بآدب المناظرة ، يجدر بنا أن نمهد لذلك بمعرفة حقيقة الأدب ، وأنواعه ، وحدوده .

حقيقة الأدب : استعمال الخلق الجميل ؛ ولهذا كان الأدب استخراج ما في الطبيعة من الكمال من القوة إلى الفعل ؛ فإن الله - سبحانه – هيأ الإنسان لقبول الكمال بما أعطاه من الأهلية والاستعداد التي جعلها فيه كامنة كالنار في الزناد ، فألهمه ومكّنه ، وعرفه وأرشده ، وأرسل إليه رسله ، وأنزل إليه كتبه لاستخراج تلك القوة التي أهَّله بها لكماله إلى الفعل . قال الله – تعالى - : ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (١) ، فعبر عن خلق النفس بالتسوية، والدلالة على الاعتدال والتمام ، ثم أخبر عن قبولها للفجور والتقوى وأن ذلك نالها امتحاناً واختباراً ، ثم خص بالفلاح من زكاها؛ فنماها، وعلاها ، ورفعها بآدابه التي أدب بها رسله وأنبياءه وأولياءه ، وهي التقوى ، ثم حكم بالشقاء على من دساها ، فَأخفاها وحقرها ، وصغرها ، وقمعها بالفجور (٢) .

أنواع الأدب : للأدب ثلاثة أنواع :

١ – أدب مع الله – سبحانه وتعالى - .
٢ – أدب مع رسوله ﷺ وشرعه .
٣ – أدب مع خلقه .

والأدب مع الله – سبحانه وتعالى – ثلاثة أنواع :

أحدها : صيانة معاملته أن يشوبها بنقيصة .

الثاني : صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره .

الثالث : صيانة إرادته أن تتعلق بما يمقتك عليه (٣) .

الأدب مع الرسول ﷺ : القرآن مملوء به ، فرأس الأدب معه كمال التسليم له والانقياد لأمره ، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولاً ، أو يحمله شبهة أو شكاً ، أو يقدم

---

(1) سورة الشمس ، الآية ٧-١٠.
(2) مدارج السالكين ١٩٦/٣-١٩٧ .
(3) مدارج السالكين ١٨٧/٣ .

عليه آراء الرجال ، وزبالات أذهانهم ، فيوحده بالتحكيم والتسليم ، والانقياد والإذعان ، كما وحَّد المرسِلَ – سبحانه وتعالى – بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل [١] .

والأدب مع الخلق : معاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم ، فلكل مرتبة أدب ، والمراتب فيها أدب خاص ؛ فمع الوالدين أدب خاص، وللأدب منهما أدب هو أخص به ، ومع العالم أدب آخر ، ومع السلطان أدب يليق به ، وله مع الأقران أدب يليق بهم ، ومع الأجانب أدب غير أدبه مع أصحابه ذوي أنسه ، ومع الضيف أدب غير أدبه مع أهل بيته .

ولكل حال أدب ؛ فللأكل آداب ، وللشرب آداب ، وللركوب والدخول والخروج والسفر والإقامة وللنوم آداب ، وللبول آداب ، وللكلام آداب ، وللسكوت والاستماع آداب . وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه ، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره ، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب [٢] .

حدود الأدب :

حد الأدب : هو حفظ الحد ، بين الغلو والجفاء بمعرفة ضرر العدوان .

وهذا من أحسن الحدود ؛ فإن الانحراف إلى أحد طرفي الغلو والجفاء هو قلّة الأدب.

والأدب : الوقوف في الوسط بين الطرفين فلا يقصر بحدود الشرع عن تمامها ، ولا يتجاوز بها ما جعلت حدوداً له ، فكلاهما عدوان ، والله لا يحب المعتدين .

والعدوان : هو سوء الأدب . فإضاعة الأدب بالجفاء كمن لم يكمل أعضاء الوضوء ، ولم يوف الصلاة آدابها التي سنَّها رسول الله ﷺ وفعلها . وإضاعته بالغلو كالوسوسة في عقد النية ، ورفع الصوت بها ، والجهر بالأذكار والدعوات التي شرعت سرّاً [٣] .

ومثال ذلك : التوسط في حق الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – أن

---

(1) المصدر نفسه ٣/٢٠٤ .

(2) المصدر نفسه ٣/٢٠٩ .

(3) مدارج السالكين ٣/٢١١ ، ٢١٢ .

لا يغلو فيهم ، كما غلت النصارى في المسيح ، ولا يجفو عنهم ، كما جفت اليهود ، فالنصارى عبدوهم ، واليهود قتلوهم وكذبوهم ، والأمة الوسط آمنوا بهم وعزروهم ونصروهم ، واتبعوا ما جاءوا به .

ومن حقوق الخلق أيضاً : أن لا يفرط في القيام بحقوقهم ، ولا يستغرق فيها ، بحيث يشتغل بها عن حقوق الله ، أو عن تكميلها ، أو عن مصلحة دينه وقلبه ، وأن لا يجفو عنها حتى يعطلها بالكلية ؛ فإن الطرفين من العدوان الضار . وعلى هذا الحد ، فحقيقة الأدب : هي العدل [١] .

ومن أهم الدروس الدعوية المتعلقة بآداب المناظرة التي يمكن أن نستنتجها من مناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – :

١ – الموعظة المشتملة على الترغيب والترهيب :

لا شك أن الدعوة إلى دين الله تقتضي مقصوداً مراداً ووسيلة موصلة إلى هذا المقصود ، ومقصود الداعية ، الدعوة إلى عبادة الله – سبحانه وتعالى – ومن الوسائل والطرق الموصلة إلى الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – الموعظة .

والموعظة من العظة وهي : الأمر والنهي ، المعروف بالترغيب والترهيب. والعظة نوعان : عظة بالمسموع ، وعظة بالمشهود .

العظة بالمسموع هي : الانتفاع بما يسمعه من الهدى والرشد والنصائح التي جاءت على لسان الرسل وما أوحي إليهم ، وكذلك الانتفاع بالعظة من كل ناصح ومرشد في مصالح الدين والدنيا .

والعظة بالمشهود : الانتفاع بما يراه ويشهده في العالم من مواقع العبر ، وأحكام القدر ومجاريه ، وما يشاهده من آيات الله الدالة على صدق رسله [٢] .

ومن مواعظ ابن قيم الجوزية – رحمه الله – المشتملة على الترغيب والترهيب : الحث على عدم اليأس من روح الله والترهيب من الشرك به ، نجد ذلك في رده على من قال : "نرى في دينكم أكثر الفواحش فيمن هو أعلم وأفقه في دينكم ، كالزنا ، واللواط ، والخيانة ،

---

(1) المصدر نفسه ٢١٣/٣ .

(2) المصدر السابق ٢٣/٢ .

والحسد ، والبخل ، والغدر ، والتجبر ، والتكبر ، والخيلاء ، وقلة الورع واليقين ، وقلة الرحمة والمروءة والحمية ، وكثرة الهلع ، والتكالب على الدنيا ، والكسل في الخيرات وهذا الحال يكذب لسان المقال" [(١)] حيث كانت إجابته – رحمه الله – في عدة وجوه ، منها قوله : "إن الذنوب تغفر بالتوبة النصوح ، فلو بلغت ذنوب العبد عنان السماء ، وعدد الرمل والحصا ، ثم تاب منها ؛ تاب الله عليه ، قال تعالى : ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [(٢)] فهذا في حق التائب ؛ فإن التوبة تجب ما قبلها ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والتوحيد يكفر الذنوب ، كما في الحديث الصحيح الإلهي : "ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة" [(٣)] ، فالمسلمون ذنوبهم ذنوب موحد ، إن قوي التوحيد على محو آثارها بالكلية ، وإلا فما معهم من التوحيد يخرجهم من النار إذا عذبوا بذنوبهم . وأما المشركون والكفار ؛ فإن شركهم وكفرهم يحبط حسناتهم ، فلا يلقون ربهم بحسنة يرجون بها النجاة، ولا يغفر لهم شيء من ذنوبهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [(٤)] وقال تعالى في حق الكفار والمشركين : ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً**﴾ [(٥)] وقال رسول الله ﷺ : "أبى الله أن يقبل من مشرك عملاً " [(٦)] ، فالذنوب تزول آثارها بالتوبة النصوح ، والتوحيد

---

(1) هداية الحيارى، ص٣٦٣ ، ٣٦٤ .

(2) سورة الزمر ، الآية ٥٣ .

(3) سنن الترمذي، كتابا لدعوات ، باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده (٩٩) رقم الحديث (٣٥٤٠) حكم على أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، أعتنى به أبوعبيدة آل سلمان، ط١، د.ت، مكتبة المعارف، الرياض، ص٨٠٤ (حديث حسن) .

(4) سورة النساء ، الآية ٤٨، ١١٦ .

(5) سورة الفرقان ، الآية ٢٣ .

(6) سنن ابن ماجه ، كتاب الحدود (٢٠) باب المرتد عن دينه رقم (٢٥٣٦) حكم على أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، حققه ، علي بن حسن الحلبي الأثري، ج٣، ط١، ١٤١٩هـ ، مكتبة المعارف الرياض، ص٦ (حديث حسن).

الخالص ، والحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة لها ، وشفاعة الشافعين في الموحدين ، وآخر ذلك إذا عذب بما يبقى عليه منها ؛ أخرجه توحيده من النار ، وأما الشرك بالله والكفر بالرسول ؛ فإنه يحبط جميع الحسنات بحيث لا تبقى معه حسنة " [١] .

وقد تأتي العظة في مناظرات ابن قيم الجوزية لغير المسلمين ، حيث نجده في مناظرته أحد علماء النصارى يدعوه إلى الحق ، والنجاة من النار ومن سخط الله وغضبه ، إذ يقول : "ولقد ناظرت بعض علماء النصارى معظم يوم ، فلما تبين له الحق بهت ، فقلت له وأنا وهو خاليين : ما يمنعك الآن من اتباع الحق ؟ فقال لي : إذا قدمت على هؤلاء الحمير – هكذا لفظه – فرشوا لنا الشقاق تحت حوافر دابتي ، وحكموني في أموالهم ، ونسائهم ، ولم يعصوني فيما آمرهم به ، وأنا لا أعرف صنعة ، ولا أحفظ قرآناً ، ولا نحواً ، ولا فقهاً ، فلو أسلمت لدرت في الأسواق أتكفف الناس ، فمن الذي يطيب نفساً بهذا ؟ فقلت هذا لا يكون ، وكيف تظن بالله أنك إذا آثرت رضاه على هواك ، يخزيك ، ويذلك ، ويحوجك ؟ ولو فرضنا أن ذلك أصابك ، فما ظفرت به من الحق ، والنجاة من النار ، ومن سخط الله ، وغضبه ، فيه أتم العوض عما فاتك ، فقال حتى يأذن الله ، فقلت القدر لا يحتج به ، ولو كان القدر حجة ، لكان حجة لليهود ، على تكذيب المسيح ، وحجة للمشركين على تكذيب الرسل ، ولاسيما أنتم تكذبون بالقدر فكيف تحتج به ؟ فقال دعنا الآن من هذا وأمسك [٢] .

ولقد قيد الله – سبحانه وتعالى – الموعظة بوصف الإحسان ، بقوله تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[٣]؛ إذ ليس كل موعظة حسنة ، وكذلك الجدال قد يكون بالتي هي أحسن وقد يكون بغير ذلك وهذا يحتمل أن يرجع إلى حال المجادل وغلظته ، ولينه وحدته ورفقه ؛ فيكون مأموراً بمجادلتهم بالحال التي هي أحسن ويحتمل أن يكون صفة لما يجادل به من الحجج

---

(1) هداية الحيارى ، ص٣٦٤-٣٦٧ .

(2) المصدر السابق ، ص٣٣٨ .

(3) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

والبراهين ، والكلمات التي هي أحسن شيء وأبينه ، وأدله على المقصود ، وأوصله إلى المطلوب[١]. فنجده في خطابه لليهود، قد اتخذ أسلوب الشدة في بعض المواقف كقوله – رحمه الله – : أفلا يستحي عباد الكباش والبقر من تعيير الموحدين بذنوبهم ؟ أو لا تستحي ذرية قتلة الأنبياء من تعيير المجاهدين لأعداء الله ؟ فأين ذرية من سيوف آبائهم تقطر من دماء الأنبياء ، ممن تقطر سيوفهم من دماء الكفار والمشركين ؟ ! [٢] .

وكذلك تظهر حدته – رحمه الله – في بعض ردوده كما جاء في مناظرته حول بيان دلالة أدلة الكتاب والسنة اللفظية ومشروعيتها، إذ يقول: "إذا كان أعقل خلق الله على الإطلاق إنما حصل له الهدى بالوحي ، كما قال تعالى : ﴿**قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي**﴾ [٣] ؛ فكيف يحصل لسفهاء العقول وأخفاء الأحلام ، وفراش الألباب ، الاهتداء إلى حقائق الإيمان بمجرد عقولهم دون نصوص الأنبياء [٤] .

٢ – النصح والإخلاص من خلال تفنيد الضلالة بهدوء وطمأنينة وصبر ، كي يتجلى الحق .

إن من أهم الأسباب الدعوية المؤثرة : النصح والإخلاص للمدعو ، وقد كان ذلك من سمات أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام – مع أقوامهم ، وقد ورد في القرآن الكريم شواهد على ذلك، منها قول نبي الله هود – عليه الصلاة والسلام – مجيباً قومه :

﴿**يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾[٥] ، وذلك بعد أن قالوا: ﴿**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [٦] .

وللداعية الراغب في مرضاة الله القدوة الحسنة فيمن لا يرجون

---

(1) مدارج السالكين ٢٦/٢ .
(2) هداية الحيارى ، ص٣٧٠ .
(3) سورة سبأ ، الآية ٥٠ .
(4) الصواعق المرسلة ٧٣٤/٢ ، ٧٣٥ .
(5) سورة الأعراف ، الآية ٦٧، ٦٨ .
(6) سورة الأعراف ، الآية ٦٦ .

جزاءً ولا شكوراً من أنبيائه – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - .

وقد ظهر اقتداء ابن قيم الجوزية – رحمه الله – بالأنبياء في نصحهم وإخلاصهم في جلِّ مناظراته ومنها ، مناظرته مع المقلدة في مناقشة آراء المقلدين لأئمة المبتدعة ، حيث يقول : "فنحن نناشدكم الله الذي هو عند لسان كل قائل وقلبه ، وإذا قضى الله ورسوله أمراً خفي على من قلدتموه هل تبقى لكم الخيرة بين قبول قوله ورده ؛ أم تنقطع خيرتكم وتوجبون العمل بما قضاه الله ورسوله عيناً لا يجوز سواه ؟ فأعدوا لهذا السؤال جواباً ، وللجواب جواباً ؛ فإن السؤال واقع ، والجواب لازم ، والمقصود أن هذا هو الذي منعنا من التقليد ، فأين معكم حجة واحدة تقطع العذر ، وتسوغ لكم ما ارتضيتموه لأنفسكم من التقليد ؟ [1] .

وكذلك في حواره مع المقلدة في مناظرته حول تقديم آراء الرسول ﷺ على آراء الناس وعقولهم ، حيث يقول : "ولقد خاطبت يوماً بعض أكابر هؤلاء ، فقلت له : سألتك بالله ، لو قدر أن الرسول ﷺ حي بين أظهرنا ، وقد واجهنا بكلامه وبخطابه، أكان فرضاً علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه ، أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم ، فقال : بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه ، فقلت : فما الذي نسخ هذا الفرض ؟ وبأي شيء نسخ ؟ فوضع إصبعه على فيه وبقي باهتاً متحيراً ، وما نطق بكلمة [2] .

وقد يأتي النصح لغير المسلمين ، حيث نجده في مناظرته أحد علماء النصارى يدعوه إلى الحق والنجاة من النار ومن سخط الله وغضبه ، إذ يقول : "فقلت هذا لا يكون ، وكيف تظن بالله أنك إذا آثرت رضاه على هواك ، يخزيك ، ويذلك ، ويحوجك ؟ ولو فرضنا أن ذلك أصابك ، فما ظفرت به من الحق ، والنجاة من النار ، ومن سخط الله وغضبه ، فيه أتم العوض عما فاتك ..." [3] .

---

(1) إعلام الموقعين ٢٣١/٢ .

(2) مدارج السالكين ٢٠٥/٣ .

(3) هداية الحيارى ، ص٣٣٨ .

٣ – تحلي الداعية بالعدالة ، وعدم التعصب لوجهة نظره ، وإعلانه الاستعداد للبحث عن الحق من خلال الدليل ، والأخذ به عند ظهور الحجة وإن كان مخالفاً لرأيه:

إن من العدالة والإنصاف التزام الداعية بالعدل والأدب في الجدال حتى مع غير المسلمين ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ * قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ (١) قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية : "يقول الله تعالى مقرراً تفرده بالخلق والرزق وانفراده بالإلهية أيضاً، فكما كانوا يعترفون بأنهم لا يرزقهم من السماء والأرض ؛ أي بما ينزل من المطر وينبت من الزرع إلا الله ، فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره . وقوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ** ﴾ هذا من باب اللف والنشر، أي واحد من الفريقين مبطل ، والآخر محق لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال ، بل واحد منا مصيب ، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى"(٢) .

وهذا غاية النصفة والاعتدال والأدب في الجدال ، أن يقول القرآن على لسان رسول الله ﷺ للمشركين : إن أحدنا لابد أن يكون على الهدى والآخر لابد أن يكون على ضلال ، ثم يدع القرآن تحديد المهتدي منهما والضال ؛ ليثير التفكر والتدبر في هدوء لا يعلوه جدل الكلمات الباطلة أو العناد المهلك ، ليفتح القلوب نحو الرجوع إلى الحجة بغير خزي أو جراح من إحراج أو غير ذلك (٣) .

ولقد كان ذلك منهجاً عامّاً لمناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – ومثال ذلك قوله في مناظرته حول النظر في شرعية وقوع طلاق الثلاث بكلمة واحدة : "التحاكم في هذه المسألة وغيرها إلى من أقسم الله – سبحانه وتعالى – أصدق قسم ، وأبره ، أنا لا نؤمن حتى نحكمه فيما شجر بيننا ، ثم نرضى بحكمه ، ولا يلحقنا فيه حرج ، ونسلم له تسليماً لا

---

(1) سورة سبأ ، الآية ٢٤-٢٥ .

(2) تفسير ابن كثير ، ص١٠٩٥ .

(3) الدعوة إلى الله ، الرسالة ، الوسيلة ، الهدف ، ص٣٠٤ .

إلى غيره كائناً من كان ، اللهم إلا أن تُجمع أمته إجماعاً متيقناً لا نشك فيه على حكم ، فهو الحق الذي لا يجوز خلافه ، ويأبى الله أن تجتمع الأمة على خلاف سنة ثابتة عنه أبداً ، ونحن قد أوجدناكم من الأدلة ما تثبت المسألة به ، بل وبدونه ، ونحن نناظركم فيما طعنتم به في تلك الأدلة ، وفيما عارضتمونا به على أنا لا نحكم على أنفسنا إلا نصّاً عن الله ، أو نصّاً ثابتاً عن رسول الله ﷺ ، أو إجماعاً متيقناً لا شك فيه ، وما عدا هذا فعرضة للنزاع ، وغايته أن يكون سائغ الاتباع، لا لازمه ، فلتكن هذه المقدمة سلفاً لنا عندكم ، وقد قال تعالى : ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [١] فقد تنازعنا نحن وأنتم في هذه المسألة ، فلا سبيل إلى ردها إلى غير الله ورسوله البتة [٢] .

وقد ذم ابن قيم الجوزية – رحمه الله – التعصب في الرأي دون وجه حق، حينما ناظر المقلدة ، محاوراً من قلد بقوله : "بأي شيء عرفت أن الصواب مع من قلدته دون من لا تقلده ؟ فإن قال : عرفته بالدليل؛ فليس بمقلد ، وإن قال : عرفته تقليداً له ؛ فإنه أفتى بهذا القول ودان به ، وعلمه ودينه وحسن ثناء الأمة عليه يمنعه أن يقول غير الحق قيل له : أفمعصوم هو عندك أم يجوز عليه الخطأ ؟ فإن قال بعصمته، أبطل ، وإن جوز عليه الخطأ، قيل له : فما يؤمنك أن يكون قد أخطأ فيما قلدته فيه وخالف فيه غيره ؟ فإن قال : وإن أخطأ فهو مأجور ، قيل : أجل هو مأجور؛ لاجتهاده ، وأنت غير مأجور؛ لأنك لم تأت بموجب الأجر ، بل قد فرطت في الاتباع الواجب، فأنت إذاً مأزور . فإن قال كيف يأجره الله على ما أفتى به ويمدحه عليه ويذم المستفتي على قبوله منه ؟ وهل يعقل هذا ؟ قيل له : المستفتي إن هو قصر وفرط في معرفته الحق مع قدرته عليه؛ لحقه الذم والوعيد ، وإن بذل جهده ولم يقصر فيما أمر به واتقى الله ما استطاع؛ فهو مأجور أيضاً ، وأما المتعصب الذي جعل قول متبوعه عياراً على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة . يزنها به فما وافق قول متبوعه منها؛ قبله، وما خالفه؛ رده ، فهذا إلى الذم والعقاب أقرب منه إلى الأجر والصواب . وإن قال وهو الواقع : اتبعته وقلدته ولا أدري أعلى

---

(1) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

(2) جامع الفقه ٥١٧/٥ ، ٥١٨ .

صواب هو أم لا ، فالعهدة على القائل ، وأنا حاك لأقواله ، قيل لـه : فهل تتخلص لهذا من الله عند السؤال لك عما حكمت به بين عباد الله وأفتيتهم به ، فوالله إن للحكام والمفتين لموقفاً للسؤال لا يتخلص فيه إلا من عرف الحق وحكم به وأفتى به ، وأما من عداهما فسيعلم عند انكشاف الحال أنه لم يكن على شيء [١] .

وركز ابن قيم الجوزية – رحمه الله – على الحجة التي توجب قبول الرأي ، منصفاً مناظريه بمثل قوله مخاطباً المقلدة : "قولكم : وقد جعل الله – سبحانه – في فطر العباد تقليد المتعلمين للمعلمين والأستاذين في جميع الصنائع والعلوم إلى آخره . فجوابه أن هذا حق لا ينكره عاقل ، ولكن كيف يستلزم ذلك صحة التقليد في دين الله . وقبول قول المتبوع بغير حجة توجب قبول قوله ، وتقديم قوله على قول من هو أعلم منه ، وترك الحجة لقوله ، وترك أقوال أهل العلم جميعاً من السلف والخلف لقوله ؟ فهل جعل الله ذلك في فطرة أحد من العالمين ؟ ثم يقال : بل الذي فطر الله عليه عباده طلب الحجة والدليل المثبت لقول المدعي ، فركز سبحانه في فطر الناس أنهم لا يقبلون قول من لم يقم الدليل على صحة قوله ، ولأجل ذلك أقام الله – سبحانه – البراهين القاطعة والحجج الساطعة والأدلة الظاهرة والآيات الباهرة على صدق رسله ، إقامة للحجة وقطعاً للمعذرة ، هذا وهم أصدق خلقه وأعلمهم وأبرهم وأكملهم ، فأتوا بالآيات والحجج والبراهين مع اعتراف أممهم لهم بأنهم أصدق الناس ، فكيف يقبل قول من عداهم بغير حجة توجب قبول قوله ؟ والله تعالى إنما أوجب قبول قولهم بعد قيام الحجة وظهور الآيات المستلزمة لصحة دعواهم ؛ لما جعل الله في فطر عباده من الانقياد للحجة ، وقبول قول صاحبها ، وهذا أمر مشترك بين جميع أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم الانقياد للحجة وتعظيم صاحبها ، وإن خالفوه عناداً وبغياً فلفوات أغراضهم بالانقياد ؛ ففطرة الله وشرعه من أكبر الحجج على فرقة التقليد [٢] .

٤ – تجنب اتباع الهوى والشهوات :

---

(1) إعلام الموقعين ١٩٨/٢ ، ١٩٩ .

(2) المصدر نفسه ٣٢٣/٢ .

لقد وجه ابن قيم الجوزية – رحمه الله – الداعية إلى تجنب اتباع الهوى والشهوات أثناء اطلاعه على أسرار المناظرات ، وتقرير الحجج من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** ﴾ (1) . فهذه حجة من الله احتج بها على أهل الكتاب ؛ فإنه كان قد أخذ عليهم الميثاق أن لا يقتل بعضهم بعضاً ، ولا يجليه عن دياره ، وأن يفدي بعضهم بعضاً من الأسر ، فهذه ثلاث عهود خالفوا منها عهدين ، وأخذوا بالثالث ، فقتل بعضهم بعضاً ، وأخرجه من دياره، ثم فادوا أسراهم ؛ لأن الله أمرهم بذلك ؛ فإن كنتم قد فاديتم الأسارى ؛ لأن الله أمركم بفدائهم ، فلِمَ قتلتم بعضكم بعضاً ، وأخرجتموهم من ديارهم ، والله قد نهاكم عن ذلك ؟ والأخذ ببعض الكتاب يوجب عليكم الأخذ بجميعه ، فكيف تكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض ؟ ﴿ **فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾(2).

وهذا الاحتجاج مفحم للخصم لا جواب له عنه البته ؛ فإن الأخذ ببعض الكتاب يوجب الأخذ بجميعه ، والتزام بعض شرائعه ، يوجب التزام جميعها ، ولا يجوز أن تكون الشرائع تابعة للشهوات ، إذ لو كان الشرع تابعاً للهوى والشهوة لكان في الطباع ما يغني عنه وكانت شهوة كل أحد وهواه شرعاً له (3) قال تعالى : ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ** ﴾ (4) .

ويقرر ذلك ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في مناظرته حول مناقشة الشرعية في آراء المقلدين لأئمة المبتدعة الذين جعلوا الدين تابعاً

---

(1) سورة البقرة ، الآية ٨٤- ٨٥ .

(2) سورة البقرة ، الآية ٨٥ .

(3) بدائع الفوائد ١٥٦١/٤، ١٥٦٢ .

(4) سورة المؤمنون ، الآية ٧١.

للتشهي والأغراض وعرضة للاضطراب والاختلاف ، حيث يقول – رحمه الله – في الوجه الثمانين من ردوده على مبتدعة المقلدة : "ما الذي جعل متبوعكم أولى بالتقليد من متبوع الفرقة الأخرى؟ بأي كتاب أم بأي سنة ؟ وهل تقطعت الأمة أمرها بينها زبراً وصار كل حزب بما لديهم فرحون إلا بهذا السبب ؟ فكل طائفة تدعو إلى متبوعها وتنأى عن غيره وتنهى عنه ، وذلك مفضٍ إلى التفريق بين الأمة ، وجعل دين الله تابعاً للتشهي والأغراض، وعرضة للاضطراب والاختلاف ، وهذا كله يدل على أن التقليد ليس من عند الله؛ للاختلاف الكثير الذي فيه ، ويكفي في فساد هذا المذهب تناقض أصحابه ومعارضة أقوالهم بعضها ببعض [(١)] .

ومن ما سبق نجد أن أول ما يجب على الداعية إلى الله – سبحانه وتعالى – بشكل عام والمناظر بشكل خاص أن يدرك ويتيقن أن لكل داء دواء ، فلا يقف أمام أي معضلة دعوية ، إلا وجد لها دواءً من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسيرة الصحابة – رضوان الله عليهم – ومن تبعهم بإحسان ، وهذا يعم أدواء القلب والروح والبدن وأدويتها ، فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال : "ما أنزل داء إلا أنزل الله له شفاء " [(٢)] وعن جابر بن عبدالله ﵁ قال رسول الله ﷺ : "لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله" [(٣)] .

فعليه أن يعلم أن من أخص خصائص الداعية المناظر تخلقه بأعلى مقامات الأدب والسجايا الفاضلة من حسن المخاطبة ، والصبر والحِلم والعفو ، والإنصاف والعدل ، والبعد عن الهوى والشهوات ، وغير ذلك مما يجعله عند مباشرة المناظرة أملك الناس لجماح نفسه أن يثيرها سوء أخلاق الخصم ، فيخرج عن مقام الثبات والرسوخ ، فيتشتت فكره ، ويذهل عقله ، فلا يعي ما يقول ، ولا يضبط ما يسمع ؛ فتكون فرصة لخصمه أن يظهر عليه ، ويحقق مراده في إعلاء الباطل ودحض الحق .

---

(1) إعلام الموقعين ٢٣٣/٢ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الطب (٧٦) باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (١)، ج٧، ص١٢ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب السلام رقم (٣٩) باب لكل داء دواء ، واستحباب التداوي (٢٦) ، رقم الحديث (٢٢٠٤)، ص١٧٢٩ .

المبحث الثالث

الدروس الدعوية المتعلقة بموضوعات المناظرة

وطرق الاستدلال عليها

تمهيد :

سيكون الحديث في هذا المبحث عن الدروس الدعوية المتعلقة بموضوعات المناظرة عند ابن قيم الجوزية – رحمه الله – وطرق الاستدلال عليها .

ولأن موضوع المناظرة جزء من موضوع الدعوة ؛ سأتناول موضوع الدعوة قبل الشروع في استنباط الدروس الدعوية المتعلقة بموضوعات المناظرة عند ابن قيم الجوزية – رحمه الله – .

موضوع الدعوة :

موضوع الدعوة : هو دين الإسلام ، قال تعالى : ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ (١) وقال تعالى : ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (٢) وهذا ما فصله حديث جبريل في ذكر أركان الإسلام : "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتوتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً" (٣) (٤) .

والإسلام هو : الأجوبة الصحيحة الحقة لثلاثة أسئلة شغلت عقول البشر في القديم وفي الحديث ، وترد على فكر كل إنسان كلما خلا بنفسه وسرح خواطره في أمور الحياة ، أو شيع ميتاً أو شاهد قبوراً ، هذه الأسئلة:

من أين جئنا ؟

ولماذا جئنا ؟

وإلى أين المصير ؟

والأجوبة الصحيحة لهذه الأسئلة التي أخبر بها رسول الله ﷺ تكون بمجموعها وتفصيلاتها الإسلام .

فعن السؤال الأول يقول الله – تعالى - : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ**

---

(1) سورة آل عمران ، الآية ١٩.

(2) سورة آل عمران ، الآية ٨٥ .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب الإيمان والإسلام والإحسان (١) حديث رقم (١) ، ص٣٧.

(4) مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة ، ص٨٧ .

مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ...﴾ [1] وقال تعالى : **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾** [2] وقال تعالى : **﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾** [3] وقال تعالى: **﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾** [4] وقال تعالى : **﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾** [5] .

فهذه الآيات الكريمة وأمثالها في القرآن الكريم تبين أن الإنسان لم يكن شيئاً ، كان معدوماً فخلقه الله – تعالى – من تراب ، ثم جعل نسله من ماء مهين على النحو المذكور في هذه الآيات ، فمن جهة خلق الإنسان الأول وهو آدم – عليه الصلاة والسلام – كان خلقه من طين أو تراب ، ومن جهة خلق نسله وذريته كان خلقه من "نطفة من مني يمنى" أي من الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب .

وعن السؤال الثاني : يقول الله – تعالى - : **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾** [6] .

والعبادة تتضمن معرفة الله ومحبته والخضوع له واتباع مناهجه التي وضعها للإنسان لتكميل نفسه ورفعها إلى المستوى اللائق بها

---

(1) سورة الحج ، الآية ٥ .
(2) سورة المؤمنون ، الآية ١٢-١٤ .
(3) سورة السجدة ، الآية ٧- ٩ .
(4) سورة الإنسان ، الآية ١- ٢ .
(5) سورة الطارق ، الآية ٥-٧ .
(6) سورة الذاريات ، الآية ٥٦ .

والمستعدة لـه ، ليظفر بالسعادة الحقيقية هنا وهناك في الدنيا والآخرة ، فالإنسان خلق لعبادة الله بمعناها الواسع .

وعن السؤال الثالث : يقول الله – تعالى - : ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ**﴾[1] وقال تعالى :﴿**اللَّهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [2] وقال تعالى : ﴿**ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [3] وقال تعالى : ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى**﴾ [4] وقال تعالى : ﴿**إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى**﴾ [5] .

فهذه الآيات الكريمة تبين مصير الإنسان بعد موته وهو رجوعه إلى خالقه لمجازاته على أعماله في الدنيا ، وإدخاله الدار التي تلائمه ؛ فإن كان قد زكى نفسه بعبادة الله وصار من الطيبين؛ فنزله في دار الطيبين – الجنة – وإن كان قد دنس نفسه ولونها بأقذار المعصية وأبقى خبثها؛ فَنُزُله في دار الخبيثين – جهنم – [6] .

وموضوع علم الدعوة : يشمل جميع المسائل العلمية والقواعد والأصول التي يتوصل بها الداعية إلى القيام بدعوته حق القيام وهي جميع ما يدرسه طالب في علم الدعوة من موضوعات علمية أو مواد دراسية [7] .

ومن الموضوعات العلمية : الدرس الدعوي المستفاد من موضوعات المناظرة وطرق الاستدلال عليها عند ابن قيم الجوزية – رحمه الله – .

وغني عن البيان أن من القواعد الهامة في المناظرة تحديد موضوع المناظرة وطرق الاستدلال عليها . فإذا كان الموضوع يتضمن عدداً من المسائل ، فإنه يبدأ بالأهم فالأهم من حيث الموضوع ، وبالأدلة النقلية

---

(1) سورة الانشقاق ، الآية ٦ .
(2) سورة الروم ، الآية ١١ .
(3) سورة الزمر ، الآية ٧ .
(4) سورة النجم ، الآية ٤٢.
(5) سورة العلق ، الآية ٨ .
(6) أصول الدعوة ، ص١١-١٣ .
(7) انظر: المدخل إلى علم الدعوة ، ص٣٥، ٣٦ .

ومن ثم الأدلة العقلية مع مراعاة حال المقام ؛ لأنه إذا بان لـه الحق فيها ، يكون فيما سواها أبين ، فيكتفي بها عما سواها .

والمتابع لمناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – يلحظ أن أغلبها عقائدية ، ركز فيها على قضية الإيمان بالله ، وإثبات نبوة النبي محمد ﷺ فنجده – مثلاً – في كتابه (هداية الحيارى) ناظر اليهود والنصارى في قضية الإيمان بالله ، وإثبات نبوة محمد ﷺ ولم يبسط القول في بيان عقيدة الألوهية عند اليهود ؛ لأنه رأى أن الأولى إثبات نبوة محمد ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين .

واهتم بالعقيدة الإسلامية من خلال ترسيخ قواعدها في نفوس الناس ، كما أنه ناظر الطوائف الضالة في أصل الانحراف العقدي عندهم ، ومن ثم تابع مناظراته بمناقشة قضايا فقهية أساسية .

وفي طرق الاستدلال ، نهج – رحمه الله – طريق أهل العلم في الاستدلال بقوله: "طريق أهل العلم : طلب أقوال العلماء ، وضبطها ، والنظر فيها ، وعرضها على القرآن والسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ وأقوال خلفائه الراشدين ، فما وافق ذلك منهم؛ قبلوه ، ودانوا الله به وقضوا به ، وأفتوا به ، وما خالف ذلك منها؛ لم يلتفتوا إليه وردوه ، وما لم يتعين لهم؛ كان عندهم من مسائل الاجتهاد التي غايتها أن تكون سائغة الاتباع لا واجبة الاتباع ، من غير أن يلزموا بها أحداً ، ولا يقولوا إنها لحق دون ما خالفها ، هذه طريقة أهل العلم سلفاً وخلفاً " [1] . وأضاف إلى ذلك – رحمه الله – الاستدلال بالأدلة العقلية وراعى في ذلك حال المقام .

وابن قيم الجوزية – رحمه الله – ذو بصيرة بما جاء في كتاب الله – تعالى – من دروس عظيمة النفع للداعية ؛ ففي قول البارئ – جل شأنه : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا**

(1) إعلام الموقعين ١٩٥/٢ .

فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[1] .

استنتج – رحمه الله – من هذه الآيات أولويات الدعوة إلى الله – سبحانه – بداية بالتوحيد وإثبات نبوة النبي ﷺ وطرق استدلال القرآن عليها. ومن ذلك : الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية بقوله – رحمه الله – : فهذا استدلال في غاية الظهور ونهاية البيان ، على جميع مطالب أصول الدين ؛ من إثبات الصانع ، وصفات كماله ، من قدرته وعلمه ، وإرادته وحياته ، وحكمته وأفعاله ، وحدوث العالم ، وإثبات نوعي توحيده تعالى ؛ توحيد الرُّبوبية المتضمن أنه وحده الرب الخالق الفاطر وتوحيد الألوهية المتضمن أنه وحده الإله المعبود المحبوب الذي لا تصلح العبادة والذل والخضوع والحب إلا له .

ثم قرر تعالى بعد ذلك إثبات نبوة رسوله محمد ﷺ أبلغ تقرير وأحسنه وأتمه وأبعده عن المعارض ، فثبت بذلك صدق رسوله في كل ما يقوله ، وقد أخبر عن المعاد والجنة والنار ، فثبت صحة ذلك ضرورة ، فقررت هذه الآيات هذه المطالب كلّها على أحسن وجه ، فصدرها – تعالى – بقوله : "يا أيها الناس" ، وهذا خطاب لجميع بني آدم يشتركون كلهم في تعلُّقه بهم .

ثم قال : "اعبدوا ربكم" فأمرهم بعبادة ربِّهم ، وفي ضمن هذه الكلمة البرهان القطعي على وجوب عبادته ؛ لأنه إذا كان ربنا الذي يُرَبيِّنا بنعمه وإحسانه ، وهو مالك ذواتنا ورقابنا وأنفسنا ، وكل ذرة من العبد فمملوكة له ملكاً خالصاً حقيقيّاً، وقد ربَّاه بإحسانه إليه وإنعامه عليه ؛ فعبادته له وشكره إياه واجب عليه .

ثم قال : "الذي خلقكم" فنبَّه بهذا – أيضاً – على وجوب عبادته وحده ، وهو كونه أخرجهم من العدم إلى الوجود ، وأنشأهم واخترعهم وحده بلا شريك باعترافهم وإقرارهم، كما قال في غير موضع من القرآن : ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [2] فإذا كان هو وحده الخالق ؛ فكيف لا يكون وحده المعبود ؟ وكيف يجعلون معه شريكاً في العبادة ! وأنتم مقرون بأنه لا شريك له في الخلق وهذه طريقة القرآن يستدل

---

(1) سورة البقرة ، الآية ٢١-٢٤ .

(2) سورة الزخرف ، الآية ٨٧ .

بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية .
ثم قال : "والذين من قبلكم" فنبَّه بذلك على أنه وحده الخالق لكم ولآبائكم ومن تقدمكم ، وأنه لم يشركه أحدٌ في خلق من قبلكم ولا في خلقكم، وخلقه تعالى لهم متضمن لكمال قدرته وإرادته وعلمه وحكمته ، وذلك يستلزم لسائر صفات كماله ونعوت جلاله فتضمن ذلك إثبات صفاته وأفعاله ، ووحدانيته في صفاته ، فلا شبيه له فيها ، ولا في أفعاله ، فلا شريك له فيها . وقوله : "لعلكم تتقون" قيل : إنه تعليل للأمر ، وقيل : تعليل للخلق ، وقيل : المعنى اعبدوه لتتقوه بعبادته، وقيل : المعنى خلقكم لتتقوه .
ثم قال : ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ**﴾ فذكر – تعالى – دليلاً آخر متضمناً للاستدلال بحكمته في مخلوقاته . فالأول : متضمن لأصل الخلق والإيجاد ، ويسمى (دليل الاختراع والإنشاء) والثاني متضمن للحكم المشهودة في خلقه ، ويسمى : (دليل العناية والحكمة) وهو – تعالى – كثيراً ما يكرر هذين النوعين من الاستدلال في القرآن .
ثم قال : ﴿ **فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ ؛ فتأمل هذه النتيجة وشدة لزومها لتلك المقدمات قبلها ، وظفر العقل بها بأول وهلة وخلوصها من كل شبهة وريب وقادح ، وأن كل متكلم ومستدل ومحجاج إذا بالغ في تقرير ما يقرره وأطاله ، وأعرض القول فيه فغايته – إن صح ما يذكره – أن ينتهي إلى بعض ما في القرآن .
فلما قرر نوعي التوحيد أتم تقرير ؛ انتقل إلى تقرير النبوة ، فقال : ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ إن حصل لكم ريب في القرآن ، وصدق من جاء به ، وقلتم إنه مفتعل ؛ فأتوا ولو بسورة واحدة تشبهه ، وهذا خطاب لأهل الأرض أجمعهم ، ومن المحال أن يأتي واحد منهم بكلام يفتعله ويختلقه من تلقاء نفسه ، ثم يطالب أهل الأرض بأجمعهم أن يعارضوه في أيسر جزء منه ، يكون مقداره ثلاث آيات من عدة ألوف ، ثم تعجز الخلائق كلهم عن ذلك ، حتى إن الذين راموا معارضته كان ما عارضوه من أقوى الأدلة على صدقه ؛ فإنهم أتوا بشيء يستحي العقلاء من سماعه ، ويحكمون بسماجته ، وقبح ركاكته وخسّته ، فهو كمن أظهر طيباً لم يشم أحدٌ مثل ريحه قط ، وتحدَّى الخلائق ملوكهم وسوقتهم بأن

يأتوا بذرة طيب مثله ، فاستحى العقلاء وعرفوا عجزهم ، وجاء الحمقان بعذرة منتنةٍ خبيثة ، وقالوا : قد جئنا بمثل ما جئت به ، فهل يزيد هذا ما جاء به إلا قوة وبرهاناً وعظمة وجلالة ؟

وأكد – تعالى – هذا التوبيخ والتقريح والتعجيز بأن قال : ﴿**وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ .

وإذا ثبتت النبوة بهذه الحجة القاطعة ، فقد وجب على الناس تصديق الرسول ﷺ في خبره وطاعة أمره ، وقد أخبر عن الله تعالى وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله وعن المعاد والجنة والنار ، فثبت صحة ذلك يقيناً ، فقال تعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ فاشتملت الآيات على تقرير مهمات أصول الدين من إثبات خالق العالم وصفاته ، ووحدانيته ، ورسالة رسوله ، والمعاد الأكبر [(١)] .

ومن خلال استعراض الموضوعات التي تناولتها مناظرات ابن قيم الجوزية – رحمه الله – اتضح أنها تركزت على ترسيخ العقيدة في قلوب المسلمين ؛ نجد ذلك في مناظرته في تقرير نبوة محمد ﷺ وفي إيثار عرض الدنيا عن اتباع الحق ، وفي موانع دخول أهل الكتاب في الإسلام ، وطرح التساؤلات والبشارات حول صدق نبوة النبي ﷺ وشرعيتها .

وقد لمس جانباً آخر في ترسيخ العقيدة في مناظراته : مسألة في العقيدة البرزخية ، وفي دلالة أدلة الكتاب والسنة اللفظية ومشروعيتها ، ومسألة في الحسن والقبح ، ومناقشة مبتدعة السامرة في القبلة .

وفي القضايا الفقهية ناقش – رحمه الله – قضية رئيسة في القضايا الفقهية، وهي مناقشة شرعية آراء المقلدين لأئمة المبتدعة ، والنظر في شرعية وقوع طلاق الثلاث بكلمة واحدة ، وتقديم متابعة الرسول ﷺ على آراء الناس وعقولهم .

وفي طرق الاستدلال نلحظ التدرج في الاستدلال سواء كان نقلياً أم عقلياً على حسب ما تقتضيه المناظرة ، ويمكن أن تنفرد المناظرة بالاستدلال النقلي دون العقلي أو تنفرد كذلك بالاستدلال العقلي دون النقلي – فمثلاً – في مناظرته – رحمه الله – في مناقشة مبتدعة السامرة في القبلة اعتمد على الاستدلال العقلي ، وفي مناظرته في النظر في شرعية

---

(1) انظر: بدائع الفوائد ١٥٤٢/٤-١٥٤٩ .

وقوع طلاق الثلاث بكلمة واحدة ، اعتمد على الاستدلال النقلي .

الخاتمة

الحمد لله الذي أكرمني بعونه على إنجاز هذا البحث الذي أرى من المفيد في خاتمته أن أوجز ما أسفر عنه من ملامح وما توصل إليه من نتائج :

فقد بدأ بتمهيد عن حياة ابن قيم الجوزية وآثاره العلمية، تناول فيه الحديث اسمه ونسبه وحالة عصره السياسية والاجتماعية والعلمية، وشمل الحديث طلبه للعلم وشيوخه؛ فاتضح أنه اشتغل – يرحمه الله – بتحصيل العلم في سن مبكرة، وأنه ثمة عوامل عديدة أثرت في تحصيله العلمي ، مثل: أسرته، وموطنه دمشق، وموهبته، وعلاقته بشيخه ابن تيمية ، ورحلاته.

واتضح في الحديث عن شيوخه أنه - يرحمه الله - تتلمذ على عدد من كبار الأساتذة والمربيين الذين اشتهروا بغزارة العلم وسعة الاطلاع ، وعرفوا بالتقوى والورع والإخلاص .

وتبين أن ابن قيم الجوزية - يرحمه - صنف تصانيف كثيرة في علوم مختلفة وأن جماعة من طلاب العلم تتلمذوا عليه حتى أصبحوا علماء في ذلك العصر.

وجاء المبحث الثاني من التمهيد عن مفهوم المناظرة وضوابطها وآدابها ذكرت فيه تعريف المناظرة في اللغة مع الإشارة إلى أن ثمة تعريفات اصطلاحية عديدة للمناظرة، عرفت أهمها ، وانتهيت إلى تعريف ارتضيته .

وأومأت في هذا البحث إلى حاجة الناس في العصور المتأخرة إلى تعريفهم بضوابط المناظرة وإلى استنباط قواعد يلتزمها من يجريها ، وعرفت أنواع التعريف ، والتقسيم، والتصديق وضوابط المناظرة في كل منها والخطوات التي يجب اتباعها في هذه الأقسام . وشمل الحديث المناظرة في النقل والمركب الناقص والعبارة ، وكيفية إجراء المناظرة في كل منها .

وتتناول الحديث في هذا المبحث الآداب التي يجب أن يلتزم بها المتناظرون كي يتحقق الهدف السامي للمناظرة .

ثم تناول الفصل الأول من هذه الدراسة المناظرة في فكر ابن قيم الجوزية - يرحمه الله - اتضح من خلال متابعة النتاج الفكري لعالمنا

الجليل أن للمناظرة أهمية لكل طالب حق ، فضلاً عن أن يكون طالب علم ، أو عالم جليل كابن قيم الجوزية ؛ حيث تعين على إقامة الحجج الصحيحة ودفع الشبهات وتدعو إلى التناظر لمعرفة الحق والصواب من خلال نصوص القرآن الكريم، وإقامة الحجة على المجادل .

وشمل الحديث في هذا المبحث أهم أهداف المناظرة عند ابن قيم الجوزية - يرحمه الله - اتضح فيه ما قام به من تفنيد لشبه النصارى واليهود وإثبات لنبوة محمد ﷺ ومناقشة لقضايا فقهية مختلف فيها ، وانحراف عقدي عند بعض الفرق .

وتناول المبحث الثاني من هذا الفصل ضوابط المناظرة وآدابها عند ابن قيم الجوزية - رحمه الله - اتضح في الحديث عن الضوابط الشرعية عنده أن مناظراته - يرحمه الله - قد خضعت لضوابط تمثل قناعاته بما يجب أن يتحلى به المناظر، مثل: سعة العلم وصحة الفهم، والنصح والإخلاص، والبيان ، والعدل ، والقدرة على المناظرة.

وتبين في الحديث عن الضوابط الإجرائية أن ابن قيم الجوزية - رحمه الله - قد طبقها عملياً في مناظراته وعرضت في هذا المبحث لأهم القواعد والآداب التي اشتملت عليها مناظرات ابن قيم الجوزية - رحمه الله - مع الإشارة إلى أنها نبراس للمناظر؛ يضيء له السبيل حين يبحث عن الحق ونصرة الدين .

أما المبحث الثالث من هذا الفصل فقد كان للحديث عن الاستدلال في المناظرة عند أن قيم الجوزية - يرحمه الله - وضح فيه انقسامه إلى نقلي وعقلي، وأنه قد التزم منهج شيخه ابن تيمية - يرحمهما الله - في تقديم الاستدلال النقلي على العقلي.

وكان الفصل الثاني من هذه الدراسة للحديث عن مناظرات ابن قيم الجوزية - يرحمه الله - وضح فيه أنها عشر مناظرات ، وأن فيها ما كان جلياً وفيها ما بني على رأي ابن قيم الجوزية ؛ حيث إنه جعل إيراد الأسئلة والإجابة عليها مناظرة ، كما اتضح أنها في موضوعات عديدة ، سواء كانت عقدية أم فقهية .

وقد عرضت في المبحث الأول أطراف المناظرة ، وموضوعاتها وأبرز محاورها ، وختمت هذا المبحث بحديث عن نتائج المناظرات التي قام بها ابن قيم الجوزية - يرحمه الله - .

وجاء المبحث الثاني للحديث عن قضايا المناظرات عند ابن قيم

الجوزية - يرحمه الله - وطرق الاستدلال عليها ؛ اتضح فيه أنها اشتملت على قضايا عقدية ، وعقدية فقهية ، وفقهية ، صُنِّفت حسب القضايا الرئيسة فيها مع إيضاح القضايا المتفرعة منها .

وانتهى الحديث في الفصل الثالث إلى الدروس الدعوية المستفادة من المناظرة عن ابن قيم الجوزية ؛ حيث وضحت الدروس الدعوية المتعلقة بضوابط المناظرة وآدابها وموضوعاتها وطرق الاستدلال عليها .

أرجو أن يكون هذا العمل قد آتى ثماره ؛ إذ تناول جانباً مهماً في فكر ابن قيم الجوزية لم يلفت إليه الدارسون.

ولعله يغري باحثين آخرين لإكمال الجهد بدراسات تتناول جوانب أخرى عند عالمنا الجليل ، مثل الحوار عند ابن قيم الجوزية ، وغيره من العناصر التي يمكن أن تقوم عليها دراسات عديدة .

أرجو من البارئ - جل شأنه - أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، والحمد لله في الأولى والآخرة .

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
﴿وَبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾	٤	١٨٠
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾	٢١	١٧٦، ١٧٧، ٢٤٧
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾	٢١-٢٤	٢٤٥
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ ﴾	٣٠-٣٣	٧٧
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾	٣١	١١٧
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ﴾	٨٤-٨٥	٢٣٧
﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى ﴾	٨٧	١٠١
﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ ﴾	٩٧	١٦٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا ﴾	١٠٤	١٧٦، ٢١٧
﴿ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	١٠٩	١٧٦
﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ﴾	١٣١	٢١٩
﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ﴾	١٤٣	١٨٦
﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾	١٤٤	١٠٣، ١٨٦
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾	١٤٦	١٦٤
﴿ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾	١٥٠	١١٣
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ﴾	١٨٥	١٧٤
﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾	١٩٦	١٧٥
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ﴾	٢٢٣	١٨٠
﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ﴾	٢٣٤	١٧٥
﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ﴾	٢٥٦	١٥٩
﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾	٢٥٨	٩٣،٧٨، ٩٤
﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	٢٨٢	١٧٦
﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا﴾	٢٨٦	٢٢٢
سورة آل عمران		
﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾	١٩	٢٤١
﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ﴾	٢٠	١١٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ﴾	٣٦	١٧٠
سورة إبراهيم		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ﴾	٤	٢١٧
سورة الحجر		
﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾	٩٤	١٧٨
سورة النحل		
﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾	٢	٢٠٧
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ﴾	٧٦	١٨٩
﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	١٢٥	٤، ٢١٠، ٢٣١
سورة الإسراء		
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ﴾	١٥	١٧٩
﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾	٣٦	٢١٨
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾	٤٤	١٧١
سورة طه		
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	٥	١٤٢
﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾	١١٠	١٤٢
سورة الحج		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي﴾	٥	٢٤٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ﴾	١٧	١٥٩
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾	١٨	١٧٢
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ﴾	٣٩	١٧٦
سورة المؤمنون		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ﴾	١٢ـ١٤	٢٤٢
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾	٥١ـ٥٣	١٩٤
﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ﴾	٧١	١٠٢، ٢٣٨
﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ﴾	١٠٠	١٧٢
سورة النور		
﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ﴾	٣٩	١٨١

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾	٥٤	١٧٨
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ﴾	٥٦	١٩٠، ٢٤٣
سورة النجم		
﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ﴾	٢٣	١٧٩
﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ﴾	٢٨	١٧٩
﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾	٤٢	٢٤٣
سورة الرحمن		
﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾	١ـ٤	٩٠، ١١٧، ٢١٦
سورة الواقعة		
﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾	٨٣	١٧٠
سورة الحديد		
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾	٢٥	٧٨
سورة المجادلة		
﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ﴾	٤	١٧٥
سورة التغابن		
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	١٦	٢٢٢
سورة الجن		
﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾	١٩	٢١٠
سورة الإنسان		
﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ﴾	١ـ٢	٢٤٢
سورة الانشقاق		
﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾	٦	٢٤٣
سورة الطارق		
﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾	٥ـ٧	٢٤٢
سورة البلد		
﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً﴾	٨ـ١٠	٩٠
سورة الشمس		
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا﴾	٧ـ١٠	٢٢٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة العلق		
﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾	٨	٢٤٣
سورة التكاثر		
﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ﴾	٨	١٧٧
سورة الماعون		
﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾	٧	١٧٧

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	إخراج	الصفحة
أبى الله أن يقبل	سنن ابن ماجه	٢٣٠
إذا أمرتكم بأمر	صحيح البخاري	٢٢٢
إذا سمعتم به بأرض فلا	صحيح مسلم	١٠٩
الإسلام أن تشهد أن	صحيح مسلم	٢٤١
ألم تعلم أن الثلاث	صحيح مسلم	٢٠٤
إن الحمد لله	أخرجه أبو داود في السنن	١
أن رجلاً طلق امرأته	صحيح مسلم	٢٠٣
إن مثل ما بعثني الله	صحيح مسلم	٢٠٩
أنتم توفون سبعين أمة	سنن الدارمي	١١١
إنكم مسؤولون عني	صحيح مسلم	١٧٨
إنما الأعمال بالنيات	صحيح البخاري	٦٥
إني سائلك عن ثلاث	صحيح البخاري	١٦١
ابن آدم لو لقيتني	سنن الترمذي	٢٢٩
بدأ الإسلام غريباً	صحيح مسلم	١٩٥
بلغوا عني ولو آية	صحيح البخاري	٢١١
بينا أنا نائم أتيت بقدم	صحيح البخاري	١١١
عليكم بسنتي وسنة	سسن الدارمي	١٣٢
قتلوه قتلهم الله	سنن أبي داود	١٩٧
كان الطلاق الثلاث	صحيح مسلم	٢٠٣
كان كلام رسول الله	سنن أبي داود	٢١٧
لكل داء دواء	صحيح مسلم	٢٣٨
اللهم علمه الحكمة	صحيح البخاري	١١٢
ليبلغ الشاهد منكم	صحيح مسلم	٢١١
ما أنزل داء إلا أنزل	صحيح البخاري	٢٣٨
والله ما أردت إلا واحدة	سنن أبي داود	٩٨

فهرس الأعلام المترجم لهم

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المطبوعة:

١- آداب البحث والمناظرة ، محمد الأمين الشنقيطي ، ط١، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
٢- اجتماع الجيوش الإسلامية ، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عواد المفتق، ط٣، ١٤١٩هـ ، مكتبة الرشد، الرياض .
٣- الأحكام في أصول الأحكام، السيف الآمدي، ط٤، د.ت، مؤسسة النور، الرياض.
٤- أدب الحوار والمناظرة ، علي جريشة ، ط١، ١٤١٠هـ، دار الوفاء ، المنصورة.
٥- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، عبدالقادر شيبة الحمد، ط١، د.ت، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
٦- إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة ، دراسة وتحقيق: أيمن الشوا، ط٢، ١٤٢١هـ، دار الفكر ، دمشق.
٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة، اعتنى بتصحيح الطبعة: الشيخ عادل أحمد الرفاعي، ج٢، ط١، ١٤١٧هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٨- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، حقق أصوله وضبط أعلامه: علي محمد البجاوي، ط١، ١٩٧١م، دار نهضة مصر الطبع والنشر، القاهرة.
٩- أصول الدعوة ، عبدالكريم زيدان ، ط٩، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت .
١٠-إظهار الحق، رحمة الله الكيرانوي العثماني الهندي، تحقيق: محمد ملكاوي ، ط٤، ١٤٢٤هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض.
١١-الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٥، ط٧، ١٩٨٦م، دار العلم للملايين ، بيروت.
١٢-إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية ، عصام الصبابطي ، ط١، ١٤١٤هـ، دار الحديث ، القاهرة .
١٣-إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن قيم الجوزية، تحقيق:

مجدي السيد، ط٧، ١٤١٩هـ، دار الحديث، القاهرة .
١٤-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، عبدالعزيز المسعود، ط٢، ١٤١٤هـ، دار الوطن، الرياض.
١٥-بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، يسري السيد محمد، ط١، ١٤١٤هـ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية .
١٦-بدائع الزهور في محاسن الدهور ، محمد بن إياس ، تحقيق: محمد مصطفى ، ط٢، ١٤٠٢هـ، مركز تحقيق التراث ، مصر .
١٧-بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي العمران، إشراف: بكر أبوزيد، ط١، ١٤٢٥هـ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة .
١٨-البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق : عبدالرحمن اللاذقي ومحمد بيضون، ج٣، ط٤، ١٤١٩هـ، دار المعرفة ، بيروت .
١٩-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الشوكاني، ط١، د.ت، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
٢٠-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، حققه وضبط نصه وعلق عليه : بشار عواد معروف، ج٥، ط١، ١٤٢٤هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
٢١-تاريخ المماليك البحرية ، علي إبراهيم ، ط٣، ١٩٦٧م، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
٢٢-التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، شمس الدين السخاوي ، ط١،
١٣٩٩هـ، مكتبة ابن الجوزي ، الدمام .
٢٣-تذكرة الحفاظ، أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي، ج١، ط١، ١٣٧٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤-التعريفات، الجرجاني، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٥-تفسير ابن كثير ، ط١، ١٤١٩هـ، دار السلام ، الرياض .
٢٦-تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ، ط١، ١٣٢٥هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند .
٢٧-توضيح الأحكام من بلوغ المرام ، عبدالله البسام ، ط٤، ١٤١٧هـ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة.
٢٨-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي،

قدم لـــه: الـشيخ عبـدالله عقيـل والـشيخ محمـد العثيمـين، تحقيـق عبدالرحمن اللويحق، ط١٠، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٩-جامع الفقه، ابن قيم الجوزية، جمعه ووثقه: يسري السيد محمد، ط١،
١٤٢١هـ، دار الوفاء، المنصورة.
٣٠-حجة إبليس ، للإمام ابن القيم ، قدم لها: أبو أسامة سليم بن عيد الهلالـــي، ط١، ١٤٢١هــ، دار ابــن الجــوزي، المملكــة العربيــة السعودية .
٣١-الحركة الصليبية ، سعيد عاشور ، ط٣، ١٩٧٥م ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة .
٣٢-الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى زمزمي، ط١، ١٤١٤هـ، دار التربية والتراث ، مكة المكرمة .
٣٣-الدارس في تاريخ المدارس، النعيمي، تحقيق: جعفر الحسني، ط١، ١٤٠٨هـ، مكتبة الثقافة الدينية .
٣٤-الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سيد جاد الحق ، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة .
٣٥-الدليل الشافي على المنهل الصافي ، ابن تغري بردي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط١، ١٩٨٣م ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة .
٣٦-ذيل طبقات الحنابلة ، ابن رجب ، ط١، ١٣٧٢هـ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر .
٣٧-الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر ، ابن ناصر الدين ، تحقيق زهير الشاويش، ط٣، ١٤١١هـ، المكتب الإسلامي، بيروت .
٣٨-رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة ، محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط٧، ١٣٧٨هـ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة .
٣٩-الرسالة التبوكية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد غريد شمس، إشـراف: بكـر أبوزيـد، ط١ ، ١٤٢٥هــ ، دار عـالم الفوائـد ، مكـة المكرمة .
٤٠-رسالة ابن قيم الجوزية إلى أحد إخوانه ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: عبدالله المديفر، إشـراف بكـر أبوزيـد، ط١، ١٤٢٥هــ، دار عـالم

الفوائد، مكة المكرمة.
٤١-الروح ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: بسام علي العموش ، ط٢، ١٤١٢هـ، دار ابن تيمية ، الرياض .
٤٢-زاد المعاد ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، عبدالقادر الأرنؤوط ، ط٣، ١٤١٩هـ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
٤٣-سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الألباني، اعتنى به أبوعبيدة مشهور آل سلمان، ط٢، ١٤١٧هـ، مكتبة المعارف، الرياض.
٤٤-سنن الترمذي، حكم على أحاديثه: ناصر الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة آل سلمان، ط١، د.ت، مكتبة المعارف، الرياض.
٤٥-سنن الدارمي ، تحقيق عبدالله هاشم المدني ، ج٢ ، ط١، ١٤٠٤هـ ، حديث أكادمي باكستان.
٤٦-سنن ابن ماجه ، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الألباني، حققه: علي بن حسن الحلبي الأثري، ج٣، ط١، ١٤١٩هـ، مكتبة المعارف، الرياض.
٤٧-سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد الذهبي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، وحسين الأسد، ج١، ط١، ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤٨-شذرات الذهب، ابن العماد، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط١، ١٤١٣هـ، دار ابن كثير، دمشق ، بيروت .
٤٩-شرح قصيدة الإمام ابن القيم (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية) أحمد ابن عيسى ، ط٣، ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي، بيروت .
٥٠-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ابن قيم الجوزية ، خرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى أبو النصر الشلبي ، ط٢، ١٤١٥هـ، مكتبة السوادي، جدة .
٥١-الصحاح، الجوهري ، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط٢، ١٣٩٩هـ، دار العلم للملايين ، بيروت .
٥٢-صحيح البخاري، د.ت، المكتبة الإسلامية، إستانبول.
٥٣-صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ، ط١، د.ت ، المكتبة الإسلامية، إستانبول .

٥٤-الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله ، ط٣، ١٤١٨هـ، دار العاصمة ، الرياض .
٥٥-الضوء اللامع، السخاوي ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٥٦-ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، عبدالرحمن الميداني ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ، دار القلم ، دمشق.
٥٧-طبقات الحفاظ، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٨-طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن علي الداودي، ج٢، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت .
٥٩-عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، محمود رزق سليم، ط١، ١٣٦٩هـ، مكتبة الآداب، القاهرة .
٦٠-العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدين محمد الفاسي، ط٢، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
٦١-عقود الجمان من أضواء البيان، محمد اليعقوبي الجكني، إعداد وتجميع: عبدالله بن محمد بابا الشنقيطي، ج٢، ط١، ١٤١٣هـ، دار روضة الصغير، مركز أبانمي، الرياض.
٦٢- عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، صالح البليهي، ط١،
١٤٠١هـ، المطابع الأهلية ، الرياض.
٦٣-الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، علي عبدالحليم محمود ، ط٢، ١٤٠٢هـ، شركة مكتبات عكاظ ، المملكة العربية السعودية .
٦٤-الفروسية ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: مشهور بن سلمان، ط٢، ١٤١٧هـ، دار الأندلس، المملكة العربية السعودية، حائل .
٦٥-فوائد الفوائد ، ابن قيم الجوزية، رتبه وعلق عليه: علي الأثري، ط٥، ١٤٢٢هـ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية.
٦٦-القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، ط١، د.ت، دار الجيل، بيروت.
٦٧-ابن قيم الجوزية جهوده في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة، ط١، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية .
٦٨-ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده، بكر أبوزيد ، ط٢، ١٤٢٣هـ،

دار العاصمة ، الرياض .
٦٩-ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف ، عبدالعظيم شرف الدين ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، دار القلم ، الكويت .
٧٠-الكافية في الجدل، الجويني ، تقديم وتحقيق: فوقية حسين محمود ، ط١، ١٣٩٩هـ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
٧١-كشف الظنون ، حاجي خليفة ، ط٣، ١٣٧٨هـ، المكتبة الإسلامية، طهران .
٧٢-لسان العرب، ابن منظور، د.ت، دار صادر بيروت.
٧٣-مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم ، ط١، ١٤١٤هـ، دار عالم الكتب، الرياض.
٧٤-المختار المصون من أعلام القرون، محمد حسن، ط١، ١٤١٥هـ، دار الأندلس الخضراء، جدة .
٧٥-مختصر التحفة الاثني عشرية ، شاه عبدالعزيز الدهلوي، تعريب: غلام الأسلمي، تحقيق: محب الدين الخطيب ، ط١، ١٤٠٤هـ ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض .
٧٦-مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق ، محمد علي الصابوني، ج١، ط٧، ١٤٠٢هـ، دار القرآن الكريم، بيروت.
٧٧-مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية، ط١، ١٤٢٣هـ، دار طيبة ، الرياض.
٧٨-المدخل إلى علم الدعوة ، محمد أبو الفتح البيانوني ، ط٢، ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
٧٩-المدخل للفقه الإسلامي ، عبدالله الدرعان ، ط١، ١٤١٣هـ، مكتبة التوبة ، الرياض .
٨٠-المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، إعداد: جماعة من العلماء، إشراف: الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ط٢، ١٤٢١هـ، دار السلام، الرياض.
٨١-معجم البلدان ، ياقوت الحموي، تحقيق: فريد الجندي، ط١، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٨٢-المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، ط١، ١٣٩٩هـ، القاهرة .
٨٣-معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مصطفى الخطيب ، ط١، ١٤١٦هـ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
٨٤-المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، ط١، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت .
٨٥-معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية، قم، إيران .
٨٦-معجم المناهي اللفظية ، بكر أبوزيد ، ط٢، ١٤١٠هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
٨٧-معرفة الصحابة ، أحمد بن عبدالله الأصبهاني، ج٦، ط١، ١٤١٩هـ، دار الوطن للنشر، الرياض.
٨٨-مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: علي بن حسن الحلبي الأثري، راجعه بكر أبوزيد ، ط١، ١٤٢٥هـ، الرياض ، دار ابن عفان ، القاهرة.
٨٩-المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق: محمد سيد الكيلان ، دار المعرفة، بيروت .
٩٠-مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة مفهوم ونظر وتطبيق ، سعيد القحطاني ، ط١، ١٤١٥هـ، مطبعة سفير، الرياض.
٩١-مناظرات أئمة السلف حزب إبليس وأفراخ الخلق ، أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي ، ط١، ١٤١٤هـ، دار ابن الجوزي .
٩٢-المناظرة في أصول التشريع الإسلامي (دراسة في التناظر بين ابن حزم والباجي) ، المصطفى الوضيفي ، ط١، ١٤١٩هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية.
٩٣-مناهج الجدل في القرآن الكريم ، زاهر عواض الألمعي، ط٣، ١٤٠٤هـ، مطابع الفرزدق، الرياض.
٩٤-المناهج في ترتيب الحِجاج، أبو الوليد الباجي، تحقيق: عبدالمجيد تركي، ط٢، ١٩٨٧م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .
٩٥-المنطق ، محمد رضا المظفر، ط٤، ١٣٩٢هـ، مطبعة النعمان، النجف .
٩٦-منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري، محمد الزين ، ط١، ١٣٩٩هـ،

المكتب الإسلامي، بيروت.
٩٧-منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله ، أحمد الخلف، ط١، ١٤١٩هـ، مكتبة أضواء السلف ، الرياض.
٩٨-منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ، عثمان علي حسن ، ط١، ١٤٢٠هـ، دار إشبيليا.
٩٩-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، أشرف على طباعته: مانع بن حماد الجهني ، ط٣، ١٤١٨هـ، دار الندوة العالمية ، الرياض.
١٠٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي ، تحقيق: جمال محمد محرز وفهيم محمد شلتوت ، ط١، ١٣٩١هـ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.
١٠١- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس ، ١٤٠٨هـ، دار صادر ، بيروت.
١٠٢- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: أحمد الرفاعي ، ط١، ١٤٢١هـ، دار قتيبة ، بيروت .
١٠٣- الوافي بالوفيات، الصفدي ، تحقيق: محمد بن إبراهيم ومحمد بن الحسين، ط٢، فرانز شتايز .

ثانياً: الرسائل الجامعية:

١- أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام، إبراهيم الحميدان، (رسالة دكتوراه لم تنشر بعد)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٤هـ.
٢- الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ، خالد الجابري (رسالة ماجستير لم تنشر بعد) ، جامعة أم القرى ، ١٤١٣هـ.

المحتـــــــــويات